تحريرُ فلسطين

الثَّوابتُ.. المتَغَيِّراتُ.. الوَاجبَاتُ

الطبعة الثانية

1439 هـ

2018 م

اسم الكتاب:	تحريرُ فلسطين
التأليف:	أ.د. السيد عبد الستار المليجي
موضوع الكتاب:	فكر إسلامي
عدد الصفحات:	**272** صفحة
عدد الملازم:	**17** ملزمة
مقاس الكتاب:	**24x17**
عدد الطبعات:	الطبعة الثانية
رقم الإيداع:	**2017/28302**
الترقيم الدولي:	**978-977-278-667-1**

دار البشير للثقافة والعلوم

elbasheer.marketing@gmail.com

elbasheernashr@gmail.com

01152806533 - 01012355714

تحريرُ فلسطين

الثَّوابتُ.. المتَغَيِّراتُ.. الوَاجبَاتُ

أ.د. السيد عبد الستار المليجي

دارُ البَشيرِ للثقافة والعلوم

مقدّمة الطبعة الثانية

تصدرُ هذه الطبعة الثانية بمناسبة مرور ١٠٠ عام على الوعد المشئوم الذى عرف تاريخيًّا بـ (وعد بلفور) وعرّفه المؤرخون العرب والمسلمون أيضًا (وعد مَن لا يملك لمن لا يستحقّ) وقد ظهر الكثيرُ من الوثائق التاريخية التي حجبتها الدول الاستعمارية المتآمرة على العروبة والإسلام في هذه الحقب التاريخية المصاحبة للوعد المشئوم وقد أوضحتِ الوثائق التي كشف عنها- بجلاءٍ- أنّ هذا الوعد من وزير خارجية بريطانيا لم يكن وعدًا شخصيًّا أو بريطانيًّا وإنّما كان ضمنَ اتّفاقٍ دولي ومؤامرة عالمية وخيانة تاريخيّة شارك في جريمتها دول أوروبية (روسيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا...... إلخ) ودولٌ أمريكية (الولايات المتحدة وكندا...) ودولٌ عربية (المملكة السعودية والأردن...) حيث اتّفق جميعُ مَن أجرم مِن الحكّام وقادة الدول في هذا التاريخ على توطين الصهاينة في أرض فلسطين ومدّهم بكلّ وسائل الدّعم ومتطلبات البقاء في مواجهة الشعوب العربية مجتمعةً ومَن وقف معها مِن شعوب العالم.

كما أنّ هذه الطبعة تصدر- أيضًا- وقد جرى في نهر العروبة أحداثٌ جِسام كانت الطبعةُ الأولى ومعها حلمنا بزيارة قريبة للقدس المحرّرة مرورًا من بغداد أو دمشق.. وتأتي الطبعة الثانية ونحن لا نستطيع زيارة بغداد ولا دمشق ولا طرابلس ولا صنعاء بعدما دمّرت حروبُ الجاهلية كلّ تلك العواصم وبلدانها تاركةً فلسطين وقضيتها بلا ظهيرٍ ولا سندٍ مِن كلّ الجيوش النظاميّة العربية.

وأمّا فلسطين السليبة نفسُها فقدْ جرت على أرضها أحداث ومواقف ومتغيرات أخر.... فقد أجريت انتخاباتٌ لرئيسٍ وحكومةٍ وبرلمانٍ في الضفة الغربية وغزة وجاءت الانتخابات بمحمود عباس رئيسًا وبحماس أغلبية برلمانية وشكّل الرئيس حكومةً وقوّة أمنية من فتح ولم تقبل حماس في غزة هذا الانحياز من الرئيس ووقعت اشتباكات ثمّ تطوّرت الى حرب بين الفريقين وانتهت بفشل العملية السلميّة للشراكة السياسيّة بين الفريقين الفلسطينين وطالت أيام فلسطين واسْودّت حزنًا على ما جرى وأعلنت الضفة حصارًا قاسيًا على جناحها الشرقي قطاع غزة وكما قال المثل العربي (ولدي قتل ولدي) ما استمرت حالة الحصار حتى ٢٠١٧ حيثُ دُعيت الفصائل إلى القاهرة وأعلِنت مصالحة لم تكتمل بعد حتى هذه اللّحظات.

وخلال هذه الفترة شنّت العصابة الصهيونية عدوانيْن آثمين على غزة وحروبًا كثيرة على المسجد الأقصى وروّاده من المسلمين المصلّين. وفي العموم ازدادت أحوال فلسطين وأهلها صعوبةً ومشقّة وازدادتْ أحوالُ العروبة فرقة واقتتالًا وتراجعًا ممّا يجعل صدور هذه النّسخة عملًا واجبًا للمشاركة فى ترقيق قلوب العرب والمسلمين على فلسطين وأهلها وتحفيزًا للجميع على العودة لجادّة الطريق الطويل نحو تحرير فلسطين.

المؤلـف
أ.د/ السيد عبد الستار المليجي
في ١ ديسمبر ٢٠١٧

وعدُ الله وقضاؤه:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

(البقرة: ٤-٧)

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

(الإسراء: ١٠٤)

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(المائدة: ٥٢)

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله ربّ العالمين، ولا عدوان إلّا على الظالمين

وبعد،،

فلسطين الحبيبة التي نعمل على تحريرها هي أرضُ المسجد الأقصى، التي احتلّها المستعمرُ البريطاني عقب الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٦م، ثمّ سلّمها للمستعمر الصهيوني عام ١٩٤٨، ولا تزال ترزحُ تحت نيْر احتلاله وظلمِه حتى اليوم، وتقع فلسطينُ على ساحل البحر الأبيض المتوسط، غرب قارة آسيا وتعتبرُ البوابة الغربية للعالم العربي والإسلامي قُبالة أوروبا ومَن يأتون مِن ناحيتها.

ولفلسطين موقعٌ استراتيجيّ مهمّ، إذ تعدّ همزةَ الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطةَ التقاءِ جناحي العالم الإسلامي، كما تتميّز بقربها من أوروبا. ويحدّها شمالًا لبنان، ومِن الشمال الشرقيّ سوريا، وشرقًا الأردن، وجنوبًا مصر، وتبلغ مساحة فلسطين في حدودها المتعارَف عليها حاليًا ٢٧ ألف كم٢.

إن كانَ العالم العربي هو قلبَ العالم أجمع؛ فإنّ فلسطين هي قلبُ هذا القلب.



وهي تتمتّع بمناخ معتدل (مناخ البحر المتوسط)، وهو مناخٌ يشجّع على الاستقرار والإنتاج.

أرضُ فلسطين من أقدمِ المناطق الحضارية في العالم، وحسبَ الاكتشافات الأثريّة الحديثة فهي أولُ أرضٍ شهدت تحوّل الإنسان إلى حياةِ الاستقرار قبل حوالي ٩ آلاف سنة ق. م، وما زالت معمورةً زاخرةً بالحضارات المختلفة إلى عصرنا هذا.

أقدمُ اسم معروف لهذه الأرض هو «أرضُ كنعان»؛ لأنّ أول شعب سكن هذه الأرضَ ومعروفٌ لدينا تاريخيًّا هُمُ «الكَنعانيون»، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو ٢٥٠٠ ق.م، واسمُ فلسطين هو اسمٌ مشتَقّ من اسْم أقوامٍ بحرية، لعلّها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحْر إيجة حوالي القرن الثاني عشر ق.م؛ هربًا مِن صقيع الشّمال وثلوجه، ووردَ اسْمُها في النقوش المصرية

بـاسم «ب ل س ت»، وربما أضيفتِ النّون بعد ذلك للجمْع، وقد سكنوا المناطق الساحلية وانْدمجوا بالكنعانيّين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثرٌ مميّز سوى أنّهم أعطوا الأرضَ اسمَهم.

عندما دخلت فلسطين تحتَ الحكم الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدّت جزءًا من بلاد الشام؛ حيث قسّمت الدولة إلى سبعة أمصار، وكانت بلادُ الشام أحدَ هذه الأمصار، وقد ظلّت فلسطين جزءًا أصيلًا في الدولة الإسلامية، ومتفاعلًا مع تطوّراتها السياسية والحضارية. ولم يكن تغيّر الدول والأسرِ الحاكمة ليؤثر على حقيقة أنّ أهل فلسطين عربٌ مسلمون موالون لدولة الإسلام وحكم الإسلام.

وكان مِن عادة العرب أنْ يطلقوا على أرض فلسطين اسم «سوريا الجنوبية»؛ وذلك باعتبارها جزءًا من سوريا (بلاد الشام). وفي أثناء عهدِ الحكومة العربية في دمشق، منذ أوائل أكتوبر ١٩١٨ حتى يوليو ١٩٢٠؛ كانت فلسطين- رغم الاحتلال البريطاني- ممثّلة في المؤتمر السوري العام. وأول جريدة عربية ظهرت بعد الاحتلال البريطاني حملت اسم «سوريا الجنوبية» وكان الكثيرُ من رجالات فلسطين في دمشق، ومنهم نواب في المؤتمر السّوري الذي أعلن استقلال سوريا في ٨ من مارس ١٩٢٠. ولم يغبْ هذا الاسم عن فلسطين إلّا بعد معركة ميسلون، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وسقوط الحكم العربي فيها (يوليو ١٩٢٠).

وتحتَ الاحتلال البريطاني تعيّنت الحدود بين فلسطين من جهة، وبين لبنان وسوريا من جهةٍ أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي- البريطاني، المنعقد في ٢٣ من

ديسمبر، وقد حدثَ عليها بعضُ التعديل عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣، أمّا حدود فلسطين مع شرق الأردن فقد حدّدها المندوب السامي البريطانى المحتلّ لفلسطين وشرق الأردن في الأول من سبتمبر ١٩٢٢. وفي هذا التحديد بلغت مساحة فلسطين ٢٧٠٠٩ كيلو مترات مربّعة، وبلغت حدودُ فلسطين مع شرق الأردن ٣٦٠ كم، ومع سوريا ٧٠ كم، ومع لبنان ٧٩ كم، ومع مصر ٢١٠ كم، أمّا الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط فيبلغ طوله ٢٢٧كم.

وأرض فلسطين التي تدور عليها معركةُ التحرير اليومَ تقسّم إلى ثلاثة قطاعات طوليّة رئيسة هي: السهل الساحلي، والمرتفعات الجبلية الوسطى التي تشغل معظم مساحة فلسطين، والأخدود الأردني. ويضيق السّهل الساحلي بمحاذاة جبل الكرمل عند حيفا إلى ٢٠٠ مترًا، ويتّسع جنوبًا ليزيد عرضُه عن ثلاثين كيلو مترًا في منطقة غزة، وهي منطقة تركّز سكاني واقتصادي كبير، وفي الوقت الحالي يتركّز حوالي ثلاثة أرباع سكان فلسطين فيه، أمّا مرتفعات وسط فلسطين فهي تشملُ جبال نابلس وجبال الخليل وهضبة النّقب، ويبلغ ارتفاع جبالها إلى حوالي ألف متر، وفي سلسلة جبال الجليل شمال فلسطين تقع أعلى قمم جبال فلسطين؛ حيث يرتفع جبل الجرمق إلى ١٢٠٨ أمتار.

ويمتدّ الأخدود الأردني مسافة ٤٦٠ كم من قواعد جبل الشيخ شمالًا إلى خليج العقبة جنوبًا، وعلى طول الحدود الأردنية الفلسطينية. ويجري نهر الأردن في جزئه الشمالي ليدخل في بحيرة طبَرية، ثمّ يخرج منها ليصبّ في البحر الميت على منسوب يقلّ عن ٣٩٥ مترًا تحت سطح البحر، أمّا البحر الميت فينتشر على مساحة

٩٤٠ كم٢، ومياهه أشدُّ ملوحةً من أي بحر أو بحيرة أخرى على وجه الأرض، ولا توجد فيه حياة بحرية. ومنطقة غور الأردن والبحر الميت هي أكثر المناطق انخفاضًا عن سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، وفي هذه المنطقة من الجانب الفلسطيني تقع أقدمُ مدينة في التاريخ وهي مدينة أريحا، التي نشأت حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد، وإلى الجنوب من البحر الميت يستمرّ هذا الأخدود أكثر من ١٥٠ كم، وهو ما يُطلق عليه وادي عربة، غير أنّه كلّما اتجه جنوبًا كلما زاد ارتفاعًا، ثمّ يبدأ بالانخفاض من جديد إلى أن يصل إلى مستوى سطح البحر على شاطئ العقبة.

أعلن الصهاينة دولتَهم «إسرائيل» في مساء ١٤ من مايو ١٩٤٨، وتمكّنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مثّلت نموذجًا لسوء القيادة، وضعف التنسيق، وقلّة الخبرة القتالية في حقبةٍ تاريخية اتّسمت بالتفكّك والتخلّف العربي، ووقوع عددٍ من الدول العربية تحت النفوذ الاستعماري واستولى الصهاينة على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشرّدوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانَهم من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون في هذه المنطقة. وأحرقوا ثمّ دمروا ٤٧٨ قرية فلسطينية من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة في المنطقة المحتلة، وارتكبوا ٣٤ مجزرة إجرامية ضدّ سكان فلسطين المدنيّين العُزّل.

أمّا بالنسبة لما تبقى من فلسطين، فقد قامت الأردن بضمّ الضفة الغربية رسميًّا إليها (٥٨٧٨كم٢) كما وضعت مصرُ قطاع غزة (٣٦٣ كم٢) تحتَ إدارتها.

كانت حرب يوليو/ حزيران ١٩٦٧ هزيمة مرّة للأنظمة العربية، ففي بضعة أيام ضاعتْ باقي فلسطين، فسقطت الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وقطاع غزة، وتمّ تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني، كما سقطت الجولان السورية (١١٥٠كم٢) وسيناء المصرية (٦١٦٩٨كم٢).

واصل الكيانُ الصهيوني تهويد أرض فلسطين بشكل حثيثٍ، وسعى لاجتثاث هويّتها الإسلامية ومعالمها الحضارية، فقد صادر حوالي ٩٧٪ من الأرض التي احتلّها سنة ١٩٤٨ بما في ذلك أراضي وأملاك الفلسطينيّين الذين قام بتشريدهم، ومعظم الأوقاف الإسلامية، والكثير من أراضي مَن بقي مِن العرب هناك، وبنى الصهاينة ٨٥٦ مدينة وقرية استيطانية في الأرض المحتلة ١٩٤٨، وبعد حرب ١٩٦٧ صادر الصهاينة أكثر من ٦٠٪ من مساحة الضفة الغربية، بنى فوقها ١٩٢ مستعمرة، كما صادر ٣٠٪ من مساحة قطاع غزة، وبنى فوقه ١٤ مستوطنة، وبينما حرَم الكيان الصهيوني أبناءَ فلسطين من العودة إلى أراضيهم، فتح أبوابَ الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فهاجر إليها أكثر من مليونين و٨٠٠ ألف يهودي خلال الفترة ١٩٤٩- ٢٠٠٠ ليبلغ العددُ الكلي لليهود حوالي خمسة ملايين.

ركّز الصهاينة على تهويد مدينة القدس، فسيطروا على ٨٦٪ منها، وملأوها بالمهاجرين اليهود (٤٥٠ ألف يهودي مقابل ٢٠٠ ألف فلسطيني حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٠). وفي منطقة القدس الشرقية- حيث المسجد الأقصى- أسكنوا نحو ٢٠٠ ألف يهودي بعد أن أحاطوها بسورٍ من المستوطنات اليهودية يعزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وأعلنوا أنّ القدس عاصمة أبدية للكيان

الصهيوني، واهتمّ اليهود الصهاينة بالسيطرة على المسجد الأقصى، فصادروا الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق)، ودمّروا حيَّ المغاربة المجاور له، وصادروا أرضَه، وأنهوْا حتى الآن عشرَ مراحل من الحفريّات تحت المسجد الأقصى، وحفروا أربعة أنفاق بشكل يهدّد بانهيار المسجد في أيّة لحظة، وتشكّل نحو ٢٥ تنظيمًا إرهابيًّا يهوديًّا يهدف إلى تدمير الأقصى وإقامة الهيكل اليهودي مكانَه، وقاموا خلال ١٩٦٧ – ١٩٩٨ بأكثر من ١١٢ عملًا عدائيًّا ضدّ المسجد الأقصى (٧٢ منها بعد اتّفاق أوسلو ١٩٩٣)، وكان أشهر الاعتداءات حرقَ المسجد الأقصى في ٢١ من أغسطس ١٩٦٩. ولعلّ الصراع الدّولي التاريخي الذي دار على هذه الأرض لا يدع مجالًا للتشكيك في أهميتها الاستراتيجية القصوى؛ مما جعل العالمَ أجمعَ يتصارع على امتلاكها والسيطرة عليها.

وفلسطينُ أرضٌ خصبة في منطقتها الشمالية والوسطى، ولها كلّ خصوبة وخضرة بلاد الشام، وفيها تنمو أشجار الزيتون، والموالح والتّفاح والرّمان ومحاصيل أخرى كثيرة؛ فهي في الأصل جنةٌ خضراء، حوّلها الطغاة والبغاة المستعمرون إلى مزرعة للبنادق والرشاشات والمجنزرات وكلّ آلات الموت والدمار.

وفي أرض فلسطين كنيسة القيامة وبيت لحم (مسقط رأس نبي الله عيسى عليه السلام) كما تزخرُ فلسطين بمقابر الأنبياء والصالحين وصحابة النبي ﷺ وحواري الأنبياء السابقين.

واليوم بمناسبة مرور ٧٠ عامًا على هذا الاحتلال ننشر هذا الكتاب؛ للتذكير بثوابت القضية الفلسطينية التاريخية والشرعيّة والقانونيّة، ولنلقي الضوء على

جهاد الشعب الفلسطيني والعربي في مواجهة الاحتلال الصهيوني المدعوم بكلّ قوى البغي في العالم، وكذلك لإلقاء الضوء على ما يجبُ علينا جميعًا أن نتعاون عليه حتى ينتهي هذا الاحتلال، وتتحرّر فلسطين.. كلّ فلسطين.. مِن النهر إلى البحر.

والله غالبٌ على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (المائدة: ٥٢)

المؤلف

أ.د/ السيد عبد الستار المليجي

الباب الأول

الثّوابت

١ـ فلسطين عربيةٌ إسلاميّة منذ فجر التاريخ.

٢ـ فلسطين قلبُ العالميْن العربي والإسلامي، وبوّابته الغربية.

٣ـ الصهيونية دعوةٌ عنصريّة خطيرة على البشرية.

٤ـ المجازر الصهيونية في فلسطين توجِبُ القَصاص من الفاعلين.

٥ـ التّنازل عن أي جزءٍ من فلسطين يحرُمُ شرعًا.

الفصلُ الأوّل

الثّوابت التاريخيّة

فلسطين عربيّةٌ إسلاميّة

١ـ فلسطين عربيةٌ منذ فجر التاريخ إلى اليوم.

٢ـ أتباع موسى لم يكونوا من قبيلة يعقوب (بني إسرائيل) فقط ولكنّهم كانوا من عموم البشر في المنطقة، وأغلب المؤمنين وأفضلهم كانوا من المصريين.

٣ـ أنبياء الله ورسلُه لم يكونوا دُعاة استيطان أو احتلال.

٤ـ القرآنُ الكريم هو الذي حفظ تاريخَ موسى ورسالته.

٥ـ الشعوبُ العربية لن تقبل تقسيمَ فلسطين، والمقاومة لمْ ولنْ تتوقّف.

١ـ فلسطين عربيةٌ منذُ فجر التاريخ:

تدلّ حقائق التاريخ دلالةً قاطعة على عروبة أرض فلسطين، وعمقِ الجذور العربية في تُربتها المباركة.

فأقدمُ شعبٍ معروف سكن فلسطين هُم (الكنعانيون) الذين قدموا من جزيرة العرب منذ نحو ٤٥٠٠ عامًا، وعرفت أوّل الأمر باسم «أرض كنعان» وشعبُ فلسطين الحالي هُم سلائل الكنعانيّين، ومَن اختلط بهم بعد ذلك مِن شعوب شرق البحر المتوسط أو الفلسطينيّين، والقبائل العربية.

وأهلُ فلسطين هُم أنفسهم الذين أسلمَ أغلبيتُهم الساحقة، وتعرّبت لغتُهم مع قدوم الإسلام. وبهؤلاء السّكان المسلمين تأكّدت الهويّة الإسلامية لفلسطين لأطول فترة تاريخية متّصلة منذ الفتح الإسلامي لها في ١٥هـ/ ٦٣٦م حتى الآن.

وتدلّ حقائق التاريخ- كذلك- على أنّ اليهودَ قد انقطعت صلتهم بأرض فلسطين نحو ١٨٠٠ عامًا منذ ١٣٥م وحتى عام ١٩١٧ (بداية الاستعمار البريطاني، والهجرة اليهودية إلى فلسطين).

وأثناء هذه الفترة الطويلة لم يكنْ لهم تواجدٌ سياسي أو حضاري أو ريادي على أرض فلسطين.

وتؤكّد الإحصاءات والدراسات المعتمدة أنّ ٨٠٪ من الصهاينة المستعمرين لفلسطين اليومَ لا يمتّون تاريخيًّا بأي صلةٍ لفلسطين كما لا يمتّون قوميًّا لبني إسرائيل.

كما تؤكّد الدراسات المعتمدة أنّ الأغلبية الساحقة للمستعمرين الصهاينة تعود أصولهم إلى قومية الخزر «الأشكيناز» وهي قبائل تَتَرية قديمة، موطنُها الأصلي شمال القوقاز، وتهوّد بعضها في القرن الثامن الميلادي.

٢ـ أغلبُ المؤمنين بموسى كانوا من المصريّين:

وعقيدتنا التاريخية الثابتة بالأدّلة والبراهين أنّ أنصار موسى (عليه السلام) كانت أغلبيتُهم من المصريّين القدماء، وأقليّتهم من بني إسرائيل، ودليلُنا على ذلك أنّ الله ضرب مثلًا للذين آمنوا بموسى مِن النساء بامرأة فرعون، ومِن الرجال برجل مؤمن مِن آل فرعون يكتمُ إيمانه، ولم يذكرِ القرآن بني إسرائيل في عهد موسى إلّا وذمّهم لنكوصِهم عن مناصرته حتى قالوا: اذهبْ أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، وقبلُ ذلك عبَدوا العجلَ من دون الله، وموسى (عليه السلام) لم يكن مضى على سفره إلّا أيام.

وتدلّ وقائع التاريخ دلالةً قاطعة بأنّ الحركة الصهيونية المعاصرة حركةٌ عنصرية فاشيّة استعمارية، تتّخذ من الدين غطاءً لها، وهي لا تمتّ بصلة إلى أي دين أو نبي أو رسالة.. بل على العكس من ذلك تمامًا فإنّ الحركة الصهيونية تخالف كلّ تعاليم السماء، وكلّ هداية الأنبياء في واقعها وتاريخها، وهي التي تقف خلف كلّ رذيلة وفاحشةٍ في عالم اليوم حتى صار هذا مِن المسَلَّمات، فللصهاينة علاقةٌ وثيقة بالمخدرات، وتجارةِ الرّقيق الأبيض والربا والخمور وإشاعة الفاحشة بكلّ أشكالها ومؤسساتها العالمية، وللصهاينة علاقةٌ أكيدة بالحروب العالمية والمحليّة والنّكسات الاقتصادية والنزعات الإقليميّة، وكأنّهم شيطانٌ رجيم جنّد نفسه للغواية والفساد.

٣ـ أنبياءُ الله ورسله لم يكونوا دعاةَ استيطان أو احتلال:

فمِن الثابت تاريخيًّا أنّ الأنبياء والمرسلين بعثهم الله على فتراتٍ متعاقبة لهداية الخلق إلى الحقّ «سبحانه وتعالى»، وكانت الأمم والشعوب تنقسم أمامَ دعوة الله إلى مصدّقين ومكذبين، وبذلك كانت تتشكّل الأمة المسلمة في كلّ عصرٍ من جموع المصدّقين التابعين لنبي الله أو لرسوله، ولم يكنْ هناك تفاضلُ بين أتباع الأنبياء والرسل إلّا على أساس التقوى والعمل الصالح.

وقد انطبقت هذه القاعدة على أبناء يعقوب (إسرائيل في اللّغة العبرية) كما انطبقت على غيرهم.

والإلمامُ التاريخي بحركة الأنبياء والرّسل مِن لدُن إبراهيم (عليه السلام) وحتى بعثة محمدّ ﷺ تدلّ على ذلك وتؤكّده.

فإبراهيم (عليه السلام) لم يكن قوميًّا ولا عنصريًّا بل كان حنيفًا مسلمًا يبحث دائمًا عن أرضٍ تستجيب لدعوة الله ممّا دفعه للهجرة من موطنه الأصلي (أرض الرّافدين) إلى بيت المقدس، وذلك لما لاقاه من عنتٍ وصدود من قومه الذين كانوا يعبدون الأصنامَ والشمس والقمر والنجوم، وتبعهُ في ذلك نبيُّ الله لوط (عليه السلام) حيث هاجرَ معه، واستقرّ على مقربةٍ منه في أرض بلاد الغور بفلسطين، وشرع في دعوة الناس إلى الله.

وأمّا إبراهيم (عليه السلام) فقد التقى بالملائكة، وهُم مارُّون في طريقهم لإنفاذ أمر الله في قوم لوط حتى أخبروه أنّ أمرَ الله قد صدر، ولا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا

حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢، ٨٣) ولكنّ الملائكة بشّروه في هذا اللّقاء بميلادِ إسحاق من السيدة سارة، وكذلك بميلاد يعقوب من إسحاق كما كان له من قبْل إسماعيل مِن السيدة هاجر، وبذلك بدأتْ سلسلة النبوّات في أبناء إبراهيم (عليه السلام) فكان إسماعيل نبيًّا وكان إسحاق وكان يعقوب (إسرائيل) ثمّ كان ليعقوب اثنا عشر ولدًا أشهرُهم يوسف (عليه السلام).

لقد كان يعقوب (إسرائيل) على دين أبيه إسحاق وجدّه إبراهيم عليهما السلام- وهو الإسلام- أي أنه لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: ١٣٥-١٣٦).

٤ـ القرآنُ الكريم هو الذي حفظ تاريخَ موسى وكلّ الأنبياء والرسل:

ولعلّ هذا من فضل الله (عز وجل)، أن يحفظ لنا أخبارَ هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)، لقد سبق في علمِه (سبحانه وتعالى) أنّ اليهود سيزيّفون تاريخ الرسل والأنبياء ويشوّهونه، بل ويجهلون به؛ تحقيقًا لأهدافهم الخبيثة، فأنزل الله (سبحانه وتعالى) مِن علمه المكنون وحيًا على قلبِ رسول الله محمدّ ﷺ بيانًا شافيًا كافيًا فيما يتّصل بحقيقة الأمر وهو:

إنّ إبراهيم نبي مسلم، وإسحاق نبي مسلم، ويعقوب نبي مسلم، وأبناء يعقوب والأسباط مسلمون، وداود نبي مسلم...

ويتجلّى ذلك واضحًا- أيضًا- في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (البقرة آية ١٢٨: ١٣٣) فإبراهيم (عليه السلام) يدعو الله هو وإسماعيل أن يكونا مسلميْن ومِن ذريتهما أمّة مسلمة.

والله (سبحانه وتعالى) يطلب مِن إبراهيم أن يكون مسلمًا فيعلنُ إبراهيم إسلامَه.

ووصّى بها إبراهيمُ ويعقوب أبناءهما أن يكونوا مسلمين يعيشون على الإسلام، ويموتون عليه. وحينما حضرتْ يعقوب الوفاة ذكَّر أبناءه بوصيّته، وأخذ عليهم العهد أن يكونوا مسلمين، وأن يموتوا على الإسلام. فلله الحمدُ والمنّة، فلولاه (سبحانه وتعالى) لما أمكن للبشريةِ أن تعرف تلك الأنباء التي وقعت منذ أربعة آلاف عام أو يزيد، وما كان لنا أن نتعرّف على حقيقة الدّين الذي كان يدين به هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) وما يترتّب على ذلك من أحكام شرعيّة في تعامل المسلم مع غيره من الناس.

ومِن ذلك يتّضح بجلاءٍ أنّ الصهاينة المعاصرين لا علاقة لهم بإسرائيل، وأنهم ليسوا على دينه وملّته، بل على العكس والنقيض فهُمُ الآن يشيعون في العالم كلّ محرم ومنكرٍ وفاحشة مِن خمر ومخدرات وربا وفحش وزنا، وهُمْ صنّاع ذلك كلّه ومروّجوه والساهرون عليه.

ومِن الثابت تاريخيًّا أيضًا أنّ يعقوب (عليه السلام) ولد له ذريةٌ ونسلٌ كثير، وكانوا يسمّون «قبائل» كما ولد له اثنا عشر ولدًا، وكان لكلّ ولد قبيلة (سبط) في اللّغة العبرية، وجمعها أسباط. وهؤلاء الأبناء الاثنى عشر يمثّلون الجيلَ الأول من بني يعقوب (بني إسرائيل) كانوا جميعًا من الصالحين، ولكنْ على درجات متفاوتة مِن الصلاح، وكما عُرف ذلك مِن خلال سورة يوسف وتفضيل يعقوب لبعض أبنائه على البعض الآخر، وكان أحبّ الأبناء إليه يوسف (عليه السلام).

كادَ إخوة يوسف له حتى كان من أمره ما قصّه القرآن بالتفصيل في سورة يوسف حتى استقرّ مقامه في مصر، وأصبح وزيرًا للخزانة عند الحاكم المصري في ذلك الوقت. وقام يوسف (عليه السلام) بدعوة أبويه وبقية عائلته (بني إسرائيل) ليعيشوا في كنفه وتحت رعايته في مصر.

وعاش إخوة يوسف «أبناء يعقوب النبي المسلم» بين ظهرانيّ سكان وادي النيل قرونًا عديدة، ويبدو أنّ الإسلام قد انتشر على أيديهم، واستمرّ الحال هكذا، حتى بدأت الدّعوة تخبو في النّفوس والصدور، وبدأ بنو إسرائيل الممكّنون يزحزحون عن مكان القيادة؛ لأنّ الخيرية بدأت تنزع عنهم تدريجيًّا بسبب بعدهم التاريخي عن نظام الإسلام وشريعته، سلّط الله عليهم الفراعنة، فأسقطوا نظامَ الحكم الذي قام

على أكتاف يوسف (عليه السلام)، والذي تسمّيه الكتب (حكم الهكسوس)، وقام مكانه نظامٌ وثني جاهلي طاغوني هدفُه: أن لا يكون على أرض وادي النيل إنسانٌ يقول: لا إله إلا الله.

وهذا سببُ الحقد الأساس من الفراعنة على بني إسرائيل؛ لأنّ بني إسرائيل (إخوة يوسف) كانوا مسلمين، والإسلامُ يقوم على قاعدة (لا إله إلا الله) أي لا معبودَ بحقّ إلّا الله، أي لا سلطان مع سلطان الله، وذلك يعني سقوطَ سلطان الطواغيت ومنهم الفراعنة، وهذا هو السببُ الحقيقي لعَدَاء الفراعنة لبني إسرائيل.

وفي ظلّ النظام الفرعوني عاش بنو إسرائيل في مصر مستذلّين كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ ولعلّ ما أصابهم كان من الابتلاء بالضرّاء لعلّهم يرجعون.

عاش بنو إسرائيل بين ظهرانيّ سكان وادي النيل (مصر) وهي محكومةٌ بنظام فرعوني طاغوني- أو ما يسمّونه حكم الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٩٠ ق.م)؛ ادّعى الألوهيّة والربوبية، وكان لا يطيق أنْ يرتفع صوت بـ (لا إله إلا الله).

وعاش بنو إسرائيل مضطهدين، ولكن رغم ذلك محتفظين- لا أقولُ جميعهم وإنما الكثيرون منهم- بأصلِ ديانته وعقيدته وهي الإسلام، ولم يتجاوزوها إلى عبادة آلهة المصريّين سواء أكانت أوثانًا أو حكّامًا.

خلاصاتٌ مهمّة:

وممّا تقدّم من سردٍ تاريخي تتّضح لنا عدة خلاصات مهمّة للغاية فيما يتعلق بموضوعنا، نوضّحها كما يلي:

١ـ أنّ إبراهيم وذريته: إسحاق ويعقوب والأسباط «أبناء يعقوب» كانوا قبيلةً واحدة من بين شعبٍ بأسره كان يسكن أرض فلسطين وما حولها، وأنّ الذين آمنوا بدعوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، والذين يشكّلون في مجموعهم الأمة المسلمة في ذلك الوقت؛ كانوا جزءًا من الشعب الكبير الذي سكن هذه المنطقة، وليس صحيحًا ذلك الادّعاء القائل بأنّ فلسطين وما حولها كانت ملكًا لقبيلة واحدة دون الناس.

٢ـ أنّ إبراهيم وذريّته مِن بعده لم يكونوا مهتمّين بتملّك الأرض، إنما كان جلّ همّهم وشاغلُهم الأعظم هو نشرَ دعوة الإسلام، وتثبيتَ أركان الدين، ولذلك لم يتردّد إبراهيم ومعه لوطٌ في ترك موطنهم الأصلي، والهجرة إلى بيت المقدس، وكذلك لم يتردّد يعقوب وبنوه في الذّهاب إلى مصر حيث الأرض المناسبة لنشر الإسلام، والدّعوة إليه في كنف يوسف (عليه السلام).

لقد أحدثتِ الصهيونية تحوّلًا جذريًّا في اليهودية عندما جعلتِ الأرض هي المعبودَ وليس الله الذي بشّر الرسل بعبادته.

وبذلك يتّضح لنا- بجلاء- أنّ الدعوة الاستيطانية للصهاينة المعاصرين والذين أثبتنا آنفًا أنهم بعيدون كلّ البُعد عن دين يعقوب؛ ليست إلّا دعوةً عنصرية ونعْرة جاهلية باغية، وبغير سندٍ تاريخي أو ديني.

بعثَ الله موسى من بني إسرائيل رسولًا إلى فرعون، وكان بينهما صراعٌ طويل انتهى بهلاك فرعون وغرقه في البحر.

وتشكّلت أمةُ موسى عن حشدٍ كبير من الناس منهم المصريّون كسحرة فرعون، الذين آمنوا بربِّ هارون وموسى، والمؤمنُ من آل فرعون الذي كان يكتمُ إيمانه، وامرأةُ فرعون، وكثيرٌ غيرهم، وكذلك من بني إسرائيل. وبذلك يسقط ادّعاء الصهاينة المعاصرين أن أمّة موسى كانت محصورةً في بني إسرائيل.

وقد خضعتِ الأمة المسلمة في عهد موسى لذاتِ القانون الذي طبّق على مدار التاريخ، فمَن استمرّ مِن هؤلاء على إيمانه وتقواه والاستمساك بدين الله؛ فهو مِنَ المسلمين ومِن أمة موسى، ومَن خالف وعصى وغدر وخان؛ فقدْ كفرَ وصار من الكافرين، لا فرق في ذلك بين مصري مِن أصل فرعوني أو آخر يعقوبي (إسرائيلي)، ولعلّ أشهر أمثلة الكفر والفسوق كانت من بني إسرائيل، وعلى رأسهم قارون الذي خسفَ الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ...﴾ (القصص: ٧٦).

ومن الثابت تاريخيًا أنّ موسى دعا قومَه للجهاد في سبيل الله لفتح البلاد المجاورة، وهي بيت المقدس وما حوله في ذلك الوقت، ولكنّهم نكصوا وتخاذلوا عن الجهاد، وقالوا لموسى: اذهبْ أنت وربّك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، فعاقبهم الله بالتّيه أربعين سنة توفي في أثنائها موسى (عليه السلام) وخلفه في قيادة القوم صالحون آخرون منهم يوشع بن نون الذي قاد عملية الجهاد ضدّ الجبابرة الذين كانوا يسكنون فلسطين، ونصره الله عليهم، ودخل بيت المقدس بجيشٍ من الصالحين.

وهكذا عاشت الأمة الإسلامية في كلّ مِن مصر وسيناء وفلسطين وشمال الجزيرة العربية وبعض أرض العراق، واستتبّ لها الأمر في هذه المنطقة، ولكنّها كالعادة البشرية ضعُفَ استمساكها بالرسالة السماوية، فأرسل الله رسلًا مبشّرين ومنذرين حتى كانت رسالة عيسى (عليه السلام)، وعندما بعث عيسى آمنَ به مَن آمن، وكفرَ به مَن كفر، غير أنّ معظم الكافرين والمتآمرين عليه كانوا مِن بني إسرائيل حتى همّوا بقتله، فاقتضتْ إرادةُ الله أن ينتهي بذلك دورُ هذه الفئة البشرية فيما يتعلق بالدعوة إلى الله وحمل رسالته، فكانت نبوةُ محمدٍ ﷺ وهو مِن نسل إسماعيل إعلانًا لانتقال الخيريّة إلى نسل إسماعيل.

ولئن كانَ حقدُ بني إسرائيل قد وقعَ على أنبياء مِن بني جلدتهم فقد كان حقدهم على النبي الجديد وهو مِن نسل إسماعيل أكبر، فوقفوا منه موقفَ المحاربين والمعاندين الصادّين عن سبيل الله، فتصدّى لهم وحي الله يكشفُ حيلَهم ومكرهم ومواقفَهم التاريخية المخزية.

انتهى الأمر في النهاية بهزيمتهم المنكَرة في ميدان العقيدة وميدان الحرب في آنٍ واحد، وبعد وفاته ﷺ أكمل صحابتُه مِن بعده فتح البلدان المجاورة وعلى رأسها بلاد الشام، وأهمّها بيت المقدس الذي فتحَه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه المسجدُ الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ، وكنيسة القيامة، وكنيسة بيت لحم، وكلّها آثارُ الأنبياء والمرسلين الذين يعتبرون جزءًا من إيمان المسلم، وقد فرضَ الله على المسلمين حمايةَ هذه الآثار المقدسة وتحريرَها.

ثمّ دار التاريخ دورتَه، وضعف أخذُ الناس بالإسلام، وضعفت شوكتُهم، ودارت المعارك بينهم وبين أعدائهم سجالًا فكانَ النصر للجاهلية متمثّلة في التتار، ثمّ هزيمتهم على يدِ قطز في عين جالوت، ثمّ انتصرت الجاهلية متمثّلة في الصليبيين،

ثمّ كانت هزيمتُها على يدِ البطل صلاح الدين ومَن معه من الصالحين، ثمّ كان عصر الاحتلال العسكري الذي ابتليت به البلدان الإسلامية، والذي مكّن للصهاينة في أرض فلسطين والذين لا يزالون يحتلّونها حتى الآن، وإنّ هزيمتَهم لآتية لا ريبَ فيها عندما تأخذُ الأمة الإسلامية بأسبابِ النصر التي شرعها الله (سبحانه وتعالى) وصدقَ الله العظيم القائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٦).

فهل يبقى للصهاينةِ- بعد ذلك- ما يسمّى بالحقّ التاريخي في فلسطين!؟

ومِن أين لهم هذا الحقّ وحقائقُ التاريخ بين أيدينا جليّة واضحة نستقيها من كتاب الله (جلّ وعلا) الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، ومِن سنة نبيّه ﷺ وسيرته المطهرة، ومِن الواقع الذي عاشته أمتُنا في صراعها مع هذه الفئة الباغية والعصابة المجرمة.

إنّ الوحيَ والتاريخ والواقع أثبت أنّ هؤلاء ليسوا إلّا محتلين كغيرهم مِن التتار والمغول والصليبيّين والإنجليز والفرنسيّين إنّه احتلال ككلّ احتلالٍ مرّ بالمنطقة، وإن خروجهم من فلسطين أذلةً صاغرين هي الحقيقة التاريخية الوحيدة بإذن الله.

إنّ قوافل الأحباش الفلاشا والهنود واليهود والرّوس الملحدين والأمريكان شذّاذ الآفاق، وكلّ مَن هبّ ودبّ مِن الحثالات البشرية الذين يتوافدون على فلسطين في هجرةٍ جماعية لم يسبق لها مثيل؛ دليلٌ شاخصٌ بين أيدينا على أنّ المحتلّين الصهاينة ليسوا أصحاب الأرض كما يزعمون.

٥ـ الشعوبُ العربية لم تقبل تقسيم فلسطين والمقاومةُ لمْ ولنْ تتوقّف:

٥٠٠٠ عامٍ مضتْ على بدء النضال العربي والإسلامي دفاعًا عن فلسطين..

فقبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) بحوالي ٣٠٠٠ عامًا قاتلت قبائلُ الكنعانيّين العرب والآراميّين العرب غزاةَ أرضهم فلسطين.

وبعد ميلاد المسيح بـ ٦٣٧ عامًا.. قاتل العرب المسلمون لتحرير فلسطين من المحتلّين الرومان. وبعد ميلاد المسيح بـ ١٠٩٩ عامًا.. قاتل المسلمون الجيوشَ الصليبية لمدّة قرنين من الزمان دفاعًا عن فلسطين إلى أنْ تمّ تحريرها كاملة.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٢٦٠ عامًا.. قاتل المسلمون التتارَ في عين جالوت بالقرب مِن بيسان، وحرّروا فلسطين منهم.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٨٥٠ عامًا.. رفض السلطانُ العثماني المسلم عبد المجيد مشروعًا بريطانيًّا لتهجير اليهود إلى فلسطين، كما قام ابنُه السلطان عبد الحميد في عام ١٨٩٢ بطردِ المستوطنين بالقوّة.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٠٠ عامًا.. كان الشعب الفلسطيني قد بدأ كفاحَه ضد الغزو الاستيطاني الصهيوني.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٤٨ عامًا.. خاضت البلدانُ العربية حربًا لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٦٧ عامًا.. ورغم الهزيمة.. رفض الحكامُ العرب الاعترافَ بإسرائيل في مؤتمرهم بالخرطوم عاصمةِ السودان وأعلنوا لاءاتهم الثّلاث (لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف بإسرائيل).

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٧٩ عامًا.. بدأ التآكلُ في المواقف العربية الرسميّة باعتراف مصر بإسرائيل، واستمرّ التآكل العربي الرسمي إلى قمّة فاس في ١٩٨٢ بقبول مبادرة السعودية إلى مؤتمر مدريد في ١٩٩٢ إلى أوسلو ١٩٩٣ واتفاق غزة/ أريحا، إلى معاهدة السلام الأردنية- الإسرائيلية في ١٩٩٤ والاستباق إلى علاقات شرق أوسطيّة مع الدّولة الصهيونية إلى اختتام عام ١٩٩٤ بزيارة رابين سلطنةَ عمان على ضفاف الخليج.

غير أنّ الشعوب كان لها موقفٌ آخر تمثّل في الرفض التامّ لكلّ مواقف الحكومات ومعاهداتها مع العدو المحتلّ، ورفض كافة الضغوط التي مارستها القوى الاستعمارية الدوليّة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وتبلور هذا الرفض الشعبي في بروز عدّة منظّمات جهادية على الأرض الفلسطينية لتعلنَ للعالم أجمع عودةَ القضية إلى وضعها الطبيعي كقضية أمّة، ولتعلن الجهاد طريقًا وحيدًا لتحرير فلسطين كلّ فلسطين من النهر إلى البحر، وفي مقدمة هذه المنظمات حركةُ المقاومة الإسلامية (حماس) ومنظمة الجهاد الإسلامي، وطلائع فتح، وكما خرج كلُّ الغزاة مِن قبْلُ أذلةً صاغرين؛ فغدًا نشهدُ جلاءَ الصهاينة المحتلّين.

إنّ سقوط القدس في يدِ الصليبيّين قبل ذلك لم يكن إلّا لظروف مشابهة تمامًا لسقوط فلسطين في أيدي الصهاينة اليوم، كما أنّ انتصارنا على الصهيونية اليوم مرهونٌ بإيجاد الظروف التي كان عليها المسلمون عندما انتصروا على الصليبيّين، وقهروهم على العودة إلى بلادهم أذلّاء صاغرين.

فهذا هو الشاعر أبو المظفر الأبيوردي، ممثّل القرن الخامس الهجري في نادي الفكر العربي، وصفَ حالَ الأمة آنذاك عندما هاجمنا الصليبيّون:

مزجنادماءبالدّموعالسواجم

فلم يبق منّا عرضة للمراجم

وشر سلاح المرء دمعٌ يريقه

إذاالحرب شبّت نارها بالصوارم

أتهويمة في ظلّ أمن وغبطة

وعيش لنوار الخميلة ناعم

وكيف تنام العين ملء جفونها

على هفوات أيقظتْ كلّ نائم

وأقول: لقد نامت العيون خمسين سنة قبل أن يتحرّك الشرق العربي لمواجهة المحتل، والاحتفاء بدعوة قاضي دمشق إلى الجهاد في ديوان الخليفة بوصفها أول عملٍ مشهود مِن أعمال المقاومة.

استكانتِ الأمّة خمسين سنة معتمدةً على حكّامها الذين غرقوا في ملذّاتهم حتى ماتت منهم القلوب، ونامت منهم العيون، وغرقوا في مستنقعِ الانقسام والجبن والتّخاذل.

الباحثون الإسرائيليون يولونَ الصليبيّة عناية فائقة، يرونَ فيها التجربة السالفة، فالغزو الصهيوني يشبه في غزوه واحتلاله الغزوَ الصليبي، يهتمّون بالمشكلات التي واجهت الصليبية: الأمن، الاستيطان، والمستوطنات الحربية، نقص في الطاقات

البشرية. يدرسون الموقفَ في الشرق العربي الإسلامي عشيّة الهجمة الصليبية، ويحللون عناصره، ويدرسون كيف استيقظ الوعي في الأمة، وكيف تنادت فصائلُها للجهاد حتى صار الجهاد نهرًا جارفًا كسح أمامَه كلّ الصليبيين، وطهّر الأرض العربية من رجسهم. الصهاينة يدركون جيدًا أنّ الجهاد هو العملاق الكامن في قلب الأمة، ويخشون قيامه، ويروْن في هذا القيام قيامتهم ويوم زوالهم، وهذا هو السرّ وراءَ ذُعر الصهاينة من مجرّد كلمة الجهاد، ومحاولاتهم المستمرّة لمحْوها من قاموس العرب.

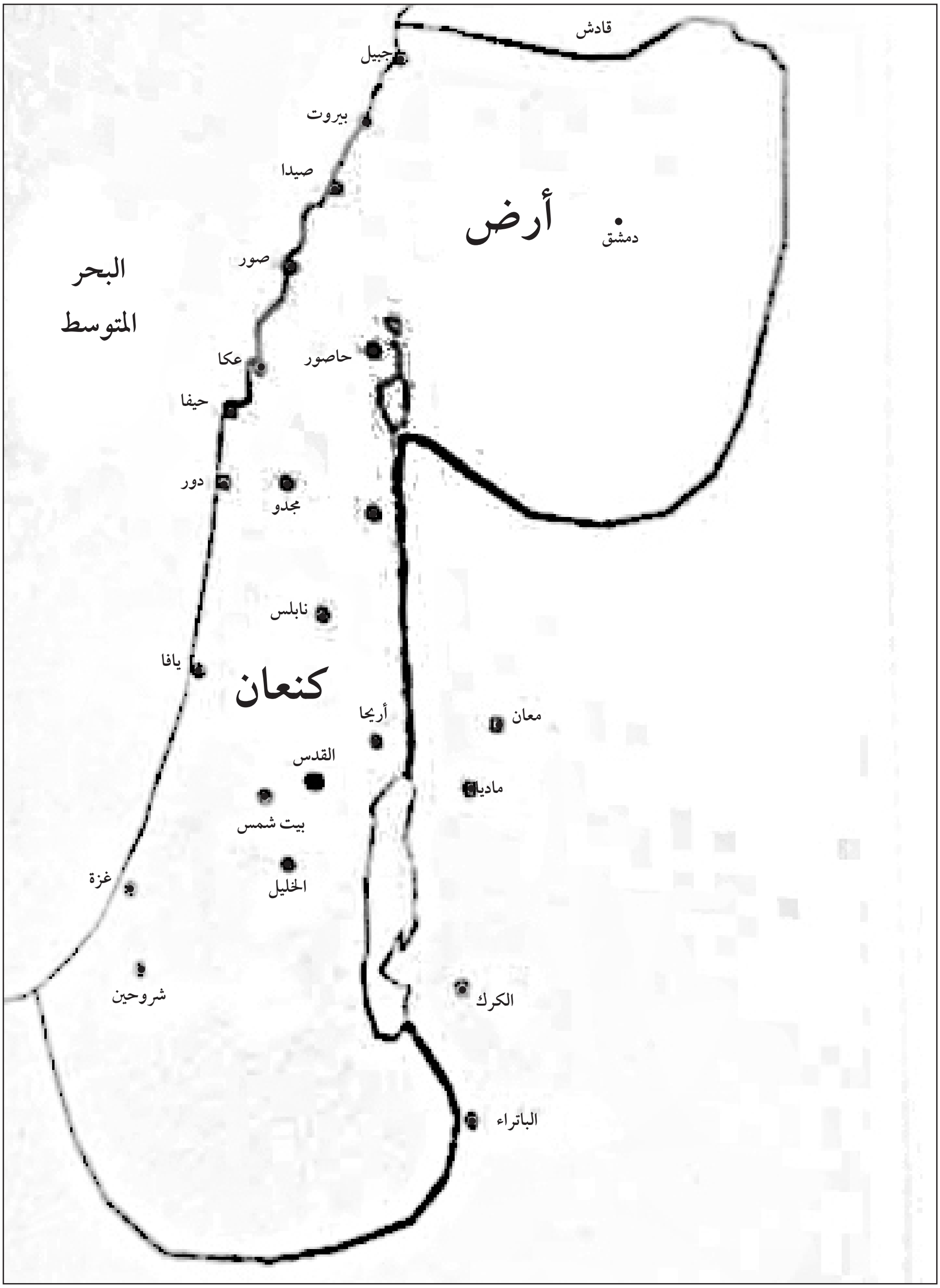
والدّارسون منهم للتاريخ عامّة وتاريخ الحروب الصليبية خاصّة؛ يدركون أنّ مصير الصهيونية كمصير الصليبيّة إلى زوال وهزيمة، ويرتجفون مِن هذا اليوم، ويحاولون تأخيرَه بكلّ وسيلة.

لقد أثبتتِ المقاومة الفلسطينيّة الباسلة في مواجهة ما سمّاه الصهاينة بعملية الجدار الواقي خلالَ هجومِهم الإجرامي في أبريل ٢٠٠٢ على الشعب الفلسطيني؛ أثبتتِ المقاومةُ أنّ فجر الجهاد قد بزغ، وأنّ الجهاد هو اللّغةُ الفصحى التي يفهمها المحتلّ الغاصب، وأنّ التاريخ قد دار دورتَه، وبدأ العدّ التنازلي للصهيونية المحتلة، وغدًا تتحرّر فلسطين، ويخرجون منها أذلةً صاغرين.

أهمُّ الأحداث التاريخيّة لفلسطين

العام	الحدث
٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م	استقرار القبائل الأمورية والكنعانية العربية في فلسطين.
١٨٥٠ ق.م	هجرة النبي إبراهيم من العراق إلى فلسطين.
١٦٥٦ ق.م	نزوح أحفاد إبراهيم من فلسطين إلى مصر.
٩٣٣ ق.م	انتهاء حكم الملك سليمان بن داود، وانقسام اليهودية.
٧٣٢ ق.م	خضوع فلسطين للحكم الأشوري.
٧٢٢ ق.م	زوال المملكة الإسرائيلية.
٦٠٨ ق.م	عودة الحكم المصري لفلسطين.
٦٠٥ ق.م	خضوع بلاد الشام للكلدانيين.
٥٨٦ ق.م	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس.
٥٣٨ ق.م	غارة الفرس على فلسطين.
٣٣٢ ق.م	غارة الإسكندر المقدوني على فلسطين.
٦٣ ق.م	دخول الرومان فلسطين.
٤٠ ق.م	دخول الفرس فلسطين مرة أخرى.
٣٨ ق.م	عودة الحكم الروماني للبلاد.
٤ ق.م	ولادة السيد المسيح ووفاة هيردوس الكبير.
١٣٥ م	إخماد ثورة «بركوكب» اليهودي ضد الرومان، وتشتت اليهود في أقطار العالم.
٢٦٧ م	احتلال زنوبيا ملكة تدْمر لفلسطين.
٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدْمر وعودة الحكم الروماني للبلاد.
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين.
٦٢٧ م	عودة الحكم الروماني.
٦٣٦ م	الفتح الإسلامي لفلسطين.
١٠٩٩ م	دخول الصليبيين القدس.
١١٨٧ م	معركة حطين بين المسلمين والصليبيين.
١٢٦٠ م	معركة عين جالوت بين المماليك والتتار.
١٢٩١ م	تطهير فلسطين نهائيًّا من الصليبيين على يد المماليك.
١٥١٦ م	بداية الحكم العثماني.
١٩١٧ م	الاحتلال البريطاني ووعد بلفور.
١٩٤٨ م	إعلان دولة إسرائيل عقب الانسحاب البريطاني بساعات.

فلسطينُ في عهد العرب الكنعانيّين (نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م)



المصدر: الموسوعة الفلسطينية ـ الجزء الثالث ـ ص٦٦٩

الفصلُ الثّاني

الثّوابتُ الجغرافيّة

أهميّةُ فلسطين الجغرافيّة للعالَمين العربي والإسلامي

١ـ فلسطين بوابةُ العالمَيْن العربي والإسلامي.

٢ـ احتلال فلسطين تهديدٌ مباشر للعالمين العربي والإسلامي.

٣ـ اغتصاب فلسطين تمّ بالقوة والإرهاب.

٤ـ حقّ العودة مقدّس وقانوني وممكِن.

١ـ فلسطين بوابةُ العالميْن العربي والإسلامي:

يئنّ العالمُ اليوم مِن مشكلات كثيرة تتعلّق بالجغرافيا، ومِن ذلك النزاعات الحدودية، والنزاعات على مصادر الثرواتِ الطبيعية، وفي مقدمتها البترول والمعادن المهمّة، كما تشكّل المواقع ذاتُ الطبيعة الاستراتيجية المهمّة نقاطَ احتكاك وصراع دولي مستمرّ.

وفلسطين- جغرافيًّا- تمثّل حلقةَ اتصالٍ بين جناحي العالم الإسلامي.. المشرق والمغرب، وحلقةَ اتصالٍ بين جناحي العالم العربي.. الجناح الإفريقي والجناح الآسيوي.

وفلسطين بوابةُ العالم الإسلامي والعالم العربي للقادمين مِن أوروبا بغرض الغزو أو السّيطرة.

وتمثّل فلسطين مدخلًا طبيعيًّا إلى مقدّسات المسلمين الكبرى الثلاث: الكعبة المشرفة بمكة المكرمة، مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله بالقدس.

وبالنسبة لمصر، فإنّ فلسطين تمثّل بوابتها الشرقية التي دخلت منها كافةُ القوات الطامعة في مصر منذ فجرِ التاريخ وحتى يومنا هذا، فأرضُ فلسطين امتدادٌ طبيعي لمصر مِن الناحية الشرقية.

وفي الآونة الأخيرة، بعد اكتشاف البترول في المنطقة العربية ومنطقة الخليج العربي، زادت أهميةُ المنطقة بالنسبة للعالم الغربي الذي يعتمدُ على البترول في كلّ جزئيات حياته ومكوّنات حضارته.

كلّ هذه الأهمّيّات الجغرافيّة لفلسطين كانت حاضرةً في عقل ووجدان الصهاينة وهُمْ يخطّطون لاغتيال فلسطين وسلبِها في غفلةٍ من العالميْن العربي والإسلامي.

ويشكّل البعد الجغرافي لفلسطين كموقع استراتيجي مهمٍّ حجرَ الزاوية في المشروع الصهيوني- الأمريكي لإبقاء فلسطين محتلّة إلى أطول فترةٍ تاريخيّة ممكنة.

ويعتبر الموقعُ الاستراتيجي لفلسطين، وأهميتها البالغة للأمة العربية والإسلامية؛ أهمَّ الدوافع المعاصرة لكلّ ما يجري مِن تواطؤ أمريكي وغربي مع الحركة الصهيونية المحتلة لفلسطين.

وعقيدتُنا اليومَ أنّ المسألة عند هؤلاء الصهاينة ومعاونيهم من القوى الاستعمارية ليست مسألةَ دينية أو توراتيّة أو غير ذلك ممّا يقولونه من افتراءات وتخاريف، ولكنّها- إلى جانب ذلك- مسألةُ النّهم والشّره لأكل أموال الناس بالباطل، والسيطرة والسيادة على مقدّرات النّفط ومناطق المرور المهمّة، وتعميق حالة التخلّف الاقتصادي بين العرب والمسلمين، وخنقهم اقتصاديًّا وعلميًّا وتكنولوجيًّا، حتى تبقى بلادُنا ضعيفة ومحتاجة وغيرَ قادرة على مواجهتهم وطردِهم من أراضينا السّليبة في فلسطين وغيرها.

٢ـ احتلالُ فلسطين تهديدٌ مباشر للعالميْن العربي والإسلامي:

عقدَ في لندن ١٩٠٧/ ١٣٢٥هـ مؤتمرٌ يتكوّن من بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وإيطاليا، على مستوى أساتذة الجامعات والخبراء من جميع النّواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية، واستغلّ اليهود ذلك المؤتمر، وسيطروا على جلساتِه، ووجّهوه لتصدرَ قراراتُه متفقةً مع الأماني الصهيونية.

لقد أجمع المؤتمرُ في العديد مِن جلساته على إجراء دراسات وأبحاث تحفظُ للدول الاستعمارية سيطرتَها على مستعمراتها، وتمنع انهيارَ إمبراطوريتها، وعقَدَ المؤتمر أولى جلساته في لندن، وجاءَ في توجيهات رئيس الوزراء كامبل للمؤتمر «إنّ الإمبراطورية

تتكّون وتتّسع وتقوى، ثمّ تستقر إلى حدّ ما، ثمّ تنحلّ رويدًا رويدًا، ثمّ تزول.. فهل لديكم أسبابٌ أو وسائلُ يمكن أن تحول دونَ السقوط أو الانهيار، أو تؤخّر مصير الاستعمار الأوروبي، وقد بلغ الآن الذّروة، وأصبحت أوروبا قارةً قديمة استنفذت مواردَها وشاخت معالمها، بينما العالمُ الآخر لا يزال في شبابه يتطلّع إلى مزيدٍ من العلم والرفاهية، هذه هي مهمّتكم أيّها السادة، وعلى نجاحها يتوقّف رخاؤنا وسيطرتنا».

وجاءت القراراتُ متفقةً تمامًا مع ما كانت تحلمُ به الصهيونية:

١ـ أهمية السيطرة على البحر المتوسط شريانِ المواصلات الرئيس بين الشرق والغرب.

٢ـ استبعاد أي خطرٍ على الاستعمار، في أيّ من المستعمرات، عدا منطقة البحر المتوسط التي يكمنُ فيها الخطر على الاستعمار؛ لأنها مهدُ الحضارات، ويسكنها شعبٌ له مقومات الوحدة، فإذا تجمّعت هذه المقومات مع نزعة هذا الشعب للتحرّر، فسيكون في ذلك الضربة القاضية على الاستعمار، ولذلك فإنّ على الدول الاستعمارية ذات المصلحة المشتركة أنْ تبقي وضعَ هذه المنطقة على ما هو عليه مجزّأة متأخّرة، وأن يبقى شعبُها على ما هو عليه من تفكّك وجهل.

٣ـ لمواجهة هذا الخطر يجبُ فصلُ الجزء الإفريقي عن الجزء الآسيوي، وذلك لإقامة حاجزٍ بشري قوي وغريب في منطقة الجسر البري الذي يربط آسيا وإفريقيا على مقربةٍ من قناة السويس، لتكونَ قوّة صديقة للاستعمار وغيره لسكان المنطقة.

وهكذا وجدَ الاستعمارُ الصهيوني ضالّته المنشودة لإقامة ذلك الحاجز البشري.

ومِن الجدير بالذكر هنا أنّ الكونجرس الأمريكي بمجلسَيْه الشيوخ والنواب، أصدر قرارًا في ٢١ من سبتمبر ١٩٢٢ يؤيّد فيه إقامة وطن قومي National home للشعبِ اليهودي في فلسطين دونَ مساس بالحقوق المدنيّة أو الدينية للنصارى أو غيرهم.

وبعد مرور قرنٍ من الزمان على الصراع العربي الإسلامي– الصهيوني، فقد تأكّد الآن للكافّة مدى الخطورة التي يشكّلها وجود المحتل الأجنبي على أرض الرباط المباركة فلسطين، لقد دفعت الدول المجاورة لفلسطين ثمنًا باهظًا لهذه النكبة، ولا تزال تدفعُ الكثير.

فعلى المستوى العسكري: لا تزال هذه الدولُ تخصّص ٥٠٪ من ميزانياتها لأغراض الدّفاع بهدف الرّدع، ومع ذلك لم تحقّق هدفها في الردع؛ لأنّ فلسطين لا تزال محتلّة بقوات أجنبية.

وعلى المستوى الاقتصادي: فمشروعات التنمية باتتْ معطّلة في دول الطوق وما أقامته تلك الدول من المنشآت دمّرته الحرب مرّات عدة، كما أنّ الحرب تستنفد خيرةَ الشباب القادر على العمل منذ باتتْ فلسطين محتلّة بالصهيونية، كما أن الصهاينة قاموا بتدْمير المفاعل النووي العراقي، ولا يزالون يتعقّبون كلّ بادرة في هذا المجال بالتدمير والإبادة.

وعلى المستوى الاجتماعي: فقد خلّفت الحربُ آلاف الشهداء وآلاف الأرامل والأيتام، كما أنّ مدنًا كاملة تمّ تهجيرها، وصاحب ذلك آثار اجتماعية سلبية كثيرة، كما خلّفت الحرب آلافَ المعوّقين والمرضى، وترتّب على احتلال فلسطين قطْعُ الصّلات البرية بين شطري العالميْن العربي والإسلامي.

وعلى المستوى السياسي: فإنّ الصهيونية تعمل على بثّ الفرقة بين البلدان العربية، وتسعى بالوقيعة بين بلداننا وبلدان العالم كلّه.

وعلى المستوى الداخلي: فالعالم العربي يعيشُ في حالة الطوارئ منذ خمسين سنة، كما أنّ العالم الغربي يدعمُ الديكتاتورية ويعوقُ مسيرة الديمقراطية خوفًا من وصول معارضين للصهيونية إلى سدّة الحكم في العالم العربي.

ولو حاولنا تقصّي خطورة وجود محتلّ على أرض فلسطين تقصّيًا كاملًا ما وسعنا هذا المؤلَف.

٣ـ اغتصابُ فلسطين تمّ بالقوة والإرهاب:

ومِن ناحية الجغرافيا السكانيّة وتملّك الأرض، فقد روّج الصهاينة لحملة من الأكاذيب حول حركةِ السّكان في فلسطين مِن بداية هذا القرن وملكيّتهم للأرض الفلسطينية.

ومِن هذه الأكاذيب، أنّ الفلسطينيين باعوا أرضَهم، والحقيقة التي توضّحها الأرقام هي: أنّ الفلسطينيّين لم يبيعوا أرضهم ولم يفرّطوا في شبرٍ واحد منها، ولكنّهم طُردوا منها جبرًا وبقوّة الإرهاب، وتحت تهديدِ القتل لَمن بقيَ منهم بعد أنْ قُتل الآلاف بالفعل، ثمّ توالت الحروبُ التي مكّنت الصهيونية من ابتلاع كلّ فلسطين، **وتحتاج هذه المسألةُ بالذّات إلى إيضاحٍ بالأرقام والتواريخ.**

يقول الباحث الفلسطيني د. سليمان أبو ستة في دراسة منشورة بمجلة العربي مايو ٢٠٠٠ بعنوان:

نكبة فلسطين.. متى يمكنُ أن تزول؟

▪ **ما النّكبة؟**

إنها فصلُ الشعب عن أرضه، وطردُ أهالي ٥٣١ مدينة وقرية من ديارهم عام ١٩٤٨ وهُم ٨٥٪ من أهالي الأرض التي أصبحتْ تسمّى إسرائيل، وأرضهم هذه تساوى ٩٢٪ من مساحة إسرائيل.

خلاصةُ القول إنّ ٧٠٪ من شعب فلسطين أصبح مِن اللاجئين الذين يصلُ عددُهم اليومَ إلى ٥٢٠٠٠٠٠، ومِن هؤلاء أقلّ مِن ٤ ملايين مسجّل لدى وكالة الغوث الدوليّة

التي تقدّم لهم ضروريات الحياة بشكلٍ يتناقص كلّ عام. أرضُهم في إسرائيل مساحتُها ١٨,٧٠٠ كيلو مترًا مربعًا، صادرتها إسرائيل، وتؤجّرها لليهود فقط، وبدأت الآنَ تبيعها لكلّ مشترٍ يهودي حتى لو لمْ يكنْ يحمل الجنسية الإسرائيلية، ولو كان يعيشُ في إستراليا، وتمنع حتى مجرّد تأجيرها لفلسطيني يحملُ الجنسية الإسرائيلية.

■ كيف حدثتِ النّكبة؟

في عام ١٩١٧ خانتْ بريطانيا وعودَها للعرب بمنحِ الاستقلال لهم عندَ إزالة الحكم التركي عنْ بلادهم، وأصدرتْ على لسان وزير خارجيتها «وعد بلفور» في ٢ من نوفمبر ١٩١٧ الذي «ينظر بعين العطف» إلى إنشاءِ وطنٍ قومي لليهود في فلسطين، كان هذا وعد «مَن لا يملك لَمن لا يستحقّ» دون علم صاحبِ الحقّ، وخلال ٢٨ عامًا مِن حكم الانتداب البريطاني سنّت بريطانيا القوانين، واتّخذت الإجراءاتِ التي سهّلت إنشاء هذا الوطن حتى أصبحت دولة عام ١٩٤٨، وكان عددُ اليهود عند الاحتلال البريطاني ٥٦,٠٠٠ أي ٩٪ من مجموع السكان، غالبيتُهم من رعايا الدّول الأجنبية.

وما إنِ انتهى الانتدابُ عام ١٩٤٨ حتى أصبح عددُهم ٦٠٥,٠٠٠ يهوديًّا، نتيجة الهجرة الظاهرة والخفيّة التي سمحت بها بريطانيا رغمَ معارضة الأهالي ومقاومتهم وثوراتهم، وأهمّها ثورة ١٩٣٦م.. وهكذا أصبح اليهود يمثلون ٣٠٪ من سكان فلسطين الذين بلغ عددُهم حوالي مليوني نسمة عامَ النكبة.

وماذا عن الأرض؟ لقد كثّفت الصهيونية جهودها، وجنّدت موظفي حكومة الانتداب الصهاينة لإعطاء اليهود حقّ امتياز استغلال الأراضي التي اعتبرت أملاكَ دولة، وأنشأت بريطانيا إدارةً للمساحة هدفُها تحديد ملكية كلّ أرض لمعرفة كيفية الاستيلاء

عليها، ثمّ تدفّقت أموال اليهود لشراء الأراضي بأسعار خياليّة. وكانت ضالّتهم المنشودة كبار الملاك الغائبين من رعايا الدول العربية المجاورة، وبعدها اتجهوا إلى كبار الملّاك الفلسطينيّين الذين يعيشون في المدن، أمّا الفلاحون المتمسّكون بأرضهم يفلحونها منذ مئات السنين؛ فقد ضيّقت بريطانيا عليهم الخناق بفرض الضرائب الباهظة عليهم حتى لا يجدَ الفلاح المسكين غير المرابي اليهودي لإقراضه مقابلَ رهن أرضه التي لا تلبثُ أن تقع في حوزة اليهودي بسبب عدم السّداد، ورغم هذه الجهود المكثّفة لم تنجح الصهيونية في الاستحواذ على أكثر من ٦٪ من مساحة فلسطين أو ١,٦٨١ كيلو مترًا مربعًا، منها ١٧٥ كيلو مترًا مربعًا امتيازات تأجير طويل الأمدِ منحتها بريطانيا لليهود، ٥٧ كيلو مترًا مربعًا حصة في أرض غير مفروزة، ١,٤٤٩ كيلو مترًا مربعًا تملّكها اليهود مباشرة وإنْ لم يتمّ تسجيلها كلها بشكل قانوني.

■ **مَن الذي باع هذه الأرض؟**

تقول إحصائية الوكالة اليهودية إنّهم اشتروا ٥٢,٦٪ من الأراضي من كبار الملاك الغائبين غير الفلسطينيّين، ٢٤,٦٪ من كبار الملّاك الحاضرين الفلسطينيين، ١٣,٤٪ من الكنائس والشركات الأجنبية، أمّا نصيب الفلاحين المرهقين ضريبيًّا فكان ٩,٤٪ من الأراضي المبيعة أي نصف في المائة من مساحة فلسطين.

■ **تقسيمٌ جائر:**

وهكذا بعد تعاونٍ بريطاني صهيوني استمرّ ٢٨ عامًا، لم تنجح الصهيونية إلّا في الاستحواذ على ٦٪ من مساحة فلسطين، لكنّها نجحت في زيادة عدد اليهود إلى ٣٠٪ من مجموع السكان، عندئذ نقلت الصهيونية جهودَها إلى أمريكا، واتخذت من رئيسها

هاري ترومان مناصرًا لها وقف ضدّ وزير خارجيته لكي تضغط أمريكا بكل قواها على الدول الصغيرة وتهدّدها بقطع المعونات إذا لم تصوّت لصالح تقسيم فلسطين بين أهلها أصحاب الحقّ فيها وبين مهاجرين غرباء لا يعرفون اسم المدينة التي وصلوا إليها، وكانت الطامةُ الكبرى على العرب عندما نجح قرار التقسيم بأغلبية ضئيلة لكي يوصي بإنشاء دولة يهودية على ٥٤٪ من أرض فلسطين، ودولةٍ عربية على باقيها مع تدْويل القدس تحت إدارة منفصلة.

هذه المهزلةُ التاريخية قضتْ بأن تفرض أقليّة أجنبية مهاجرة سيادتَها على أكثر من نصف فلسطين أي تسعة أضعاف ما كانت تملك، وتقيم فيها دولة عبرية نصف سكانها عرب وجدوا أنفسهم بين يوم وليلة رعايا دولة أجنبية غازية، أمّا الدولة العربية المقامة على باقي فلسطين، فكلّ سكانها عرب وليس فيها إلّا حفنة من اليهود، والناظر إلى الخرائط الموضّحة للقرى التي نهبت يهولُه عددُ القرى الفلسطينية التي وقعت فريسةً لهذه السيطرة الأجنبية، بينما لا توجدُ بالكاد مستعمرات يهودية إلّا في الدولة العبريّة فقط، وحتى هذه المستعمرات على كثرتها الظاهرة لم تكن إلّا قواعد محصّنة يسكن الواحدة منها من ١٠٠ إلى ٢٠٠ شخصًا من حاملي السلاح.

بدأ تنفيذ الخطة في أوائل إبريل ١٩٤٨ أثناء وجود الانتداب البريطاني، وبدأت بوصْل الأراضي اليهودية ببعضها، ثمّ الاستيلاء على الأرض العربية حولها، وطرد سكانها. اتّبعت القوات اليهودية سياسةَ التنظيف العرقي، كانت تحيط القرية من ثلاثِ جهات وتترك الرابعة مفتوحة، ثمّ تجمع سكان القرية في مكانٍ وتختار عددًا من الشباب لإعدامِهم أو تقتلهم بالرصاص أو تحرقهم إذا وجدتهم مختبئين في مسجدٍ أو كنيسةٍ أو غار، وتترك الباقين ليهربوا وينقلوا أخبارَ الفظائع أو تأخذ بعضًا منهم لأعمال السّخرة

لنقل أحجار البيوت العربية التي هدمتها أو حفر قبور لَمَن قتلتهم، ولا ينسى أحدٌ مذبحةَ دير ياسين، وهي واحدة من ١٧ مذبحة اقترفت أثناءَ الانتداب، و ١٧ أخرى بعده، ولم تحرّك القوات البريطانية ساكنًا لحماية الأهالي حسبَ ميثاق الانتداب، وما إنْ جاءت نهاية الانتداب حتى سيطرت إسرائيل على ١٣٪ من مساحة فلسطين، وطردت ٤٠٠٠٠٠ لاجئًا من ١٩٩ قرية، وأعلنت قيامَ دولتهم على هذه الرّقعة، ولكن دونَ تحديد أي حدود، فلا يزال النّهم الصهيوني لابتلاع الأرض في أوّله، وسيطرت الدولةُ الجديدة- آنذاك- على معظم السّهل الساحلي وشريط غربي نهر الأردن حول بحيرة طبرية، وشريط يصلُ بينهما في مرج ابن عامر على شكل حرف N، وسقطت في يدِها مدنٌ فلسطينية مهمّة مثل: يافا، وحيفا، وطبرية، وصفد، وبيسان، وأشرفتْ عكّا على السقوط.

بدأت بشاعةُ الكارثة تظهرُ للعيان، ووصلت أخبار المذابح وأشهرُها دير ياسين إلى الشعب العربي في كلّ العواصم، فهاجَ واستنكرَ سكوتَ حكوماتِه وتقاعسَها.

■ الحرب الصوريّة:

دخلت قواتٌ نظامية صغيرة من الدول العربية متفرّقةً غير متعاونة لحماية الشعب الفلسطيني من هذه الكارثة استجابةً لغضبة الشعب العربي وتظاهراته، ولم تكن بريطانيا تسمحُ لها بدخول فلسطين قبل ذلك لو أرادت، لكنّ قدرات الجيوش العربية العسكرية وعددَها كان أقلَّ بكثير من القوات الصهيونية التي أصبحت الآن تسمّى بإسرائيلية.

جاءت القواتُ النظامية إلى فلسطين دون خطةٍ موحّدة أو معرفة بالبلاد أو بالعدو، وكان عددُها مجتمعة- حتى لو كانت تحت قيادة موحدة- لا يتجاوز ثلثَ القوات الإسرائيلية، ثمّ نصفها في آخر مراحل الحرب، ولذلك لم تتمكّن من وقف المدّ الإسرائيلي

الذي سرعانَ ما انتشر ليحتلّ اللدّ والرّملة، ويمدّ جسرًا إلى القدس، ويحتلّ مساحات واسعة في الجليل.

وبذلك احتلت إسرائيل ٦,٣٠٠ كيلو مترًا مربعًّا خارج مشروع التقسيم، أصبح كسبها من الأرض العربية اثنى عشر ضعفًا للأرض اليهودية عام ١٩٤٨م. وكان هذا كسبًا، أيُّ كسب.

أمّا على الصعيد الإنساني، فقد خلّفت هذه النكبة وراءها حوالي ٩٠٠,٠٠٠ لاجئًا طُردوا من ٥٣١ مدينة وقرية، نزحوا إلى الجنوب المتبقّي من قطاع غزة وإلى الشرق، فيما أصبح يعرفُ بالضفة الغربية، وإلى الشمال نحو سوريا ولبنان، وأصبحت النكبةُ بقعةً سوداء في التاريخ العربي دفع ثمنَها قادةٌ وحكامٌ بحياتهم، وأزيلت عروشٌ وسقطت أنظمة، ولا يزال يدفع ثمنَها اليومَ خمسة ملايين لاجئٍ داخل فلسطين وحولها وفي الشّتات.

٤ـ حقّ العودة مقدّس، وقانوني، ومُمْكن:

يطرح البعضُ سؤالًا يقول: هل يمكن أنْ يعود اللاجئون الفلسطينيّون إلى ديارهم بعد كلّ هذه التغيرات التي أحدثتها الصهيونية على الأرض الفلسطينية خلال سلسلةٍ طويلة من الحروب والتعدّيات؟

وللإجابة على هذا السؤال؛ نقول إنّ حق العودة مقدّس وقانوني وممْكِن.

فهو مقدّس؛ لأنّه في وجدان كلّ فلسطيني، وهو المطلبُ الأول لكل فلسطيني رغم خمسين عامًا مِن التشريد، ولأنّنا مطالَبون بأن نقفَ مع المظلوم صاحب الحقّ، حتى يسترد حقّه كاملًا مهما كانت قوة الظالم أو القوى التي تساندها.

وهو حقّ قانوني؛ لأنّه من حقوق الإنسان الأساسيّة أن يعود كلّ إنسانٍ إلى وطنه، ولأنّ حقّ العودة وحقّ الملكية في الأرض والديار؛ حقّ أبديٌّ فردي وجماعي لا ينتزع بالاحْتلال أو بالسيادة الدوليّة، ولا تنزعُه أي معاهدة أو اتفاق، ولا يحقّ لأحد التنازلَ عنه بالنيابة، وهو حقّ قانوني كذلك لأنّ المجتمع الدولي يؤيد حقّ اللاجئين في العودة إلى ديارهم بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ والذي أكّدته الأممُ المتحدة أكثر من ١١٠ مرّات، ولأنّ احتلال الأرض بالقوّة غيرُ مشروعٍ، وسيزول بزوال القوّة.

وحقّ العودة ممْكِن؛ لأنّ ٧٨٪ من اليهود يعيشون في ١٥٪ من فلسطين المحتلة، و٢٢٪ من اليهود يعيشون في ٨٥٪ من فلسطين المحتلة، ولأنّ معظم الصهاينة يعيشون في المدن، وأنّ ٢,٧٪ فقط منهم يستغلون كلّ الأراضي الفلسطينية السليبة تحتَ مسمّى مجتمعات الكيبوتس التي أفلست اقتصاديًّا وأخلاقيًّا، وهجرها معظمُ سكّانها ممّا دفع الحكومة الإسرائيلية للإعلان عن تأجيرها لصهاينةٍ آخرين من خارج فلسطين المحتلة، والأولى أنْ يعود إلى هذه الأرض أصحابُها الفلسطينيون.

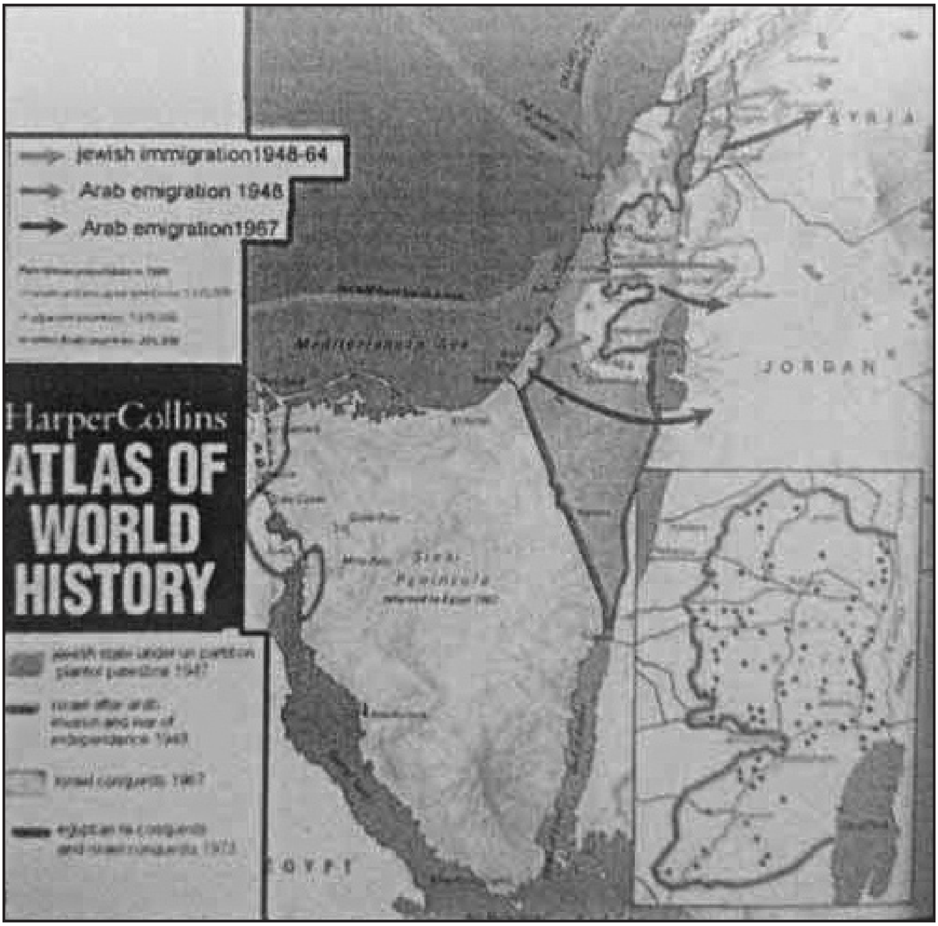
إنّ الدراسات تدلّ على أنّ ٢٠٠٠٠٠ يهوديًّا صهيونيًّا يستغلّون ١٧٣٢٥٠٠٠ دونمًا هي إرثُ وتراثُ ٥٢٤٨١٨٥ لاجئًا فلسطينيًّا محرومين من العودة ومكدّسين في المخيمات، أو في أرض الشّتات (إحصاء ١٩٨٥).

الصراعُ السّكاني في فلسطين

بين المحتلّين وأصحابِ الأرض

السّنة	اليهودُ في فلسطين		الفلسطينيون داخلَ فلسطين		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
١٩١٧	٥٦٠٠٠	٠,٨	٦٤٤٠٠٠	٩٢	٧٠٠٠٠٠
١٩٣٢	١١٢٠٠٠	١١,٣	٨٨١٦٩٠	٨٨,٧	٩٩٣٦٩٠
١٩٤٨	٦٥٠٠٠٠	٣١,٥	١٤١٥٠٠٠	٦٨,٥	٢٠٦٥٠٠٠
١٩٨١	٧٠٠	٥٨,٢	١٤٢١٧٧٩	٤١,٨	٣٤٠٣٤٧٩
١٩٦٩	٢٤٩٠٠٠٠	٦٤,٢	١٣٨٧٧٠٠	٣٥,٨	٣٨٧٧٧٠٠
١٩٨٠	٣٢٨٣٠٠٠	٦٤,٣	١٨١٩٠٠٠	٣٥,٧	٥١٠٢٠٠٠
١٩٨٥	٣٥١٧٠٠٠	٦٢,٧	٢٠٩١٠٠٠	٣٧,٣	٥٦٠٨٠٠٠
١٩٨٨	٣٦٥٩٠٠٠	٦١,٣	٢٣٠١٠٠٠	٣٨,٧	٥٩٦٠٠٠٠
١٩٩٠	٣٩٢٦٠٠٠	٦٠,٢	٢٥٩٧٠٠٠	٣٩,٨	٦٥٢٣٠٠٠
١٩٩٤	٤٤٥٥٣٠٠	٦١,٥	٢٧٨٩٠٠٠	٣٨,٥	٧٢٤٤٣٠٠
٢٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠	٥٣,٧٥	٣٧٠٠٠٠٠	٤٦,٢٥	٨٠٠٠٠٠٠

أطلسٌ أمريكي يعترفُ بالغزو الصهيوني



الفصلُ الثّالث

ثوابتُنا في اليهودِ والصهيونيّة

خطرُ اليهود

١ـ اليهودُ والصهيونيّة العالميّة.

٢ـ الصهاينة المحتلّون لمْ ولنْ يكونوا دُعاة سلام.

٣ـ الصهاينةُ وراء كلّ بليّة ابتُليت بها البشرية.

٤ـ اليهودُ والصهاينة أمّة تحملُ خصائصَ نفسيةً بالغة التعقيد.

٥ـ جرائمُ اليهود في ضوءِ الأحداث والدراسات المعاصرة.

٦ـ وثيقةٌ تاريخيّة مهمّة.

١ـ اليهودُ والصهيونيّة العالمية:

قبل أنْ نشْرَع في التفاصيل المتعلّقة بهذا الموضوع، لا بدّ مِن التنويه إلى مسألة يثور فيها الجدلُ هذه الأيام، وهي العلاقة بين اليهودِ والصهيونية، والردّ على السؤال الذي يثيرُه البعض حول مشروعيّة محاربة اليهود بوصفهم مِن أهل الديانات السّماوية.

وبدايةً، أقرّر بأنّ الإسلام الحنيفَ الذي ندينُ به لم يجعل مجرّد الكفر سببًا لمقاتلة الكافرين من أهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى. ولكنّ السبب الذي مِن أجله شرعَ القتال هو جريمةُ الصدّ عن سبيل الله ومنع المسلمين قصرًا من إبلاغ دين الله وفتنة المسلمين في دينهم بإرغامهم على تركِه ومحاربتهم لكوْنهم مسلمين، أو عقابًا لهم على اعتناقهم دين الله الإسلام.

وانطلاقًا من هذا التصوّر الإيماني عاشت طوائفُ من اليهود مع النبي ﷺ في المدينة المنورة، وكان بينه وبينهم عهدٌ وميثاق، ولم يقمِ المسلمون بمحاربتهم إلّا بعدما نقضوا العهود، وتآمروا على المسلمين، وتعاونوا مع خصومِ الإسلام فخانوا وغدَروا وعرّضوا حياة المسلمين للخطر.

كما أنّ الإسلامَ شرع القتال لردّ الظلم وردْع الظالم، حتى ولو كان الظالم من المسلمين، والدليلُ على ذلك قولُه تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ.. ﴾ (الحجرات: ٩).

وعندما يقوم الإنسانُ بردّ عدوان أو ظلمٍ يقع عليه، فلن يكون مكلّفًا أن يفتّش في هويات الظالمين والبغاة قبل أن يردّ ظلمهم، ويكسر شوكتَهم، ويمنعهم من الظلم سواء كانوا يهودًا أو صهاينة.

وأمّا العلاقة بين اليهوديّة والصهيونية، ففيها عدّة مسائل:

١ـ اليهودُ المذكورون في القرآن هُم جماعة بشرية تدّعي زورًا أنّها تتبع الدينَ الذي جاء به نبي الله موسى (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) وهُم يكفرون بنبي الله عيسى ونبي الله محمّد ﷺ، وقد بيّن القرآن وبيّنت السنة الكثير مِن الدّلائل على كفرهم بالله وملائكته ورسلِه واليوم الآخر، كما بيّنت خبثَ نفوسهم وسوءَ أخلاقهم وكراهيتَهم للمسلمين، ومع ذلك يعاملون كما يدعون كأهلِ كتاب، وحكمُهم في الإسلام أنّهم مِن أهل الكتاب الذين كفروا بنبوّة محمّد ()، وتطبّق عليهم أحكامُ الجهاد حسب موقفِهم من المسلمين، فالمحاربون لهُم الحرب، والمعاهدون لهم عهدُهم، والمواطنون في بلادِ المسلمين لهم حقوق المواطنة، وكلّ اليهود الذين دخلوا فلسطين بعد وعدِ بلفور ١٩١٧ بغرض الاستيطان وحتى اليوم يُعتبرون من المحاربين المُعتدين، ولا فرقَ بين مدني وعسكري؛ لأنّهم جميعًا موظّفون لغرضِ سرقة فلسطين وإيذاء المسلمين.

٢ـ الصهيونية حركةٌ يهودية عنصريةٌ استعمارية تهدف إلى تمكين اليهود من رقاب العالم وإذلالِه والهيمنة عليه، والقضاء على الدّين كلّه، وخاصة الإسلام بوصفه العقبةَ الأساسية في وجْه مشروعاتهم الشّريرة.

٣ـ نسبة اليهود الذين يدْعمون الصهيونية في العالم تصلُ إلى ٩٩٪ تقريبًا من جملة اليهود في العالم.

٤ـ تطلق كلمةُ اليهود اليومَ من قِبَل العرب على العدوّ المحتل لأرضنا في فلسطين، وهي كلمةٌ تدلّ على عموم المشاركين من اليهود في العالم في هذه الجريمة النّكراء في حقّ المسلمين والعرب والبشرية كلّها، وما ترتّب عليها مِن أضرار بالغة بالعرب والمسلمين، وخاصة أهل فلسطين.

٥ـ القلّةُ القليلة التي يقال إنّها لا تؤمن بالصهيونية ولا تحذو حذوَها في الاعتداء على فلسطين أرضًا وشعبًا مُستثناةٌ في الواقع العملي للشعوب العربية والإسلامية بدليل تواجد أقلّيات يهودية حتى اليوم بين جنبات المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي في مصر واليمن والمغرب وتونس وتركيا... إلخ.

وبذلك يبدو لنا أنّ الجدل القائم في هذه المسألة يعَدّ من المِراء الذي لا ينبني عليه عمل، ومع ذلك فلا ضررَ منَ التّنويه إلى حقيقةِ موقف الإسلام الذي يفرّق بين اليهودية كدينٍ كتابي، ويصنّف أهله تحت مسمّى أهل الكتاب، ويرتّب على ذلك حقوقًا لهم وواجباتٍ عليهم في حالة وجودهم في كنفِ الدول المسلمة وبين الصهاينة بوصفهم قطاعًا من اليهود اعتنقوا مذهبًا عنصريًّا إمبرياليًّا استعماريًّا بوصفهم محاربين معتدين ليس لهم إلّا الحرب والمقاومة، كما أنه من مصلحة القضية الفلسطينية تثبيتُ هذه المبادىء وإبرازها كلّما لزم الأمر.

٢ـ الصهاينة المحتلّون لمْ ولنْ يكونوا دُعاة سلام:

لعلم الله الأزلي بأنّ هذه العصابة الصهيونية سوف تشكّل أكبر عقبةٍ في وجه تقدّم البشرية نحو حياةٍ إيمانية سعيدة، فقدِ استفاض كتابُه العزيز في شرح صفاتها؛

وذلك بهدف أنْ تتجنب البشرية الوقوعَ في شباكهم الإعلاميّة المضلّلة التي تضفي عليهم صفاتٍ حسنةً ومواصفات مثالية لا تمتّ لهم بصِلة، بل الحقيقة أنهم على عكس ما يشيعون عن أنفسهم تمامًا...

ففي سورة البقرة، تراهم على النحو التالي الذي أثبتتْه الآيات (من آية ٤: آية ١٠٥):

١ـ يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا.

٢ـ يلبسون الحقّ بالباطل ويكتمون الحقّ وهم يعلمون.

٣ـ اتخذوا العجلَ معبودًا من دون الله.

٤ـ وقالوا لموسى (عليه السلام): لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.

٥ـ بدّلوا قول الله وعملوا بخلافه، فأنزل عليهم رجزًا من السماء.

٦ـ وأنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

٧ـ كانوا يكفرون بآيات الله.

٨ـ ويقتلون النبيّين بغير الحقّ.

٩ـ وأنهم عصوا، وكانوا يعتدون.

١٠ـ اعتدوا في السّبت، فمسخهم الله قردةً خاسئين.

١١ـ ماطلوا في إنفاذ حكمِ الله بذبح البقرة التي فرضها الله عليهم.

١٢ـ قلوبُهم قاسية فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة.

١٣ـ يسمعون كلام الله، ثمّ يحرفونه مِن بعد ما عقلوه وهُم يعلمون.

١٤ـ مخادِعون يلقون الناسَ بوجهٍ ويفارقونهم بوجْهٍ آخر.

١٥ـ يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هو مِن عند الله.

١٦ـ يكذبون على الله ويقولون إنه وعدَهم بأيامٍ قليلة من العذاب، ويدخلون بعدها الجنة.

١٧ـ نقضوا عهدَ الله وعهد رسوله وخالفوا أمرهما.

١٨ـ يؤمنون ببعضِ الكتاب ويكفرون ببعض.

١٩ـ يحكّمون الهوى والشهوات، ومَن خالفهم مِن الرسل في ذلك فريقًا كذّبوا وفريقًا يقتلون.

٢٠ـ قلوبهم غلّفها الباطل بكثرة معصيتهم.

٢١ كفروا بالنبي والقرآن عن علمٍ وقصْد.

٢٢ـ هُم الذين قالوا سمعْنا وعصينا.

٢٣ـ ولتجدنّهم أحرص الناس على حياةٍ ومن الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة، وما هو بمزحزحه مِن العذاب أن يعمّر.

٢٤ـ أعداءُ الله وملائكته، وخاصة جبريل صاحب الوحي وميكال.

٢٥ـ هُم الفاسقون الكافرون بآيات الله.

٢٦ كلّما عاهدوا عهدًا نبذَه فريقٌ منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون.

٢٧ـ ينبذون كتابَ الله وراءَ ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

٢٨ـ تركوا منهجَ الله، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان.

٢٩ـ يتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم.

٣٠ـ وأنّهم لا يودّون للمؤمنين خيرًا قط.

(راجع نَصّ الآيات)

وأمّا في سورة الإسراء، فجاءت صفاتُهم على النّحو التالي:

١ـ أنّ المسجد الأقصى وما حوله وهو كلّ فلسطين مكانٌ طاهر، ولا يترك هؤلاء يقتربون منه أو ينجسوه.

٢ـ أنهم سيفسدون في الأرض ليس مرةً واحدة إنما مرتين.

٣ـ أنهم مَهزومون مَدْحورون في المرّتين على يدِ المؤمنين عباد الله الصالحين.

٤ـ وفي المرّة الآخرة فسيأتي الله بهم لفيفًا من كلّ مكان ليلقوا حتفهم حيثُ أراد الله.

(راجع نَصّ الآيات)

وأمّا في سورة الحشر، فهُم:

١ـ يظنّون أن قوة الحصون أقوى من الله، فكذّبهم اللهُ وهزمَهم، وأخرجهم منها.

٢ـ هزيمتُهم أولًا بالرّعب الذي في قلوبهم.

٣ـ يخربون بيوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

٤ـ ذلك كلّه بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله.

(راجع نَصّ الآيات)

وفي سورة الجمعة:

١ـ مثلُهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، فلا يستفيدون من دين الله الذي يدّعون الانتسابَ إليه بشيء قط.

٢ـ يعلمون ما ارتكبوا مِن معاصي، وبما يترتبُ عليه خوفهم من الموت وإعراضهم عنه لتأكّدهم من وقوع عذاب الله عليهم.

(راجع نَصّ الآيات)

وهذا غيضٌ مِن فيْض حفلت به آياتُ القرآن الكريم وأحاديثُ النبي والمستندات التاريخيّة حول صفاتهم الذّميمة.

٣ـ الصهيونيةُ وراء كلّ بليّة ابتُليت بها البشرية:

وأمّا التاريخ المعاصر فقد أثبتتْ وقائعه صدقَ هذه المرجعيّات بما يزيد المؤمنين إيمانًا بما هُم عليه من عقيدةٍ صحيحة في اليهود والصهيونيّة، فالصهاينة وراءَ كلّ بلية ابتُليت بها البشرية، وعلى رأسِ هذه البلايا:

١ـ الإلحاد والشيوعية. (طالع تاريخ الحركة الشيوعية فستجد معظمَ مؤسّسيها يهودًا).

٢ـ الربا والفوائد الربوية.(طالع مسرحية تاجر البندقية، وتاريخ النظام المالي الربوي).

٣ـ المخدرات والخمر والقمار والميسر. (معظم عصابات المافيا والمخدرات مقرّها الكيان الصهيونى).

٤ـ الزنا والفاحشة والعري. (ولهم فى ذلك نشاطٌ عالمي وشبكات فساد ومجلات ووسائل دعاية ومراكز إباحية فى كلّ مكان).

٥ـ القتل والإرهاب وسفك الدّماء بالباطل.

٦ـ إشعال الحروب بين الناس، وإشاعة الفوضى في العالم، وتأليب القوميّات والنّعرات الجاهلية. وما يحدث للعالم العربي اليومَ من فرقة مذهبيّة واقتتال طائفيّ فى سوريا والعراق واليمن وليبيا وراءَه الصهاينةُ بالتحريض والتسليح.

٤ـ اليهودُ والصهاينة أمةٌ تحملُ في نفسها خصائصَ بالغة التعقيد:

تتلخّص هذه المشكلة في أنّ اليهودَ أمةٌ تحملُ في أعماقها خصائص نفسيّة بالغة التّعقيد، وتنطوي على أخلاقٍ غاية في العِوج والالتواء، ولذلك تموجُ صدورهم بحقدٍ طافح على الناس جميعًا، وتتأجّج جوانبهم- دائمًا- بوخزِ هذا الغلّ المحتدم، فيسعون في الأرض فسادًا، ولا يروْن لأنفسهم راحةً أو سعادة إلّا على أنقاض الآخرين، ولا يستريحون إلّا بالدسّ والكيد والتآمر والبغي والتخريب والانتقام، وإنه لأمرٌ عُجاب أن توجد أمةٌ من البشر على هذا النّمط، وتمتدّ في سلسلة واحدة عبر الأزمنة والأمكنة، وتتأصّل في أجيالها جميعًا كلّ خلائق السوء إلى هذا الحدّ الرهيب، ويكاد العقلُ ينكر هذا للوهْلة الأولى، ولا يصدّق استمرارَ هذا السّعار النفسي في الجيل بعدَ الجيل، على امتدادِ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. ولكنّ هذا- فعلًا- هو واقعُ اليهود ودينهم الذي صنعوه لأنفسهم، وأشربته قلوبُهم على تعاقب القرون والأجيال حتى صار كأنّه سليقة مُكتسبة تنتقل مع «حاملات الوراثة» إلى دماء الأخلافِ عن الأسلاف.

«فالمشكلةُ اليهودية» ابتداءً وانتهاءً إلى نوعية «الشخصية اليهودية» ذاتها، وما درجت عليه من بغضاء وإيذاء.

الحقدُ دينٌ:

وكانت جنايةُ الجنايات في التربية اليهوديّة جعلهم ذلك كلّه دينًا وعقائدَ وشعائر وشرائعَ ينسبونها- بزعمهم- إلى الوحي الإلهي، فتضفي ستارًا من القداسة الدينية على هذه الأخلاق الدنيئة، وتعطيها حوافزَ الإلزام والاحترام لدى الأجيال اليهودية.

وقد أمعنَ أحْبارهم في اختلاقِ القصص والتّعاليم التي تؤجّج سعارها وضراوتها كلّما وهنتْ في الصدور، أو خمدتْ جذوتُها بتتابع العصور، وبذلك استقرّت واستمرّت، وتشابهت فيها قلوبُ الأوّلين والآخرين.

معضلةٌ عالميّة:

وهذا الحقدُ اليهودي موجّه إلى الناس جميعًا مِن قديم، ولم تفلتْ منه أمّة قط، بل إنهم ليمدّونه إلى عالم الغيب، بعد أنْ ضاقت عنهم الأحياءُ والأشياء في عالم الشّهادة، وهذه حقيقةٌ تاريخية معروفة ومؤكّدة، ولم يجْلها على نطاقٍ واسع إلّا القرآن العظيم الذي فصّل أمرها، وردّها إلى جذورها ومنابتِها العَفنة، وكشفَ مداخلها ومخارجَها في «النفسيّة اليهودية»، وساق للناس دلائلها من واقع التاريخ اليهودي الذي كان قد طُمس، وجهلت حقائقه وحوادثه وما وراءها مِن بواعث وأهداف.

والقرآن الكريم- كما سنرى في هذه الدراسة- ينفردُ بشمول حديثِه عن هذه «الشخصية اليهودية» المعقّدة، وباستخراج المقوّمات الثابتة والمشتركة في أفرادها،

والتي يمكننا على ضوئها استقراء مكوّنات هذه النفسيّة، وفهم اتجاهاتها، وتصور ردودِ الفعل عندها، واحتمالات تصرّفاتها المنعكسة عن أعماقها وأخلاقها.

وقدْ جاءت الدّراسات العالمية الحديثة- وعلى أيدي غير المسلمين- شاهدة بصدْق على كلّ كلمةٍ جاء بها القرآن العظيم، وشارحةً ومفسّرة لإشاراته المعجزة، ومصداقًا واقعيًّا لقول الله (عزّ وجل): ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت: ٥٣).

خلاصةُ الخطّة الصهيونيّة:

والخطوطُ الأساسيّة التي تدورُ عليها خطةُ الصهيونية، هي:

أ ـ خسّة الغاية:

إذْ هدفُهم الأساسُ هو «تحطيم العالم» في عقائده، وأخلاقه، وروابِطه، حتى يتمكّنوا من القفْز إلى السّلطة العالمية بلا مقاومة.

ب ـ دناءةُ الوسائل:

فهُم لا يعرفونَ في سبيل غايتهم رحمةً، ولا خلقًا، ولا ضميرًا قطّ. ينبغي التنبيهُ إلى أنّ تعاليم «التّلمود» تجعل استعمالَ هذه الأشياء في معاملةِ غير اليهود إثمًا يوجبُ غضبَ ربهم الذي اخترعوه وصوّروه حقودًا، لدودًا، شَرهًا للخراب والدّماء.

ولذلك يستعملون أخسّ الوسائل، مثل:

١ـ السّعي إلى تمزيق العالم، وتدويخ شعوبهِ في متاهات الفِكر، والفقر، والمذاهب، والخلافات... إلخ (البروتوكول ١٠).

٢ـ تلويثُ سمعة كلّ مَن يعارضهم، والتآمرُ العنيف عليه حتى يحطّم، أو يقتل غدرًا وغيلةً بواسطة عملائهم وجواسيسهم.. إلخ.

مثالٌ صارخ:

وهو مثالٌ يدلّ على إدْراك اليهود للقوّة الحقيقيّة التي يخشونها، وعلى مبلغِهم مِن الإجرام والخسّة في الغايات والوسائل جميعًا:

جاءَ في «البرتوكول ١٧»: «لقد عنينا أكبرَ عناية، منذُ زمن بعيد، بالحطّ من قيمة رجال الدّين مِن الأغيار، وتحطيم رسالتهم لأنّها تعطّل علينا أعمالنا بشكل أساس، وها هو نفوذُهم يتقلّص عن الشعب يوميًّا، وقد أعلنّا حريةَ الضمير في كلّ مكان، ولم يبقَ على النتيجة إلّا مسألة وقت، عندما ينهارُ الدّين المسيحي انهيارًا كاملًا».

٥ـ وثيقةٌ تاريخيّة مهمّة:

هذه الوثيقة عمرُها أكثرَ من ٢١٢ سنة، تحذّر من خطر اليهود الخطير، في أمريكا النسخة الأصلية مِن هذه الوثيقة موجودةٌ في معهد فرانكلين- فلادلفيا- منذ ٢١٢ عامًا، واقتبست مِن محاضر جلسات تشارلز بيكين جنوب كارولينا المنبثقة عن المؤتمر الدّستوري لعام ١٧٨٩ المتعلّقة ببنيامين فرانكلين، وداخل المؤتمر المتعلّق باليهود، وهذا نصُّها.. قال:

يوجد خطرٌ عظيم على الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطرُ الخطير هُم - اليهود - أيّها السادة: في أي أرض يحلّ بها اليهود، ويستقرّون بها، يكبحونَ جماحَ المستوى الأخلاقي كما يخفضون تجارة الشّرف، ويبقون مُنعزلين ولم يستوعبوا وكانوا ظالمين، دائمًا يحاولون خنقَ الأمّة ماليًّا كما حصلَ في البرتغال وأسبانيا منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة؛ حيث وقعوا في قدرهم المؤسِف، وطُردوا من أرضهم في أسبانيا والبرتغال.

ولكنْ أيّها السادة: إذا أعاد العالم المتمدّن اليهودَ وأعطاهم فلسطين وممتلكاتهِم، فسوف يجدونَ وسائل متعدّدة كيْلا يعودوا إلى هناك- لماذا؟ لأنّهم مصاصو دماء مُبتزّون، وأناس هذه ميزاتُهم لا يستطيعون أن يعيشوا مع بعضِهم البعض، بل يجبُ أن يعيشوا مع الغير- أي المسيحيين وغيرهم- ممّن لا ينتمون إلى عنصرهم..

أيّها السادة: إذا لم يُطرد اليهودُ من الولايات المتحدة الأمريكية بالقانون، ففي غضون أقلّ من ١٠٠ سنة فسوف يتدفّقون إلى البلاد وبأعدادٍ كبيرة، وبهذا سوف يَحْكموننا ويهدموننا ويغيّرون تكوين دولتنا التي نصيرَ فيها نحن الأمريكيّين الأصليّين ننزفُ دماءنا، ونضحّي بأنفسنا وممتلكاتنا وحرّياتنا وهويّتنا الشخصية والذاتية.

أيّها السادة: إذا لم يُطرد اليهودُ خلال ٢٠٠ سنة؛ فإنّ أبناءنا سيكونون في الحقول يعملون كي يُطعموا اليهود، بينما يعيشون هُم وأبناؤهم في مكاتب المحاسبة، وعقد الصفقات، مُنتشين طربًا، ويفركون أيديهم فرحًا.

أيّها السادة: إنني أحذّركم إذا لم تَطردوا اليهودَ إلى الأبد؛ فإنّ أبناءكم وأبناء أبنائكم سيلعنونَكم في قبوركم. ومِن معتقداتهم أنّنا لسنا أمريكيّين، رغم أنّهم عاشوا بيننا لمدّة عشرة أجيال، ذلك لأنّ الوحشَ المفترس لا يمكن أن يغيّر طباعَه.

أيّها السادة: اليهود خطرٌ خطيرٌ على هذه البلاد، وإذا سمح لهم بالدّخول فسوف يفسدون حضارتَنا، فيجب أن يُطْردوا بالقانون.

إنّ جميع الفوضى والاضطرابات التي تشهدُها الولايات المتحدة اليومَ هي من صُنع اليهود. (ا.هـ).

هكذا حذّر الأجداد في أمريكا من خطرِ اليهود على المجتمع، واليومَ يحاول الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ومن بعده الرئيس دونالد ترامب أن يقنعنا بعكس ذلك، زاعماً أنّ اليهود يطلبون الأمن، وأنّ العرب إرهابيّون، فيا لها من مُفارقة، ويا لها مِن مغالطة تدلّ على تغلغل الفكْر الصهيوني في العقلِ الأمريكي المعاصر حتى صارت الولايات المتحدة والصهيونية أصحابَ مشروع استعماريّ واحد.

الفصلُ الرّابع

حقوقُ الشّهداء

مِن «ديرياسين» إلى «جنين»

المجازرُ التي ارْتكبتْها الصهيونيّةُ المُجرمة في حقّ العربِ والمسلمين

١ـ حائط الدّم الذي بيننا وبينهم.

٢ـ مذبحة دير ياسين.

٣ـ مذبحة صابرا وشاتيلا.

٤ـ مذبحة عيون قارة.

٥ـ مذبحة المسجد الأقصى.

٦ـ مذبحة الحرم الإبراهيمي.

٧ـ مذبحة قانا.

٨ـ مذبحة النّفق.

٩ـ مذبحة جنين.

١٠ـ مذابح القادة والمجاهدين.

١١- مذابح أسرى الجيش المصري عقب يونيو ١٩٦٧.

١٢- مذابح حرب ٢٠٠٦ على جنوب لبنان.

١٣- مذابح حرب الرصاص المصبوب على غزة.

١٤- مذابح حرب الجدار المتزحلق على غزة.

١ـ حائطُ الدّم الذي بيننا وبين الصهاينة:

ارتكبتِ الصهيونية سلسلةً من الجرائم البشعة في حقّ العرب والمسلمين في فلسطين وسيناء ولبنان والجولان، وفاقتْ هذه الجرائم في عنفِها ودمويّتها كلّ ما سجّله التاريخ مِن مذابح وهمجيّة على يدِ نيرون وهتلر ومليوسوفيتش، وغيرهم مِن البرابرة.

وتمثّل هذه الجرائم حائطًا دمويًّا يفصلُ- وإلى الأبد- بين الصهاينة والعرب، ويجعل مِن دعاوى السّلام أكذوبةً يفضحها الواقع، وتفضحُها الممارسات الصهيونية المتتالية على مدار القرن الماضي.

ولا تتورّع الصهيونية المجرمة عن ممارسة هذه الجرائم كلّما حانت لها الفرصة، وتمكّنت من رقابِ المدنيّين العزّل أو الأسرى من العرب والمسلمين، ومن المصريّين وحدهم. قتلَ الصهاينةُ ما يزيد على ١٢٠ ألف شهيدٍ في مذابح متتالية للأسرى المصريين خلال حرب ١٩٦٧ وحدَها، وتعتبر الكراهية الحمراء وسفك دماء المسلمين عملًا تعبديًّا يتقرّب به الصهاينة إلى أصنامهم المعبودة من دون الله. وتعدّ مذابح الصهيونية وجرائمُها بالآلاف. وما أمكنَ تسجيله قليلٌ من كثير، وقد اشتهر من هذه المذابح البشعة مذابحُ دير ياسين وصابرا وشاتيلا ومذبحة قانا ومذبحة جنين.

٢ـ مذبحةُ دير ياسين ١٠/ ٤/ ١٩٤٨م:

داهمت عصاباتُ شتيرن والأرغون والهاجاناه الصهيونية قريةَ دير ياسين العربيّة في الساعة الثانية فجرًا، وقال شهود عيان: إنّ إرهابيي العصابات الصهيونية شرعوا في قتلِ كلّ مَن وقع في مرمى أسلحتِهم.

وبعد ذلك، أخذَ الإرهابيون بإلقاء القنابل داخلَ منازل القرية لتدميرها على مَن فيها؛ حيث كانت الأوامرُ الصادرة لهم تقضي بتدمير كلّ بيوت القرية العربية، وفي الوقت ذاته سارَ خلف رجالِ المتفجرات إرهابيو الأرغون وشتيرن، فقتلوا كلّ مَن بقي حيًّا داخل المنازل المدمّرة.

وقد استمرّت المجزرة الصهيونية حتى ساعات الظهر، وقبل الانسحاب من القرية جمعَ الإرهابيون الصهاينة كلّ مَن بقي حيًّا من المواطنين العرب داخل القرية حيث أطلقتْ عليهم النيرانُ لإعدامهم أمامَ الجدران، واتّضح بعد وصول طواقم الإنقاذ أنّ الإرهابيين الصهاينة قتلوا ٣٦٠ شهيدًا معظمُهم مِن الشيوخ والنساء والأطفال.

وقال شهودُ عيان في وصف المجزرة: «كان العروسان في حفلتهما الأخيرة أول الضّحايا، فقد قذفا قذفًا وألقيا مع ثلاثة وثلاثين من جيرانهم، ثمّ ألصقوا على الحائط، وانْهال رصاصُ الرشاشات عليهم وأيديهم مَكتوفة».

وقد روى فهمي زيدان الناجي الوحيدُ بين أفراد عائلةٍ أبيدت عن بكْرة أبيها، وكان حين وقوع المجزرة في الثانية عشرة من عمره؛ ما جرى لأفراد عائلتِه قائلًا: «أمر اليهودُ أفرادَ أسرتي جميعًا بأنْ يقفوا، وقد أداروا وجوهَهم إلى الحائط، ثمّ راحوا يطلقون علينا النار، أصبتُ في جنبي، واستطعنا نحنُ الأطفال أن ننجوا بمعظمنا لأنّنا اختبأنا وراءَ أهلنا، مزّق الرصاص رأسَ أختي قدرية البالغة أربع سنوات، وقتل الآخرون الذين أوقفوا إلى الحائط: أبي وأمي وجدّي وجدّتي وأعمامي وعمّاتي وعدد مِن أولادهم».

فيما قالت حليمة عيد التي كانت عندَ وقوع المجزرة امرأةً شابة في الثلاثين من عمرها، ومِن أكبر أسرِ قرية دير ياسين: «رأيتُ يهوديًّا يطلق رصاصةً فتصيب عنق زوجةِ أخي خالدية، التي كانت موشكةً على الوضع، ثمّ يشق بطنَها بسكين لحام، ولما حاولت إحدى النساء إخراجَ الطفل من أحشاءِ الحامل الميتة قتلوها أيضًا، واسمها عائشة رضوان».

وفي مترلٍ آخر، شاهدت الفتاة حنة خليل «١٦ عامًا» إرهابيًّا يهوديًّا يستلّ سكينًا كبيرة، ويشقّ بها- من الرأس إلى القدم- جسمَ جارتها جميلة حبش، ثمّ يقتل بالطريقة ذاتِها على عتبة المنزل جارًا آخرَ لأسرة يدْعى فتحي.

تكرّرت تلك الجرائم الوحشيّة من منزلٍ إلى منزل، وتدلّ التفاصيل التي استيقت من النّاجين على إرهابياتٍ يهوديات من أعضاء منظّمات ليحيى واتسل شاركن في المذبحة، ويصفُ جاك دي رينيه- رئيس بعثة الصليب الأحمر في فلسطين عام ١٩٤٨م- الإرهابيّين الذين نفّذوا المذبحة في دير ياسين بالقول:

«إنّهم شبّان مراهقون، ذكور وإناث، مدجّجون بالسلاح - المسدسات والرشاشات والقنابل اليدوية - وأكثرهم لا يزال مُلطخًا بالدّماء، وخناجرهم الكبيرة في أيديهم، وقد عرضت فتاةٌ من أفراد العصابة اليهودية تطفحُ عيناها بالجريمة؛ يديْها وهُما تقطران دمًا، وكانت تحرّكهما وكأنّهما ميدالية حرب».

ويضيف قائلًا: «دخلت أحدَ المنازل فوجدته مليئًا بالأثاث الممزّق وكافة أنواع الشظايا، ورأيت بعضَ الجثث الباردة؛ حيث أدركتُ أنه هنا تمّت التصفية بواسطة الرشاشات والقنابل اليدوية والسكاكين، وعندما هممْتُ بمغادرة المكان سمعتُ

أصواتَ تنهّدات، وبحثت عن المصدر فتعثّرت بقدم صغيرة حارة، لقد كانت لفتاة في العاشرة من عمرها مزّقت بقنبلة يدوية لكنّها لا تزال على قيدِ الحياة، وعندما هممتُ بحمْلها حاول أحدُ الضباط الإسرائيليين منعي فدفعته جانبًا، ثمّ واصلت عملي، فلم يكن هناك مِن الأحياء إلّا امرأتان إحداهما عجوز اختبأت خلف كومة من الحطب. وكان في القرية ٤٠٠ شخصًا، هربَ منهم أربعون، وذبح الباقون دون تمييز، وبدمٍ بارد».

وقد فاخر مناحم بيجن- رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق- بهذه المذبحة في كتابه، فقال:

«كان لهذه العملية نتائجُ كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العربُ بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي، فأخذوا يفرّون مذعورين.. فمِن أصل ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون علَى أرض فلسطين المحتلّة عام ١٩٤٨م لم يتبقّ سوى ١٦٥ ألفًا»، ويعيب بيجن على مَن تبرأ منها مِن زعماء اليهود، ويتّهمهم بالرياء. ويقول بيجن: «إنّ مذبحة دير ياسين سبّبت انتصاراتٍ حاسمةً في ميدان المعركة». فيما قال إرهابيون آخرون: «إنه بدون دير ياسين ما كان ممكنًا لإسرائيل أن تظهر إلى الوجود».

٣ـ مذبحة صابرا وشاتيلا ١٨/ ٩/ ١٩٨٢م:

أعدّت خطة مذبحة صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيّين حول بيروت منذ اليوم الأول لغزو لبنان عام ١٩٨٢م، وذلك بهدف إضعاف مخيّمات اللاجئين الفلسطينيّين في بيروت، ودفع الفلسطينيّين إلى الهجرة خارج لبنان.

قبل غروب شمس يوم الخميس ١٦/ ٩/ ١٩٨٢م، بدأت عملية اقتحام المخيمَيْن، واستمرّت المجزرة التي نفّذها مليشيا الكتائب اللبنانية وجنود الاحتلال

الصهيوني حوالي ٣٦ ساعة. كان الجيشُ الإسرائيلي خلالها يحاصر المخيميْن ويمنع الدخول إليهما أو الخروج منهما، كما أطلق جنود الاحتلال القنابل المضيئة ليلًا لتسهيل مهمّة المليشيات، وقدّم الجنود الصهاينة مساعداتٍ ميدانيةً أخرى لمقاتلي المليشيا المارونية أثناء المذبحة.

بدأت تتسرّب المعلومات عن المجزرة بعد هروب عددٍ من الأطفال والنساء إلى مستشفى غزة في مخيم شاتيلا؛ حيث أبلغوا الأطباء بالخبر، بينما وصلت أنباء المذبحة إلى بعض الصحفيّين الأجانب صباح الجمعة ١٧/ ٩/ ١٩٨٢م، وقد استمرّت المذبحة حتى ظهر السبت ١٨/ ٩/ ١٩٨٢م وقتل فيها نحو ٣٥٠٠ مدنيًّا فلسطينيًّا ولبنانيًّا، معظمُهم من النساء والأطفال والشيوخ. يذكر أنّ المجزرة قد تمّ تنفيذها بقيادة أرئيل شارون الذي كان يرأس الوحدة الخاصة (١٠١) في الجيش الإسرائيلي- آنذاك- والتي نفّذت المذبحة، وقد تمّت المجزرة تحت شعار «بدون عواطف، الله يرحمه» وكلمة السر «أخضر» وتعني أنّ طريق الدّم مفتوح! لكنّ المحكمة العسكرية التي شكّلت للتحقيق في المجزرة اعتبرت أنّ أوامر قائد اللواء أسيء فهمُها، وتمّ تغريمه ١٠ قروش- ١٤ سنتًا أمريكيًّا- كما تمّ توبيخه بحكم المحكمة العسكرية، وقد سمّي الحكم بـ«قرش دمي» لشدّة ما به من سخفٍ واستخفاف بمفهوم القضاء.

تقول أمّ غازي يونس ماضي إحدى الناجيات من المذبحة:

«اقتحموا المخيّم الساعة الخامسة والنصف يوم ١٦ من سبتمبر، ولم نكن نسمع في البداية إطلاقَ رصاص، فقد كان القتل يتمّ بالفؤوس والسكاكين، وكانوا يدفنون الناس أحياءً بالجرافات، هربنا نركضُ حفاةً والرصاصُ يلاحقنا، وقد ذبحوا زوجي وثلاثة أبناء لي في المجزرة، فقد قتلوا زوجي في غرفة النوم، وذبحوا أحدَ

الأولاد، وحرقوا آخرَ بعد أن بتروا ساقيه، والولدُ الثالث وجدته مبقورَ البطن، كما قتلوا صهري أيضًا».

وتروي أمّ محمود جارة أمّ غازي ما شاهدته قائلة: «رأيتهم يذبحون فتاةً وهي حامل مع زوجها، وابنة خالتي خرجت من المنزل، فأمسكوا بها وذبحوها في الشارع، ثمّ ذبحوا ولدها الصغير الذي كان في حضنها».

ويقول غالب سعيد وهو من الناجين: «تمّ إطلاق قذائف مدفعية على المخيم أولًا، كان القتل يتمّ بأسلحة فيها كواتمُ صوت، واستخدموا السيوف والفؤوس، وقتلوا شقيقي وأولادي الأربعة، كما تعرّضت عدةُ فتيات للاعتداء عليهن».

أمّا منير أحمد الدوخي وكان يومُها صبيًّا عمره ١٣ عامًا، نجا رغم محاولاتٍ ثلاث لقتله، فيقول:

«إنه وضع تحتَ مسئولية مسلّحين يلبسون ملابس قذرة، ولا يحسنون الحديث بالعربية، وذلك مع مجموعةٍ أخرى من النساء والأطفال الذين سحبوا من بيوتهم، وقد أطلقوا النارَ على النساء والأطفال فأصبتُ بقدمي اليمنى، وأصيبت والدتي بكتفِها وساقها، وتظاهرت بالموت بعدما طلبوا من الجرحى الوقوفَ لنقلهم إلى المستشفى، لكنّهم أطلقوا عليهم النار جميعًا من جديد، فنجوْت من محاولة القتل الثانية أيضًا، غير أنّ أمّي كانت قد فارقتِ الحياة، وصباح اليوم التالي أطلقوا عليّ النار عندما وجدوا أنّني ما زلت حيًّا فأصابوني وظنّوا أنني قد متّ فتركوني».

وتقول سنيّة قاسم بشير: «قتل زوجي وابني في المجزرة، وأفظع المشاهد كان منظر جارتنا الحاجة منيرة عمرو، فقد قتلوها بعدما ذبحوا طفلها الرضيع أمام عينيها، وعمرُه أربعة شهور».

وتروي ممرضةٌ أمريكية تدعَى جيل دور عن شاهدِ عيان قوله: «إنهم ربطوا الأطفال، ثمّ ذبحوهم ذبح الشّياه في مخيمي صابرا وشاتيلا، صفّوا الناس في الاستاد الرياضي، وشكّلوا فرق إعدام».

علي خليل عفانة طفلٌ في الثامنة مِن عمره يقول: «كانت الساعة الحادية عشرة والنّصف، سمعنا صوتَ انفجار كبير، وتلاه صوتُ امرأة، وفجأة اقتحموا منزلنا، واندفعوا كالذّئاب يفتّشون الغرف، صاحتْ أمّي تستنجدُ فأمطروها بالرّصاص، مدّ أبي يدَه يبحثُ عن شيء يدافعُ به عن نفسه، لكنّ رصاصهم كان أسرع، لم أقوَ على الصراخ فقد انهالوا عليّ طعنًا بالسّكاكين.. لا أدري ماذا جرى بعد ذلك، لكني وجدتُ نفسي في المستشفى كما تراني ملفوفَ الرأس والسّاقين، قال لي رفيق في المدرسة كان في زيارة أمّه في المستشفى إنّ بيتنا تحوّل إلى أنقاض. جاءت خالتي أمس لزيارتي فسألتُها عن مصير إخوتي الثلاثة، لكنّها لم تجب! لقد ماتوا جميعًا، أنا أعرف ذلك». وانسابتِ الدموع الساخنة على خدّيه الصغيرتين. ويستعيدُ شاهد عيان شريطَ ذكرياته داخل المخيم؛ فيقول:

«رأينا الجثثَ مكوّمة في زاوية إلى اليمين، وعلى بعدِ خمسين ياردة فقط من مدخل مخيّم شاتيلا. كان هناك أكثرُ مِن اثنتي عشرة جثةً لشبّان صغار التفّت أيديهم وأرجلهم بعضُها حول بعض، وهُم يعانونَ آلام الموت، وكان كلّ منهم مصابًا برصاصةٍ أطلقت نحو صدغِه، واخترقت مخّه، وبدتْ على الجانب الأيسر مِن رقاب بعضِهم ندوبٌ قُرمزية أو سوداء، ورأينا طفلةً لا تتجاوز الثالثة من عمرها.. ملقاةً على الطريق وكأنّها دمْية مطروحة، وقد تلوّث ثوبها الأبيض بالوَحْل والدّم والتراب، وكانت قد أصيبتْ برصاصة قد طيّرت مؤخرة رأسها، واخترقتْ

دماغها. كانت الأسرُ قد أوتْ إلى فراشها في غرفِ النوم عندما اقتحم المسلّحون المخيم، فقد رأيتُ جثثًا ممدّدة على الأرض أو متكوّمة تحت الكراسي، وبدا أنه جرى اغتصاب كثيرٍ من النساء؛ حيث كانت ملابسهنّ مبعثرة على الأرض. شاهدت أمًّا تضم طفلها وقد اخترقت رأسَ كلّ منهما رصاصة، نساء عاريات قيّدت أيديهن وأرجلهن خلف ظهورهن، رضيع مهشّم الرأس يسبحُ في بركةٍ منَ الدّم، وإلى جانبه رضّاعة الحليب.

على طاولة الكي، بالقرب من أحدِ البيوت، قطعوا أعضاءَ طفلٍ رضيع، وصفّوها بعنايةٍ على شكل دائرة، ووضعوا الرأس في الوسط.. في صبرا وشاتيلا، يسود الانطباع أنّ القتلة استهدفوا وأمعنوا في قتل الأطفال بنوعٍ خاص».

بعد انسحاب الإرهابيّين، هام الناجون من المذبحة على وجوههم بحثًا عن أقاربهم الذين طالهم الذبحُ بين أكوام الجثث أو تحت الأنقاض، وكانوا لا يزالون تحتَ كابوس المجزرة التي عاشوها.

٣٢٩٧ رجلًا وطفلًا وامرأة قُتِلوا في أربعين ساعة بين ١٦-١٨ (أيلول) سبتمبر ١٩٨٢م، وذلك من أصل عشرينَ ألف نسمة كانوا في المخيّم عند بدء المجزرة، وقد وجدَ بين الجثث أكثرُ من ١٣٦ لبنانيًّا، منهم ١٨٠٠ شهيدًا قتلوا في شوارع المخيميْن والأزقّة الضيقة، فيما قتل ١٠٩٧ شهيدًا في مستشفى غزة، و٤٠٠ شهيدًا آخرَ في مستشفى عكّا. وفي تعقيبه على المذبحة، قال مناحم بيجن أمام الكنيست يصفُ رجالَ المقاومة الفلسطينية: «إنهم حيواناتٌ تسير على ساقين اثنين».

فيما أعلنَ ضابطٌ كتائبي بعد إعلان نبأ المذابح: «إنّ سيوف وبنادق المسيحيّين ستلاحقُ الفلسطينيّين في كلّ مكان، وستقضي عليهم نهائيًّا».

ضابطٌ كتائبي آخر صرّح لمراسل صحفي أمريكي: «لقد انتظرنا سنواتٍ طويلة كي نتمكّن من اقتحام مخيّمات بيروت الغربية، لقد اختارنا الإسرائيليون؛ لأنّنا أفضل منهم في هذا النّوع من العمليات «من بيتٍ إلى بيت»، وعندما سأله الصحفي إذا كانوا أخذوا أسرى، أجابه: هذه العمليّة ليست من النوعِ الذي نأخذُ فيه أسرى».

ونقل راديو لندن عن مراسله قولَه: إنه بينما كانت عمليات القتل مستمرّة، طوّق الجنود الإسرائيليون المخيماتِ بالدبابات، وأطلقوا النار على كلّ شيء يتحرّك.

٤ـ مذبحة عيون قارة (٢٠/ ٥/ ١٩٩٠م):

تقع عيونُ قارة قرب مدينة تل أبيب، وراحَ ضحية المذبحة ٧ شهداء، جميعُهم من العمال الفلسطينيّين الذين حاولوا التوجّه إلى أعمالهم داخل الخطّ الأخضر، وكان جنديّ صهيوني يدعَى بوبر جمع عددًا من العمّال العرب قرب حائط في المدينة قبل أن يفتح عليهم نيران سلاحه العسكري.

٥ـ مذبحة المسجد الأقصى (٨/ ١٠/ ١٩٩٠م):

في يوم الاثنين الموافق ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م، وقبيل صلاة الظهر، حاول متطرّفون يهود ممّا يسمّى بجماعة «أمناء جبل الهيكل» وضعَ حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم في ساحةِ الحرم القدسي الشريف، وقد هبّ أهالي القدس لمنع المتطرّفين الصهاينة من تدْنيس المسجد الأقصى، ممّا أدى إلى وقوع اشتباكات بين المتطرفين الصهاينة الذين يقودُهم الإرهابي غرشون سلمون زعيم «أمناء جبل الهيكل» مع نحو خمسة آلافِ فلسطيني قصدوا المسجدَ لأداء الصلاة فيه، وما هي إلّا لحظات حتى تدخّل جنودُ حرس الحدود الصهاينة المتواجدون بكثافةٍ داخل الحرم القدسي،

وأخذوا يطلقون النارَ على المصلين المسلمين دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ، ممّا أدّى إلى استشهادِ أكثر من ٢١ شهيدًا، وجرح أكثر من ١٥٠ منهم، كما اعتقل ٢٧٠ شخصًا داخل وخارج الحرم القدسي الشريف.

٦ـ مذبحة الحرم الإبراهيمي (٢٥/ ٢/ ١٩٩٤م):

قبل أن يستكملَ المصلّون صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي في الخليل، دوّت أصواتُ انفجار القنابل اليدوية وزخّات الرصاص في جنبات الحرم الشريف، واخترقت شظايا القنابل والرصاص رؤوسَ المصلّين ورقابهم وظهورهم لتصيبَ أكثر مِن ثلاثمائة وخمسين منهم. وقد بدأت الجريمة حين دخلَ الإرهابي باروخ جولد شتاين ومجموعة من مستوطني طريات المسجد الإبراهيمي، وكان جولد شتاين يحمل بندقيّته العسكرية الرشاشة وقنابل يدوية وكميات كبيرة من الذّخيرة، وقد وقف الإرهابي جولد شتاين خلفَ أحدِ أعمدة المسجد، وانتظر حتى سجدَ المصلّون، وفتحَ نيران سلاحه الرشاش على المصلين وهُمْ سجود، فيما قام آخرون بمساعدته في تعبئة الذخيرة التي احتوت رصاص دمدم المتفجر والمحرم دوليًّا. وقد نفّذ جولد شتاين المذبحة في وقتٍ أغلق فيه الجنود الصهاينة أبوابَ المسجد لمنع المصلين من الهرب، كما منعوا القادمين مِن خارج الحرم من الوصول إلى ساحته لإنقاذ الجرحى، وفي وقتٍ لاحق استشهد آخرون برصاص آلي. وفي وقت لاحق، استشهد آخرون برصاص جنود الاحتلال خارج المسجد، وفي المقابر أثناء تشييع جثث شهداء المسجد، وقد راح ضحية المجزرة نحو ٥٠ شهيدًا، قتل ٢٩ منهم داخل المسجد.

٧ـ مذبحة قانا (أبريل ١٩٩٦م):

في نيسان/ أبريل ١٩٩٦م، أقدمت قواتُ العدو الصهيوني على تصعيدِ اعتداءاتها ضدّ التجمعات السكانية العربية في جنوب لبنان، وأغار طيران العدو على قرى وبلدات ومخيّمات الجنوب اللبناني بحجة محاربة قوات المقاومة اللبنانية، وعلى رأسها منظمة حزب الله.

وفي يوم الخميس ١٨ من أبريل ١٩٩٦م، قصفتْ مدفعية العدو ومروحيّاته ملجأ داخل ثكنةِ الكتيبة الفيجية العاملة ضمنَ قوّات الأمم المتحدة في جنوب لبنان مُستخدمة قنابل تنفجرُ في الجوّ لزيادة الإصابات في صفوف المدنيّين الذين حاولوا الهرب من القصف والاحتماء بالملجأ، ممّا أدّى إلى استشهاد نحو ١٦٠ مدنيًّا معظمُهم من النساء والأطفال والشيوخ اللبنانيّين الذين عجزوا عن الفرار من القصف الصهيوني باتجاه بيروت، واضطرّوا للاحتماء بمقرّ الكتيبة الفيجية في قرية قانا اللبنانية.

وقد أكّد تحقيق محايدٌ أجراه محقّقو هيئة الأمم المتحدة ونشر- وسط استياء صهيوني وأمريكي- أنّ الطيران الإسرائيلي تعمّد قصف الملجأ، وهو يعلم هويّة الذين احتموا فيه، ونفى التقرير الذي أثار ضجةً- في حينه- أنْ يكون الصهاينة قد تعرّضوا لقصفٍ من قِبَل رجال المقاومة من محيط الملجأ.

٨ـ مذبحة النفق، سبتمبر ١٩٩٦م:

عمدتْ حكومة العدو الصهيوني في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٦م إلى فتح نفق مواز لجدار الأساسات الجنوبي للمسجد الأقصى مما اعتبره الفلسطينيون خطوة باتجاه

تنفيذ المخطط الصهيوني لهدم المسجد عن طريق تعرية أساساته، وقد اندلعت صدامات عنيفة بين المتظاهرين الفلسطينيين وجنود الاحتلال في الفترة ما بين ٢٥-٢٧ من أيلول/ سبتمبر ١٩٩٦م، وقد استشهد نحو ٧٠ فلسطينيًّا برصاص الاحتلال الذين فتحوا النار على المتظاهرين من طائرات مروحيّة.

٩ـ مذبحة جنين، ٢٥/ ٤/ ٢٠٠٢م:

عقبَ انتهاء مؤتمر القمة العربي ببيروت الذي أعلن فيه القادةُ العرب ما يعرف بمبادرة الأمير عبد الله- ولي العهد السعودي- والتي أعلنت قبولًا جماعيًّا للقادة العرب (للمرة الثانية بعد مؤتمر فاس ١٩٨٢) بوجود دولتيْن على أرض فلسطين، واحدةٌ للصهاينة وواحدةٌ للفلسطينيّين شريطة انسحابِ الصهاينة من كامل الأرض التي احتلّوها صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧، بما في ذلك هضبة الجولان وأرض لبنان، وعودة كلّ اللاجئين الفلسطينيّين. وفي اليوم الأول من أبريل عام ٢٠٠٢، ردّت العصابات الصهيونية على هذه المبادرة ردًّا مناسبًا ومتناسقًا مع الطبيعة العدوانية الدّموية للصهيونية، فتحرّكت قواتها المسلحة في عملية قتل مروّعة للمواطنين الفلسطينيّين المدنيّين العُزل، فحاصرت جميعَ مدن الضفة والقطاع، وأطلقت نيران مدافعها وطائراتها ودباباتها في كلّ اتجاه، وعلى كلّ المنازل والسكان، وراحت تعتقلُ الآلاف من الشباب الفلسطيني القادر على المقاومة، وتعدمُه أمام أعين الأمهات والآباء حتى امتلأت الشوارع بالجثث، وجرت الدّماء في الشوارع.

وفي بلدة جنين، وحيث مخيم جنين، الذي تبلغ مساحته ١كم مربع، والذي يعيش فيه عدّة آلاف من اللاجئين الفلسطينيّين قرّر أهل المخيم أن يقاوموا قوات الاحتلال بكلّ ما يملكون من وسائل الدفاع البسيطة.

وفي قوة قوامها ٣٥ ألف صهيوني بكامل معداتهم تساندهم الطائرات إف ١٦ والأباتشى الأمريكية الصنع و٤٥٠ آلية مجنزرة، حاصرت قوات الصهيونية المخيّم، وأمرتهم بالاسْتسلام، ولكنّهم كانوا يعلمون أنهم مستهدفون أساسيون من حملة الصهاينة، وأنهم مقتولون لا محالة فورَ اسْتسلامهم كما فعل بكلّ مَن استسلم مِن الشباب أمام أعينهم، واستمرّت أعمال القصف بالطائرات والمدافع والدبابات لكلّ شيء بالمخيم، واستمرّت المقاومة الباسلة تسعةَ أيام كاملة، ولم يستطع الصهاينة أنْ يتقدّموا شبرًا واحدًا في أرض المخيم رغمَ كثرة الشهداء، وتهدم كلّ شيء تقريبًا، وعندما فرغت ذخيرة المدافعين عن المخيم (٢٠٠ مجاهدًا) خاض مَن بقي منهم معركة ختاميّة بطولية حتى استشهدوا جميعًا لتدخّل الدبابات الصهيونية، وتهدم كلّ ما بقي من البيوت على رؤوس السكان، ثمّ تدوس عليهم بالبلدوزرات، ولم يزل فيهم رمقُ الحياة، ونتجَ عن هذه المذبحة المروّعة مئات الشهداء الذين امتلأت بجثثهم شوارع المخيم، وجاءت الجرّافات الصهيونية لتدفع بهذه الجثث إلى برك المجاري، وتهيلُ عليهم أنقاض المباني لتخفي معالم جرائمها البشعة، ومنعت كافة المنظمات الدولية للإسعاف والإغاثة من أنْ تنقذ أحدًا، أو تقدّم العون لأحدٍ بالمخيم، كما منعتْ قوات الاحتلال الصهيوني لجنة شكّلتها الأمم المتحدة من مجرّد تسجيل ما حدث أو الاطلاع عليه. وفي النهاية، قرّر الأمين العام للأمم المتحدة حلّ اللّجنة، وإنهاء عملها استكمالًا للمؤامرة الدوليّة على أهل فلسطين حتى وهُمْ شهداء في قبورهم.

١٠ـ مجازر القادة والمجاهدين:

وكان آخرُها تلك المجزرة البشعة التي استهدفت القائد العسكري لكتائب عز الدين القسام الشهيد صلاح شحادة، وهو في بيته بغزة في منتصف ليلة ٢٤ من

يوليو ٢٠٠٢م. في هذه الليلة قامت طائرات الإف ١٦ الأمريكية الصنع بضرب منزله بالصواريخ الثقيلة مِمّا نتج عنه تدميرُ معظم الحي الذي يسكنه، واستشهدَ معه في الحال ١٧ من المواطنين، منهم ٨ أطفال وجدَ معظمهم مشوّهًا بالحريق، ومدفونًا تحت الأنقاض، كما جُرح أكثر من ١٤٠ بجراحات خطيرة. ولو أضفنا إلى ذلك سلسلةَ الشهداء الذين اغتالتهم قوات العدو الصهيوني لوجدنا في قائمة الشهداء: محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير الذين أعدموا في ١٧ من يونيو ١٩٣٠ عقب ثورة البراق، ولوجدنا الشهيد عز الدين القسّام ومعه ١١ من جنوده في ٢٠ من نوفمبر ١٩٣٥، ولوجدنا في القائمة الشهيد فرحان السعدي المجاهد البطل الذي أعدموه في ٢٢ من نوفمبر ١٩٣٧، والشهيد القائد البطل المحبوب عبد القادر الحسيني الذي قتلوه في معركة القسطل بالقرب من أسوار القدس في أبريل ١٩٤٨، وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار وكمال ناصر من قادة فتح الذين اغتالتهم قوات صهيونية متسلّلة إلى قرية الفردان بجنوب لبنان عام ١٩٧٣، والشهيد فتحي الشقاقى- مؤسس حركة الجهاد الإسلامي- الذي اغتالوه في قبرص أثناء توجّهه لاجتماع تنظيمي، والشهيد يحيي عياش- مهندس صناعة القنابل الأوّل في حماس- والذي اغتالوه بوضع قنبلةٍ في هاتفٍ محمول كان يستخدُمه، وكثيرون لم تسعفني مراجعي على ذكرهم، ويكفيهم أنّ الله يذكرهم.

هذا جزءٌ من السّجل الأسود للصهيونية المجرمة التي ابتلانا الله بها في هذا القرن، كما ابتلى بها البشريةَ في عصور خلَت، وقدر الأمة المسلمة أن تحمل عبء هذه المواجهة بين نور الإسلام وعدالته ورحمته وبين ظلام الصهيونية وظلمها ودمويّتها، وما تقدّمه الشعوب العربية والإسلامية من شهداء ومعاناة هو ضريبةُ النصر الطبيعية التي لا بدّ أن ندفعها.

وستبقى عقيدتُنا الراسخة أنّ الصهاينة أهل بغي واعتداء وسفك دماء.

وطالما كانوا أكثر منّا قوة فلن يرحمونا، ولن يعيشوا في سلام إلّا إذا كانوا ضعفاء، وهذا ما تعلّمناه من تجربتنا معهم طوالَ القرن الماضي «ما اجتمع يهوديان بمسلم إلّا همّا بقتله». وهذه الجرائم الصهيونية لا بدّ من القصاص مِن فاعليها، وهي مِن الجرائم التي لا تنتهي بالتقادم، وفي مقدمة المجرمين الذين يطبّق عليهم القصاص كلّ قادة إسرائيل، وكلّ مَن تولّى المسئولية في قيامها عامّة، وكذلك العسكريّون والمستوطنون الذين يباشرون القتلَ اليومي للمواطنين في فلسطين.

صورٌ من المذابح الصهيونية





طابورُ الشهداء لم يتوقّف على مدى قرنٍ من الزمان



منزلُ أحدِ المجاهدين هدمته الطائراتُ الصهيونية على رأسِ سكانه



أطفالُ فلسطين هدفٌ دائم للرصاص الصهيوني



أحدُ أبطالِ المقاومة في جنين وقد نالَ الشهادة

الفصلُ الخامس

ثوابتُنا الشرعيّة

كلمةُ الفصل التي بيننا وبين العالَمِين
حرمةُ الصّلح مع اليهود المحتلّين لفلسطين
وحرمةُ التّنازل عن أي جزءٍ من فلسطين

١ـ فتوى لجنة الفتوى بالأزهر.

٢ـ فتوى علماء وقادة الحركة الإسلامية العالمية.

٣ـ فتوى الدكتور الشيخ/ محمد عثمان شبير.

٤ـ فتوى الدكتور الشيخ/ عبد الستار فتح الله سعيد.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .. ﴾

مِن الواجب علينا أنْ نوفر لمهمّة تحرير فلسطين كلّ أسباب النجاح حتى يتمّ تحريرها، ولو أنّ دارسًا محايدًا عكفَ على دراسة تلك القضية تاريخيًّا وواقعيًّا لانتهى إلى أنّ أهمّ عناصر النجاح لتلك القضية هو إبرازُ البعد الدّيني لها، وذلك للأسباب التالية:

أولًا: أنّ خصمنا الصهيوني يتسربلُ بمسوحٍ دينية كاذبة خاطئة تعتبر هي الوقودَ الأساس لتحريك أفراده على مستوى العالم لمواجهتنا، وهذا البعد الدّيني العقيدي لا يواجه إلّا بكشفِ زيفه بنصوصٍ دينية صحيحة تواجه باطلَه.

ثانيًا: أنّ العقيدة التلموديّة الخاطئة التي تحرّك الصهيونية لا يقضي عليها إلّا عقيدة صحيحة لا يأتيها الباطلُ من بين يديها، ولا مِن خلفها، ولا يتوفر هذا باعتراف العلماء والدارسين جميعًا إلّا في القرآن، فهو الكتابُ الوحيد الذي ظلّ على حالته منذ بلاغِه للرسول ﷺ وحتى يومنا هذا.

ثالثًا: أنّ الشعوب العربية والإسلامية لا يزالُ مفتاح شخصيتها الأساس هو الإسلام، فجميع العبادِ في بلادنا يفهمون جيدًا لغة الحرام والحلال، ويجلّونها ويقدّرونها حتى لو اضطرّتهم ضغوط سياسية لمخالفتها، وبيان الحرام والحلال هو أسهل لغةٍ يمكن أن تحرّك عموم العباد في تلك البلاد.

وعلى ذلك، فإنّ بيان الفتوى الشرعية المتعلّقة بقضية فلسطين سوف يظلّ واجبًا على كلّ كاتبٍ حرّ يتصدّى لتلك القضية بالبيان.

والفتاوى الكثيرة التي صدرتْ في هذه القضية يمكنُ إجمالها في «أنّ الصهاينة يعتبرون مغتصبين لأرضِ فلسطين، وأنّ قتالهم واجبٌ على كلّ مسلم، وأنّ مصالحتهم حرام، وأنّ جهادهم فرضُ عين على كلّ مسلم حتى تتطهّر منهم فلسطين مِن النهر إلى البحر، وأنّه لا فرق في ذلك بين صهيوني مدني وصهيوني عسكري، فكلّهم جاء للاغتصاب والقتل والعدوان».

وفيما يلي بعضُ الفتاوى الشرعية التي صدرتْ بشأن فلسطين:

١ـ فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف:

جوابًا على أسئلة شرعيّة وجّهها بعض علماء الأزهر الشريف إلى علماء المسلمين من جميع المذاهب، بشأن ما يجبُ على المسلمين نحو قضية فلسطين، وما نجَمَ عن كارثتها مِن أوضاع شديدة الخطرِ على أنفسهم وبلادهم، وبشأنِ الموقف الإسلامي مِن إنشاء ما يسمّى (دولة إسرائيل)، ومِن الدّول الاستعمارية التي تساندها، ومِن (الصلح) معها، فقد اجْتمعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وأصدرت الجوابَ التالي:

جوابُ لجنة الفتوى بالأزهر الشريف[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعتْ لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٥هـ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦م) برئاسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف- عضو جماعة كبار العلماء، ومفتي الدّيار المصرية سابقًا، وعضوية السادة أصحاب الفضيلة: الشيخ عيسى منون- عضو جماعة كبار العلماء،

(١) المرجع: الهيئة العليا لفلسطين، حكم الإسلام في قضية فلسطين، ص٥-٧.

وشيخ كلية الشريعة سابقًا (الشافعي المذهب)، والشيخ محمود شلتوت- عضو جماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب)، والشيخ محمد الطنيخي- عضو جماعة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب)، والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي- عضو جماعة كبار العلماء، ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب)، وبحضور الشيخ زكريا البري- أمين الفتوى.

ونظرتْ في الاستفتاء الآتي، وأصدرتْ فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد،

فقد اطّلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدَّم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها، وأخرجتْهم مِن ديارهم، وشرّدتهم نساء وأطفالًا وشيبًا وشبانًا في آفاق الأرض، واستلبتْ أموالهم، واقترفت أفظعَ الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدّسة، وعن حكم التوادّ والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم، وأمدّتها بالعوْن السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية في هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام، وعن حكْم الأحْلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار، والتي مِن مراميها تمكينُ إسرائيل من البَقاء في أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية، وعن واجب المسلمين حيالَ فلسطين وردّها إلى أهلِها وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومِن ورائها الدّول الاستعمارية أنْ توسّع

بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفي ذلك تركيزٌ لكيانها وتقوية لسلطانها ممّا يضيّق الخناق على جيرانها، ويزيدُ في تهديدها لهم، ويهيئ للقضاء عليهم.

وتفيدُ اللّجنة أنّ الصلح مع إسرائيل- كما يريدُه الداعون إليه- لا يجوز شرعًا؛ لما فيه من إقرارِ الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بأحقّيّته فيما اغتصبه، وتمكين المعتدي مِن البقاء على عدوانه. وقد أجمعتِ الشرائع السماوية والوضعية على حُرمة الغصب، ووجوب ردّ المغصوب إلى أهله، وحثّت صاحبَ الحقّ على الدّفاع والمطالبة بحقّه.

ففي الحديث الشريف:

"مَن قُتل دون مالِه فهو شهيد، ومَن قُتل دونَ عرضِه فهو شهيد"

وفي حديث آخر:

"على اليدِ ما أخذت حتى ترد"

فلا يجوزُ للمسلمين أنْ يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرضَ فلسطين، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم؛ على أيّ وجه يمكّن اليهود من البقاء كدولةٍ في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدّسة، بل يجبُ عليهم أن يتعاونوا جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لردّ هذه البلاد إلى أهلها، وصيانة المسجد الأقصى مهبطِ الوحي ومصلّى الأنبياء، الذي بارك الله حولَه، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية من أيدي هؤلاء الغاصبين، وأنْ يعينوا المجاهدين بالسّلاح وسائر القوى على الجهاد في هذه السّبيل، وأنْ يبذلوا فيه كلّ ما يستطيعون حتى تطهر البلادُ من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين.

قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾.

ومَن قصّر في ذلك، أو فرّط فيه، أو خذلَ المسلمين عنه، أو دعا إلى ما مِن شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشّمل والتّمْكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضدّ العرب والإسلام وضدّ هذا القطر العربي الإسلامي؛ فهو- في حكم الإسلام- مُفارق جماعة المسلمين، ومقترفٌ أعظمَ الآثار. كيف ويعلم الناس جميعًا أنّ اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشدّ الكيد منذ عهد الرسالة إلى الآن، وأنهم يعتزمون أنْ لا يقفوا عند حدّ الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمتدّ خططهم المدبّرة إلى امتلاكِ البلاد الإسلامية الواقعة بين نهر النيل والفرات، وإذا كان المسلمون جميعًا- في الواقع الإسلامي- وحدةً لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضةِ الإسْلام، فإنّ الواجب شرعًا أن تجتمعَ كلمتُهم لدرْء هذا الخطر، والدّفاع قال تعالى:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

وقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ (النساء: ٧٦).

وأمّا التعاون مع الدّول التي تشدّ أزرَ هذه الفئة الباغية، وتمدّها بالمال والعتاد وتمكّن لها مِن البقاء في هذه الديار فهو غيرُ جائزٍ شرعًا، لما فيه مِن الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضدّ الإسلام ودياره.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾ (الممتحنة: ٩).

وقال تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقد جمع الله– سبحانه– في آيةٍ واحدة جميعَ ما تخيّله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته، وعلى تجارته التي يخشى كسادَها بمقاطعةِ الأعداء، وحذّر المؤمنين مِن التأثّر بشيء مِن ذلك واتّخاذه سببًا لموالاتهم.

فقال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

ولا ريبَ أنّ مظاهرة الأعداء وموادّتهم يستوي فيها إمدادُهم بما يقوّي جانبهم، ويثبّت أقدامهم بالرأي والفكر وبالسلاح والقوة- سرًّا وعلانية- مباشرة وغير مباشرة. وكلّ ذلك مما يحرمُ على المسلم مهْما تخيّل من أعذار ومبرّرات. ومن ذلك علم أنّ هذه الأحْلاف التي تدعو إليها الدّول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقْدها بين الدول الإسلامية ابتغاءَ الفتنة، وتفريق الكلمة، والتمكين لها في البلاد الإسلامية، والمضي في تنفيذ سياستها حيالَ شعوبها؛ لا يجوز لأيّ دولة إسلامية أن تستجيبَ لها، وتشترك فيها؛ لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية وبخاصة فلسطين الشهيدة التي سلّمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكايةً في الإسلام وأهله وسعيًا لإيجاد دولةٍ لها وسط البلاد الإسلامية لتكون تُكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارّة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم، وهي في الوقتِ نفسه مِن أقوى مظاهرِ الموالاة المنهيّ عنها شرعًا، والتي قال الله تعالى فيها: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾.

وقد أشارَ القرآن الكريم إلى أنّ موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرضٍ في القلوب يدفع أصحابَها إلى هذه الذّلة التي تظهر بموالاة الأعداء.. فقال تعالى:

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

وكذلك يحرمُ شرعًا على المسلمين أنْ يمكّنوا إسرائيل ومِن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يُراد بها إلّا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغدٍ من العيش وخصوبة في الأرض حتى تعيش كدولة تناوئ العربَ والإسلام في أعزّ دياره، وتفسد في البلاد أشدّ الفساد، وتكيد للمسلمين في أقطارهم. ويجبُ على المسلمين أن يتحلّوا بكلّ قوة، ويقفوا صفًّا واحدًا في الدفاع عن حوْزة الإسلام، وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي مِن أوّلها هذه المشروعات الضارّة، ومَن قصّر في ذلك، أو ساعد على تنفيذها، أو وقف موقفًا سلبيًّا منها؛ فقد ارتكبَ إثمًا عظيمًا.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهجَ الرسول ﷺ ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة في موقفه مِن أهل مكة وطغيانهم بعد أنْ أخرجوه ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم، ودنّسوا البيتَ الحرام بعبادة الأوثان والأصنام، فقد أمرَه الله تعالى أن يعدّ العدّة لإنقاذ حرمته من أيدي المعتدين، وأن يضيّق عليهم سبلَ الحياة التي بها يستظهرون، فأخذَ- عليه الصلاة والسلام- يضيّق عليهم في اقتصادهم الذي عليه يعْتمدون، حتى نشبتْ بينه وبينهم الحروب، واستمرّت رحى القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال، حتى أتمّ الله عليه النعمة، وفتح على يدِه مكة، وقد كانت معقلَ المشركين فأنقذ المستضعفين مِن الرجال والنساء والولدان، وطهرَ بيتَه الحرام من رجس الأوثان، وقلّمَ أظافر الشّرك والطغيان.

وما أشبهَ الاعتداء بالاعتداء، مع فارق لا بدّ من رعايته وهو أنّ مكة كان بلدًا مشتركًا بين المؤمنين والمشركين، ووطنًا لهم أجمعين بخلافِ أرض فلسطين فإنها

ملك للمسلمين، وليس لليهود فيها حكمٌ ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلّا أن يظهر في مكة الحقّ، ويخذل الباطل، ويردّها إلى المؤمنين، ويقمع الشّرك فيها والمشركين، فأمرَ (سبحانه وتعالى) نبيّه ﷺ بقتال المعتدين، قال تعالى:

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ ﴾.

والله (سبحانه وتعالى) نبّه المسلمين على ردّ الاعتداء بقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾.

ومن مبادئ الإسلام محاربةُ كلّ منكر يضرّ العباد والبلاد. وإذا كانت إزالته واجبةً في كلّ حال، فهي في حالةِ هذا العدوان أوجبُ وألْزم، فإنّ هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين مِن ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد، بل تجاوز ذلك إلى أمورٍ تقدّسها الأديان السماوية كلّها وهي احترام المساجد وأماكن العبادة، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ ﴾.

أمّا بعد:

فهذا هو حكمُ الإسلام في قضية فلسطين، وفي شأن إسرائيل والمناصرين لها من دولِ الاستعمار وغيرها، وفيما تريدُه إسرائيل مِن مشروعات ترفع من شأنها، وفي واجب المسلمين حيالَ ذلك تبيّنه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتهيبُ بالمسلمين عامّة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأنْ ينهضوا بما يحقّق لهم العزة والكرامة، وأن يقدّروا عواقب الوهَن والاستكانة أمامَ اعتداء الباغين وتدْبير الكائدين، وأن

يجمعوا أمرَهم على القيام بحقّ الله تعالى وحقّ الأجيال المقبلة في ذلك، إعزازًا لدينهم القويم.

نسألُ الله تعالى أن يثبّت قلوبهم على الإيمان به، وعلى نصرة دينه، وعلى العمل بما يرضيه، والله أعلم.

عيسى منون
عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار
العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقًا
(الشافعي المذهب)

حسنين محمد مخلوف
رئيس لجنة الفتوى
وعضو جماعة كبار العلماء
ومفتي الديار المصرية سابقًا

محمد الطنيخي
عضو لجنة الفتوى وجماعة كبار
العلماء ومدير الوعظ والإرشاد
(المالكي المذهب)

محمود شلتوت
عضو لجنة الفتوى وجماعة
كبار العلماء
(الحنفي المذهب)

زكريا البري
أمين الفتوى

محمد عبد اللطيف السبكي
عضو لجنة الفتوى وجماعة
كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر
(الحنبلي المذهب)

٢ـ فتوى الشيخ الدكتور/ محمد عثمان شبير:

الأستاذ بالجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين

(أدلّة حرمة الصلح مع اليهود الصهاينة المحتلّين لفلسطين)

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الخلق أجمعين محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أمّا بعد،

فإنّ الصلحَ مع اليهود اليومَ لا يجوز شرعًا لعدم توفّر أي شرط من شروط عقد الصّلح فيه. فقد وضع علماؤنا الأماجد شروطًا ينبغي أن تتوفّر في عقد الصلح مع المحاربين من غير المسلمين، ومِن هذه الشروط:

الشّرطُ الأول:

أن يتولّى الصّلح إمامُ المسلمين أو نائبه، فإنْ لم يكن فأهلُ الحلّ والعقد، ممّن تنطبق عليهم المواصفاتُ الشرعية، وإلّا اعتُبر العقد غيرَ صحيح عند جمهور الفقهاء، وينبغي على إمام المسلمين ألّا ينفرد بمثل هذا القرار الخطير، وإنما يجبُ عليه مراجعة العلماء العاملين الذين نذروا حياتهم لله تعالى ولمصلحة الأمة، وأي قرارٍ يصدر على غير هذه الصّفة فلا يصحّ.

الملاحظ اليومَ أنّ قرار الصلح مع اليهود يُتّخذ في غياب العلماء المخلصين الحريصين على مصلحة الأمة، فلا يتحقّق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

الشّرطُ الثاني:

أن يتحقّق من الصلح مصلحة حقيقيّة راجحة، كتقوية المسلمين، والاستعداد لجولة قادمة، وبتطبيق هذا الشّرط على الصلح مع اليهود اليوم، نجد أنه لن يحقق للعرب والمسلمين مصلحةً راجحة، وتكون المكاسب الكبرى في هذا الصلح لصالح اليهود، إذْ سيحصلون بموجبِه على الاعتراف الدولي الكامل بهم، وهذا- بالتالي- سيؤدي إلى التغلغل الاقتصادي الصهيوني في المنطقة العربية والإسلامية، ونشر الفساد والانحلال في صفوف شباب الأمة، والقيام بدور الشرطي لضرب أي تحرّك عربي وإسْلامي صادق، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.

أمّا المصلحة التي سيجنيها الشعبُ الفلسطيني من وراء هذا الصلح فهي إقامة دولة هزيلة على جزءٍ يسير من أرض فلسطين، فهذه المصلحة تتضاءل أمام المصالح التي يحقّقها الأعداء من وراء الصلح، فلا يتحقّق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

الشّرطُ الثالث:

أن يخلو عقدُ الصلح من الشروط الفاسدة، ومثَّلَ الفقهاء لذلك باقتطاع جزءٍ من دار الإسلام، وإظهار الخمور والخنازير في دار الإسلام.

وبتطبيق هذا الشّرط على الصلح مع اليهود نجد أنه لا يتحقّق فيه؛ لأنّ الصلح يقوم على مبدأ (مقايضة الأرض بالسلام) أي لا يمكن أن يتحقّق الصلح دونَ اقتطاع اليهود للجزءِ الأكبر من فلسطين، ومن جهةٍ ثانية فإن الصلح سيؤدي إلى اختراق اليهود للمنطقة العربية والإسلامية لنهب ثرواتها، وإفساد شبابها، والقضاء على قوتها العسكرية والمعنوية، فلا يتحقّق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

الشّرطُ الرابع:

أن يكون عقد الصلح مقدرًا بمدّة معينة، فلا يصحّ الصلح المؤيد، وبخاصة مع الغاصبين المعتدين على الأعراض والأديان والمقدسات.

وبتطبيق هذا الشّرط على الصلح مع اليهود اليوم نجد أنهم يريدونه صلحًا دائمًا، يتنازل بموجبِه المسلمون عن جزءٍ كبير من الأرض المباركة، ولا يجوز لهم أن يطالبوا بذلك الجزء المقطوع فيما بعد، ولضمان ذلك لا بدّ أن تكون تلك الدولة التي يسعى إليها رموز الفلسطينيّين في الخارج منزوعة السلاح أو مرتبطة في اتحاد كونفيدرالي مع الأردن، بحيث لا تقوم لها قائمة في يومٍ من الأيام، فلا يتحقّق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

فإذا كانت شروط عقد الصلح غير متوفرة في الصلح مع اليهود اليوم فلا يجوز الصلح شرعًا، ولا بدّ من أن تكون معاملة المسلمين لليهود قائمة على أساس الجهاد، وأنه الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، ويجب على المسلمين أن ينتبهوا جيدًا لمخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، ويحذروا منها حذرًا شديدًا، ويُخلّصوا الأمةَ من السرطان اليهودي الذي غرس في جسمها، لئلا يستفحل أمرُه، وينتشر خطرُه.

الدكتور محمد عثمان شبير

٤ـ فتوى الشيخ الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد

الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر: أين فتوى الدكتور؟

بقي لنا في ختام هذه الدّراسة القرآنية سؤالان خطيران يلحّان في طلب الجواب، وفصل الخطاب، وخاصة في هذه المعركة الفاصلة التي لا تحتمل أنصاف الحلول؛ لأنها معركة الحياة، والوجود، والمصير.

السؤال الأول:

هل يجوز مصالحة اليهود ومعاهدتهم الآن قياسًا على ما صنعه معهم النبي ﷺ في أول هجرته للمدينة؟!

والجواب:

أن هذا قياسٌ مع «فارق خطير» يبطل به كلّ قياس، بل إن هذا الفارق هو الذي هدمَ عهودهم التي أبرمت معهم أول مرّة، فكيف تقوم معهم عهود جديدة مع وجوده على أبشع صوره وأنواعه؟!

وبيانُ ذلك:

أنّ العهد النبوي مع اليهود كان عهدًا مع قوم لهم أرض وحصون، ومال وسلطان حصلوا عليه قبل الإسلام، وهؤلاء تجوزُ معاهدتهم تبعًا للمصلحة المعتبرة شرعًا.

بل هذا حكم عام ينطبقُ على كلّ مَن يماثلهم ما داموا قائمين في أرضهم وديارهم، ولم يعتدوا على المسلمين، أو يناصبوهم العداء.

ومِن ثمّ فلا ينطبق هذا الحكم على اليهود- الآن- في فلسطين وما حولها، على أي وجهٍ من الوجوه.

ذلك لأنّهم معتدَون على المسلمين، غاصبون لأرضهم ومالهم، مظاهرون لأعدائهم، فضلًا عن عداوتهم الشاملة للإسلام وكتابِه.

والحكمُ الشّرعي هو:

وجوبُ مقاتلة اليهود على المسلمين جميعًا، قتالًا عامًّا شاملًا حتى تُكسَر شوكتهم، وتستخلص حقوقُ المسلمين منهم، ولا يجوز مطلقًا إقرارهم على شيء منها بمعاهدة أو صلحٍ ما. ولقد نهانا الله تعالى عن ذلك نهيًا صارمًا جازمًا، فقال تعالى:

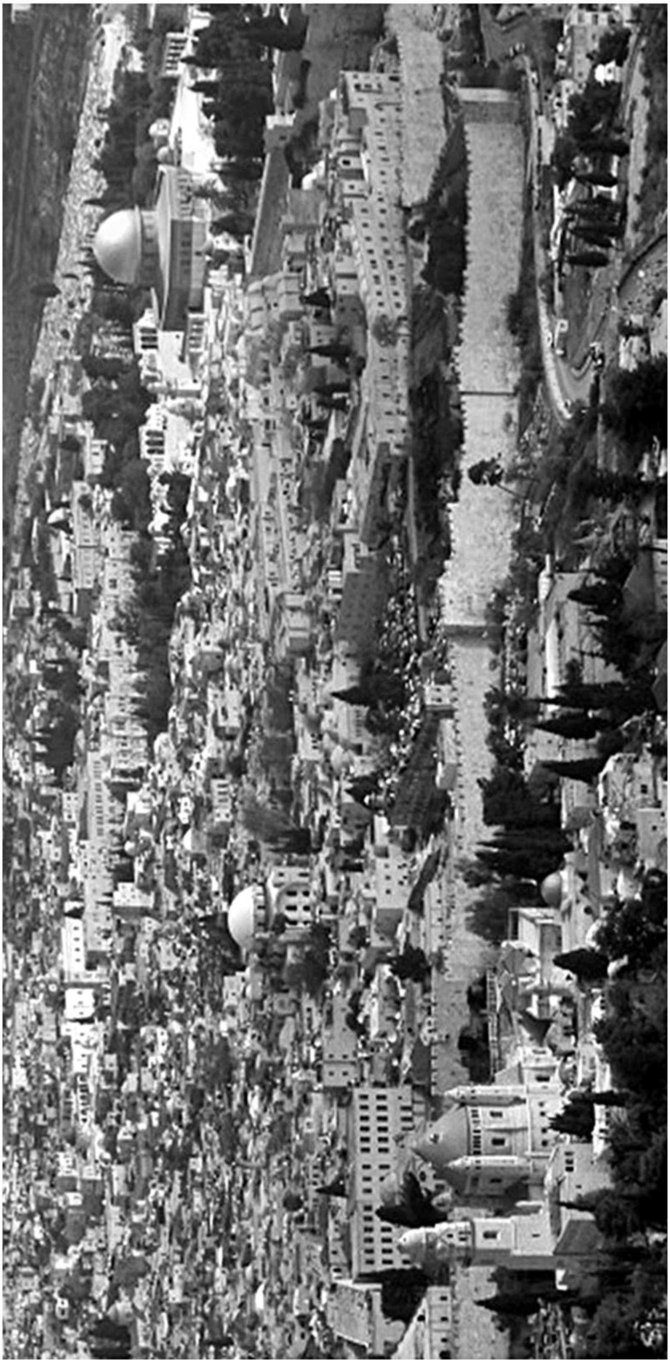
﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

واليهودُ قد فعلوا ذلك كله، وأربوا فيه، وتمادوا على فجورهم، ولذلك جاء ختام السورة الكريمة ينهى عن موالاتهم، من حيث هُم، ولصفاتهم الخبيثة التي جلبَت غضبَ الله عليهم، فيقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾.

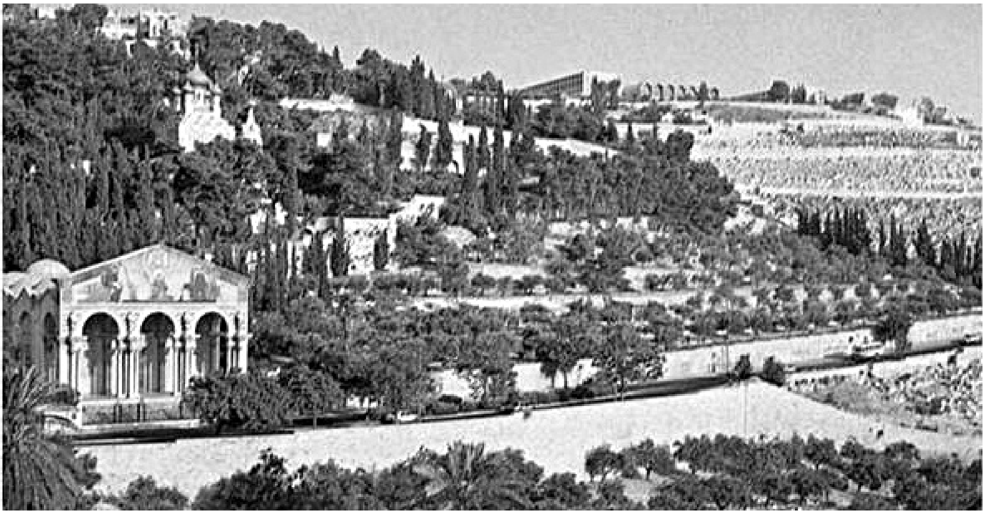
فمَن عاقدهم وعاهدهم بعد ذلك، أو تولّاهم وأقرّهم بشكلٍ ما على جرائمهم فهو «ظالم» مخالف لصريح القرآن، مشاركٌ للمغضوب عليهم في الضلال، مهما تقوَّل المبطلون، أو أدلوا في آيات الله، وكلّ امرئ حجيج نفسه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مسقطٌ رأسيّ للحرم القدسي





أسوارُ القدس



جبلُ الزيتون والجثمانية

البابُ الثاني

المُتغيّرات

قرنٌ مِن الصّراع الدّامي..
دراسةٌ تقْييمية

الفصلُ الأوّل:

جهادُ الشعب الفلسطيني

الفصلُ الثاني:

جهادُ الشعوب العربية والإسلامية

الفصلُ الثالث:

دورُ الحكومات العربية والإسلامية والعالمية

الفصلُ الأوّل

جهادُ الشعب الفلسطيني

يلاحظ دارسُ التاريخ- بوضوح وجَلاء- أنّ الشعب العربي الوحيد الذي دفع أبهظ ضريبةٍ للاحتلال الصهيوني لفلسطين هو بالطبع الشعبُ الفلسطيني، لقد واجهت الأمّة الفلسطينية أبشعَ أنواع الاحتلال الأوروبي الأمريكي الصهيوني الاستيطاني، وسالت دماءُ أهل فلسطين جيلًا بعد جيل، ولا تزال تسيل بحورًا وأنهارًا، وتعرّض الفلسطينيون لأبشع مؤامرةٍ رواها التّاريخ وتناقلتها الأخبار في هذه الحقبة من الزمان، تلك المؤامرةُ التي شارك فيها كلّ العالم بما فيه عالمنا العربي والإسلامي.

فكما سنرى في هذا التقييم أنّ قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين تمّ توظيفها لخدمة مصالح الحكومات والأحزاب السياسية في العالم أجمع دونما أن تشعر تلك القوى في يوم من الأيام بأيّ نوع من الشفقة الإنسانية على ما يجري لهذه الأمة المبْتَلاة من تصفيةٍ جسدية وتنكيلٍ رهيب وتجويع وتشريدٍ وضغوطات بلغت مِن الثّقل والكآبة والأحنان ما هو أثقلُ من جبالِ العالم كله، ومع ذلك فإنّ قمة الإعجاز الذي يأخذ بلبّ الدّارس لحياة هذا الشعب الفلسطيني لقرنٍ مضى من الزّمان أنه ما زال حيًّا نابضًا، بل والأكثر إعجازًا من ذلك أنه ما زال يحمل السلاح ويقاتلُ قتال المجاهدين، بل والأشد إعجازًا أنه بحقّ يجاهد جهاد المسلمين الأوائل، ويعيدُ سيرة الأنبياء، ويصل الماضي بالحاضر على أرض الأنبياء وبطريقتهم وصبرهم وعمقِ إيمانهم.

كانت فلسطين في بداية المحنة- أي بداية القرن العشرين (١٩١٦م)- ولايةً إسلاميّة ضمن ولايات الخلافة العثمانية، ولكونها أرض الأنبياء، وفيها قبور

الكثيرين منهم، كما أنّ بها آثارهم ومعابدهم وفي مقدمتها المسجد الأقصى الذي نزلت فيه آيات الذكر الحكيم.

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

لكلّ هذه الكرامات؛ جعلها السلطان العثماني وقفًا عامًّا للمسلمين، ويعني هذا أن تكون حركةُ المسلمين من فلسطين وإليها حرّةً ودونَ قيودٍ، كما جعل إدارتها تحت إشرافه مباشرة، وعيَّنَ لها حامية تركية لحراستها مِن كلّ ما تعرّضت له من أعمال احتلالٍ وتدمير على مدار التاريخ.

وعندما ضعفت الدولةُ العثمانية، وهاجمتها الأمراضُ الحضارية هجمت عليها كلّ فلول الكفر بكلّ حقده وكراهيته للإسلام، وراح يقتطعُ أملاكها، ويقطع أوصالها قطعةً قطعة خلال حربيْن عالميّتين مَهولتين.

لقد تعرّضت كلّ البلدان العربية والإسلامية بوصفها أسلاب الدولة العثمانية للغزو والاستعمار، ومِن ضمن هذه البلدان كانت حامية فلسطين. غير أنّ البلدان جميعها كانت لها حكومات قائمة وحدود دولية معروفة من قبل الخلافة العثمانية ومن بعدها، إلّا فلسطين فكانت مَشاعًا لعموم المسلمين، ولم يكن لها إدارة محدّدة.

وأمامَ هذه الهجمة الأوروبية الاستعمارية راحت كلّ دولة تدافع عن نفسها منفردة في مواجهة الغزاة الأوروبيين إلّا فلسطين فلم يكن لها رئيس ولا حكومة معروفة؛ لأنّ حاكمها المباشر كان الخليفة بنفسه، ولم يكن لها صاحبٌ محدّد فقد شاع أنها وقفٌ إسلامي لكلّ مَن أراد مِن المسلمين أن يعيش بجوار الأقصى وعلى تراب الأنبياء وصحابتهم، ومِن هنا لما سقط الخليفة حدثَ فراغٌ سياسي في فلسطين،

وكان هذا الفراغ قد أضعف نقاط المواجهة مع العدو في قضية فلسطين على مدار القرن الماضي.

كلّ الحكومات المجاورة أعلنت أنها مسئولةٌ عن فلسطين بينما كانت في الكتمان تنهشُ في لحم فلسطين وهو حرام، هناك حكومات حاولتْ أن تزيد مساحتها على حساب أرض فلسطين، وتآمرتْ تلك الحكومات مع الغزاة المحتلّين – كما سنرى في هذه الدراسة– ومكّنتهم من رقاب المسلمين مقابلَ سكوت تلك العصابات على ما نهبته تلك الحكومات من أرض فلسطين، وهناك حكومات تاجرت بقضية فلسطين لتبتزّ محكوميها، وتضحك عليهم، وتخدعهم بشعارات لا وجود لها في الواقع. وهناك من صنوف المؤامرات على فلسطين ما تزكم رائحته أنوفَ العالمين.

ومع بداية المحنة، ظلّ الشعب الفلسطيني ينتظر المددَ من حاكمه وحكومته التي كانت في مقرّ الخلافة، ولكنّ المدد لم يأت؛ لأنّ الخلافة وحكومتها كانت تلفظ أنفاسَها الأخيرة على يدِ العلمانية التركية بقيادة كمال أتاتورك وتوابعه من الكافرين بالحضارة الإسلامية شكلًا وموضوعًا عقيدةً وشريعة، وفي الوقت الذي أدرك الشعبُ الفلسطيني هذه الحقيقة المرّة، واستيقن من أنها صارت واقعًا. هنا بدأت معاناة الشعب الفلسطيني، وبدأ يواجهُ العدوان العالمي والمؤامرة العالمية بنفسه وإمكانياته المتواضعة مقارنةً مع ما يمتلكه المجرمون الصهاينة المدعومون بكلّ قوى الاستعمار العالمي المعاصر.

ومنذ عام ١٩٢٤– وهو تاريخ سقوط الخلافة الإسلامية وإعلان وفاتها – والشعبُ الفلسطيني يسطّر على أرضه أروعَ بطولة عرفها التاريخ لشعب معاصر، ومن هذا التاريخِ والأحداثُ على أرض فلسطين تتوالى نهرًا متدفقًا دونما انقطاع أو توقف.

نعم.. لقد كانت هناك فتراتُ هدوء نسبى في هذا التدفق الجهادي للشعب الفلسطيني بسببِ عوامل التجهيل والخداع التي طبقت على بعض أجياله، ولكن هذا الهدوء لم يصل قطّ إلى مرحلة التوقف عن الجهاد والمقاومة في أي يوم من التاريخ الفلسطيني المعاصر.

ولقد كانت هناك شبه معاونات من بعض الشعوب المجاورة لفلسطين وفي أضيق نطاق، ولكنّ حجم المؤامرات والشكوك والريب التي لاقاها الفلسطينيون من هذه الشعوب يتعدّى في أثره السلبي ما قدمته تلك الشعوب من معونات متواضعة، بل ويرجّح كِفة الخذلان على كفة المعاونة والمآزرة.

إنّ دراسة التاريخ المعاصر تقول- بلا تلعثُم- إنّنا جميعًا في عالمنا العربي والإسلامي مُدانين للشعب الفلسطيني، وعلينا أن نشعرَ بالخجل والخيبة؛ لأننا تركناهم وحدهم يواجهون أشرسَ أنواع العدوان الذي جاء ليقتلنا جميعًا، ويشرب دماءنا جميعًا، وينهي حضارتنا جميعًا من الوجود كما صوّرت له كراهيته وبغضاؤه.

لقد وضعتِ الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر من سنة ١٩١٨م، وكانت الجيوش الإنجليزية المنتصرة على العثمانيين والألمان تسارع باحتلال أراضي الدولة العثمانية ومنها فلسطين، وبالفعل دخل الإنجليز المحتلّون فلسطينَ منذ عام ١٩١٧، في الوقت الذي قرّرت فيه قوات الجيش العثماني الانسحاب للدفاع عن الخليفة في الآستانة (إسطنبول) أولًا، ولتجنيب المدينة المقدسة بما فيها من آثار مهمّة ويلاتِ الحرب ودمارها، وبذلك دخل الإنجليز فلسطين بلا مقاومة تُذكر.

لم يصدّق سكان القدس الذين احتشدوا في الساحة العامة ليستمعوا إلى كلمة حليفهم (ضدّ الأتراك العثمانيين) الفيلد مارشال اللنبي، لم يصدقوا آذانهم وهو

يقول: اليومَ انتهت الحروب الصليبية. يومها انسحب المفتي وعددٌ من الزعماء احتجاجًا على الكلام الذي نزل عليهم كالصاعقة، وللأسف فقد كان احتجاجًا لا قيمة له؛ فقد جاء بعد فوات الأوان، وكمْ سخرَ التاريخ من المغفلين.

وفي أواخر عام ١٩١٨، سيطر الإنجليزُ على جميع أرجاء فلسطين، وفصلوها عمليًّا عن بقية أجزاء سوريا الأخرى، وتركوا باقي سوريا للاستعمار الفرنسي.

وفي نفس العام الذي دخلوا فيه فلسطين، أعلن الإنجليزُ عن نيّتهم في تمكين اليهود من فلسطين ليقيموا دولةً لهم على أرضها فيما عُرف بوعد بلفور ١٩١٧.

وفي نفس العام الذي تمكنوا فيه من كلّ فلسطين (١٩١٨)، بدأوا بقوة في تحقيق ما وعدوا الصهاينة بتحقيقه لهم.

كان أولُ إجراء معلَن في الجريمة البريطانية هو استقبال «اللّجنة الصهيونية» القادمة من أوروبا بقيادة الصهيوني وايزمان، وقدّمت بريطانيا كلّ دعم وحماية لهذه اللجنة لتنشئ مزارعَ ولإقامة مستعمرات حصينة للمهاجرين اليهود، وفي نفس الوقت بدأ اليهود المتسرّبون من قبل في إظهار هويّتهم الاستعمارية، واجتمع الشّرّان على إنجاح الخطوات الأولى لعملية الاقتطاع والانتهاب.

في أول عام ١٩١٩، وبالتحديد في ٢٧ من يناير (كانون الثاني) ١٩١٩، اجتمع ممثلو المدن الفلسطينية في مؤتمر جامع يتدارسون المحنة، ويتشاورون في أمر ردّ الفعل. وكالعادة، ومثل كلّ المؤتمرات التي عشناها، أصدروا بيانًا عن المؤتمر، ووجّهوه- كالعادة- إلى كلّ أعدائهم الذين صنعوا محنتهم. نسخة إلى ممثلي الخلفاء المنتصرين في الحرب، ومنهم الدّولة المستعمرة بريطانيا، ونسخة إلى مؤتمر السلام في باريس المنعقدُ لتوقيع المهزومين على هزيمتهم في الحرب.

وجاءَ في البيان:

١ـ دحض تاريخي وديني لمزاعم اليهود في فلسطين.

٢ـ الرفض التّام لوعد بلفور.

٣ـ أملاك اليهود لا تتجاوز ٥ , ٢٪ من مساحة فلسطين، وعددهم لا يتجاوز ٩٪ من مجموع سكانها، فكيف يُعقل أن تحكم الأقلية الوافدة الأكثرية القاطنة.

٤ـ فلسطين جزءٌ من أجزاء سوريا الجنوبية لم تنفصل عنها في طور من أطوارها، وتربطنا وإيّاها الروابط القومية والدينية واللغوية والأخلاقية والاقتصادية والجغرافية.

٥ـ إن ما تدّعيه فرنسا من حقوق في بلادنا لا أصل له ولا نقبله. غضبت بريطانيا من هذا البيان الذي رفض الاحتلال البريطاني والفرنسي، ورفض وعد بلفور، ولم تسمح لمندوب المؤتمر بالسفر إلى باريس لتقديم بيانهم إلى مؤتمر السلام في الوقت الذي سمحت فيه بسفر وفدٍ صهيوني ليمثل فلسطين أمام المؤتمر الدولي.

وبكلّ صلفٍ وتبجّح أعلن ممثلُ الصهاينة في المؤتمر الدولي أنه غير راضٍ عن تحديد فلسطين وحدَها وطنًا لليهود، وطالبَ بأن يكون الوطن القومي للصهاينة شاملًا شرق الأردن وأجزاءً من سوريا ولبنان، واعتباره دولة يهودية كما أن إنجلترا إنجليزية.

اتّخذ مؤتمر السلام قرارًا بتطبيق حقّ تقرير المصير في البلدان العربية لترى الشعوب بنفسها مَن يحكمها بعد زوال الحكومة العثمانية، ورغم اعتراض بريطانيا

وفرنسا على ذلك، ولكنّ أمريكا زعيمة المؤتمر أصرت على إرسال لجنة تقصّي حقائق في المنطقة سمّتها لجنة (كنغ - كرين) لتقصي رغبات السكان.

رحّب الفلسطينيون- مسلمون، ومسيحيّون- باقتراح اللجنة إياها، وقاموا بمظاهرات جمعت كلّ أهل فلسطين تقريبًا في مارس ١٩١٩ ليدعموا فكرة اللجنة الأمريكية، ويرحّبوا بقدومها.

في ١٠ من يونيو (حزيران) ١٩١٩، وصلت اللجنة الأمريكية بالفعل، واتصلت بجميع السكان والهيئات المسيحية والإسلامية والمساجد والجمعيات ورؤساء المدن، واستقرّ عندها أن الشعب الفلسطيني بأسره يرفض وعد بلفور، ويرفض استلاب فلسطين لتكون وطنًا للمهاجرين الصهاينة.

أصرّت بريطانيا على إجهاض تلك اللجنة، ومضت في طريقها المشئوم لتمكين الصهاينة من فلسطين، وأمّا اللجنة نفسها فقد أصبحت في خبر كان، ولم يعرْها أحدٌ أيَّ اهتمام، ولم تسعَ أمريكا كعادتها إلى تحقيق ما أعلنت أنها تؤيده.

لقد كانت لجانُ أمريكا دائماً طيلة القرن الماضي من أول هذه اللجنة إلى لجنة تنت في عام ٢٠٠١ وسيلةً أمريكية للتجسس وإعطاء الوقت للصهيونية لإتمام مشروعاتها الإجرامية على أرض فلسطين وشعبها.

بحلول عام ١٩٢٠، أدرك الشعب الفلسطيني، واقتنع أن القوى العالمية بما فيها الحكومات العربية قد تخلّت عن قضيته، وأنه وحده في المواجهة، فكانت أول ثوراته في عام ١٩٢٠م.

واجهت بريطانيا هذه الثورة الشعبية بكلّ جبروت وتعسف، وأعلنت في صلفٍ وكِبْر أنها ستمضي في مخطّطها، وأمضت في تحدّيها للشعب الفلسطيني، وعينت

وزيرًا مختصًّا لتحقيق ما وعدت به بريطانيا حلفاءها الصهاينة، كان هذا الوزير يدعى (هربرت صموئيل)، والأهمّ مِن ذلك أن نعلم أنه يهودي بريطاني الجنسية.

اعتبرت بريطانيا هربرت صموئيل الرئيس الفعلي لفلسطين، ووضعت تحت إمرته كلّ إمكانياتها العسكرية والسياسية ليحقّق حلمَ الصهاينة بالطريقة التي يريدونها.

شرع هربرت صموئيل في تهويد كلّ شيء في فلسطين، وبدأ بالقانون، وسنّ دستورًا للبلاد، وجعل مِن موادّه مطيّة لتحقيق مطامع الصهيونية، ووسيلة لاقتطاع الأرض والأملاك للمهاجرين الصهاينة الجدد.

ونارُ الحرب أوّلها كلام:

عند هذا الحدّ سكت الكلام، وبدأت أعمال التصفية الجسدية لأهل فلسطين، ففي أبريل عام ١٩٢٠، اجتمع المسلمون في عيد سنوي يسمى «موسم النبي موسى» واستغلوا هذا الاجتماع للهتاف والتنديد بالاحتلال البريطاني والصهيوني، وفي اللحظة التي اشتدّ حماس خطيبهم الشاب أمين الحسيني سمعت طلقات أول الرصاصات الموجّهة إلى أجساد الفلسطينيين.. وعلا صوت الرصاص وغطى على كلّ الخطباء والكلمات والنداءات، وسقط الشهيد الأول والثاني والثالث، والتفت الكلّ إلى مصدر الرصاص فإذا به ينطلق من بنادق صهيونية وأيدي صهيونية لأول مرة، هبّت بريطانيا لحماية المجرمين الصهاينة، وتأمين حياتهم وإخماد كلّ الاحتجاجات على ذلك وإدانة الفلسطينيين واتهامهم بأنهم من مثيري الشغب، واعتقال قادتهم، وإلقائهم في السجن، وفي مقدمتهم الشاب أمين الحسيني.

وعندما أخمدت الثورة الأولى، جاء وزير المستعمرات البريطانية «تشرشل» ليدشّن هذا الانتصار، وزيادة في التطرف وضع بالمناسبة حجر الأساس لأول جامعة عبرية على أرض فلسطين.

تكرّرت ثورات الفلسطينيين في مواجهة الاحتلال البريطاني والصهيوني في مايو ١٩٢١، وكانت أشدّ وأقوى، ولكنّها ثورة العزل في مواجهة القوة الباطشة؛ ولذلك أسفرتْ عن مزيدٍ من الشهداء، والجرحى والمعتقلين.

واصل الشعبُ الفلسطيني دعمَه لمَمَثّلي المدن الفلسطينيين الذين اجتمعوا أول مرة في عام ١٩١٩ تحت مسمَّى (المؤتمر العربي الفلسطيني)، وتنادى المؤتمرون للاجتماع الرّابع في القدس في الفترة من ٢٩/ ٥ إلى ٤/ ٦/ ١٩٢١ في أعقاب الثورة.

وحتى هذا التاريخ كان العرب مغفّلين سياسيًّا لدرجة أنهم بعد كلّ ما سبق من إجراءات التّهويد ما يزالون يثقون في بريطانيا، ويتصوّرون أنها ستفعل لهم شيئًا، أو تحقّق لهم بعض مطالبهم، توجّه الوفد إلى بريطانيا ليعرض قضية الفلسطينيين ومطالبهم.

في ٢٠ من أغسطس ١٩٢٢، عاد الوفدُ بعد معاناة في المحادثات مع بريطانيا، ووجد أمّة بأسرها تنتظرُ عودته بكلّ لهفةٍ وشغف لتعرف ردّ بريطانيا على مطالب العرب، وعندما علموا أنّ بريطانيا رفضت كلّ مطالبهم عقدوا مؤتمرًا ليعلنوا فيه أنهم سيتّخذون كلّ الوسائل المشروعة والقانونية لتحرير بلادهم، وكان ذلك في نابلس.

وعلى نفس الوتيرة، تكرّرت المؤتمرات: السادس في يافا عام ١٩٢٣ والسابع في القدس في يونيو ١٩٢٨.. ثمّ.. ثمّ ماذا؟ ثمّ ملَّ الناس المؤتمرات، ولم يعودوا إليها. لقد ضيّع الفلسطينيون وقتًا ثمينًا من عُمر قضيتهم منذ عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٢٩ في مفاوضاتٍ لا جدوى من ورائها حتى كانت أولُ مواجهة حقيقية مع المعتدين في عام ١٩٢٩ فيما عُرف بعد ذلك بثورة البراق، وكانت بمثابة **الانطلاقة الأولى من المسجدِ الأقصى**.

(ثورةُ البراق ١٩٢٩):

تجمّع الناس في المسجد الأقصى، وقرّروا إزالة كلّ مظاهر التهويد من حوله، وتطهيره مِن دنس الصهاينة الذين وضعوا إضافاتٍ تخصّهم عند حائط البراق، وغيّروا مسمّاه إلى حائط المبكى تحتَ حماية الجيش البريطاني وعصابات مسلحة من الصهاينة.

وفي يوم الجمعة، وكان ذكرى مولد الرسول ﷺوالموافق ١٤ من أغسطس ١٩٢٩، هاجمت مجموعات ضخمة من المسلمين تجمعات اليهود حول المسجد الأقصى، وحطّمت كلّ ما أقاموه من تغييرات، وأحدثوه من تشوّهات، وردّت بريطانيا عليهم بالنيران، واستخدمت الطائرات في قصف المتظاهرين، وانتقلت الاشتباكات إلى المدن الأخرى وإلى القرى، وشهدت فلسطين لأول مرة أسبوعًا جهاديًّا حربيًّا بين العرب والمسلمين والمسيحيين من جهة وبريطانيا والصهاينة من جهة أخرى، ولأوّل مرة يحدث هذا التمايز في إطارٍ من الحرب المسلّحة، وعرف هذا (بثورة البراق الأولى).

وكالعادة، شكّلت بريطانيا لجنة تحقيق، وتمت إدانة العرب، وتمّ اعتقال المزيد من قادتهم وإلقاؤهم بالسّجون، والأخطر من ذلك حُكمَ على ثلاثة منهم بالإعدام، وهُم:

١ـ الشهيد/ محمد جمجوم.   ٢ـ الشهيد/ فؤاد حجازي.

٣ـ الشهيد/ عطا الزير.

ونفّذ فيهم الإعدام فعليًّا يوم ١٧ من يونيو ١٩٣٠.

في هذا اليوم الحزين، باتت فلسطين كلها تنزف دمًا، وتذرف دمعًا، ولأوّل مرة غنَّى الشعبُ الفلسطيني للبطولة والجهاد، وجعلها حلمًا من أحلامه، وردّد الناس معًا أنشودةً واحدة كان مطلعُها:

يا ظـــلام السجن خيّم   إننا نهـوى الظـــلاما
ليس بـــعـــد السجن إلا   فـــجـــر بـدر يتسامى

وكان ميلاد أغنيات الدّم التي نمت وشبّت فصارت أغنيات الانتفاضة.

حاولت بريطانيا امتصاصَ غضب الشعب الفلسطيني؛ فأصدرت ما سمّته «الكتاب الأبيض» ودبّجت فيه عبارات وكلمات توحي أنّ بريطانيا لم تعد توافق على مزيدٍ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ حيث لا توجد أرضُ فراغ تستوعبهم، ولكن المنظماتِ الصهيونيةَ شنّت حملة اعتراضات على ذلك، فراحت بريطانيا تؤكّد لهم سرًّا وعلانية أنها لن تتخلّى عنهم وعنْ وعد بلفور، وأنها ماضية في سياستها لإقامة وطنٍ لليهود في فلسطين.

المؤتمرُ الإسلامي الشعبي الأوّل من أجل فلسطين:

في ٢٧ من رجب (ليلة الإسراء والمعراج) عام ١٣٥٠هـ الموافق ٧ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١م، انعقد أكبرُ مؤتمرٍ شعبي جامع لشعوب العالم الإسلامي في مدينة القدس، وفي حرم المسجد الأقصى، رأس المؤتمر الحاج/ أمين الحسيني– مفتي فلسطين– وحضره ١٤٥ مندوبًا يمثلون العالم الإسلامي، وجاءت مُقررات المؤتمر جامعةً لكافة مآسي الأمة الإسلامية، وما تلاقيه من عنتٍ واضطهاد، وركزت في نهايتها على إسلامية فلسطين، وضرورة الاستمرار في العمل الشعبي، وانتخبتْ لجنة دائمة للمؤتمر، وشكّلت لجانًا تابعة له في عددٍ من البلدان الإسلامية.

المنظماتُ الفلسطينيّة الأولى:

في هذا التاريخ. تبلْورت الحركة الشعبية الفلسطينية في عدّة منظمات تعمل جميعًا لمقاومةِ الاحتلال الصهيوني والبريطاني، وتنادي بتحرير فلسطين، وعودتها للعروبة والإسلام، وأهمّ هذه المنظمات:

١ـ الجمعية الإسلامية المسيحية، تضمّ التيار الإسلامي والمسيحي معًا.

٢ـ المؤتمر الإسلامي، يضمّ التيار الإسلامي، وينمّي العلاقات الإسلامية الفلسطينية على مستوى العالم الإسلامي، ويقودُه الحاج أمين الحسيني.

٣ـ المؤتمر العربي وتقودُه الشخصيات التي شاركت في الثورة العربية ضدّ الأتراك العثمانيين، والتي تحالفت مع بريطانيا والحلفاء لهزيمة إخوانهم في الدين، وهؤلاء شعروا بلطمةٍ شديدة عندما اكتشفوا أنّ بريطانيا ضحكت عليهم، وأنهم كانوا في موقفهم جماعةً من المغفلين سياسيًّا، فانقلبوا ضد بريطانيا وسياستها في المنطقة (ويتوبُ الله على مَن تاب).

ونشأ عن هذه التنظيمات عدّة فعاليات، كان أشهرها:

١ـ عقد مؤتمر للتسليح، نادى بضرورة البحث عن مصادر تسليح للشعب الفلسطيني ليتمكّن من مقاومة الجماعات الصهيونية المسلحة.

٢ـ مؤتمر الشباب العربي الأول والثاني.

٣ـ صندوق الأمّة أو مشروع القرش لجمع التبرعات.

٤ـ لجنة حراسة السواحل لمنع دخول الهجرات اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية.

وخلال أعوام ١٩٣٢، ١٩٣٥، تأسّست عدة أحزاب سياسية جديدة كان أشهرها:

١ـ حزب الدفاع الوطني، يدعمه آل النشاشيبى، وكان ينسق مع الملك عبد الله ملك الأردن، ويدعو لوحدة فلسطينية أردنية.

٢ـ حزب الإصلاح العربي الفلسطيني بزعامة د. حسين الخالدي.

٣ـ حزب الكتلة الوطنية بزعامة عبد اللطيف صلاح.

٤ـ حزب الاستقلال العربي.

٥ـ لجنة مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني.

ولم تحظ كلّ هذه التنظيمات بأكثرَ مِن شريحة ضيقة من الشعب الفلسطيني الذي وقع تحت مطارق الجهل والفقر والمرض والصهيونية والاستعمار وسندان الفرقة والتشرذم.

مرحلة الإضرابات العامة:

اتجهتْ أنظار الفلسطينيين مرّة أخرى نحو «اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني»، وفي موعد انعقاد اللّجنة الطبيعي احتشد جمهورٌ غفير من الشعب الفلسطيني حول الاجتماع، وتعالتْ هتافاتهم مطالبةً باتخاذ قرارات مناسبة للموقف الصعب الذي تمرّ به فلسطين، وبالفعل اتخذت اللجنة قرارًا بسلسلة من المظاهرات في عددٍ من المدن لحشدِ الشعب في مواجهة المحتلين الصهاينة والإنجليز معًا، كما أضافت اللّجنة فعاليةً جديدة هي مواكبة المظاهرات بإضرابٍ عام يشمل كلّ فلسطين يوم المظاهرة.

ونفّذت المظاهرات يقودُها المجاهد «موسى كاظم باشا»، وتمّت الاستجابة العامة لقرار الإضراب. وفي يوم المظاهرة، أصبحت كلّ فلسطين في حالة إضرابٍ شامل. وتمّ ذلك في القدس ويافا، وكانت المواجهة البريطانية للمظاهرات عنيفة وإجرامية وأسفرتْ عن مئات القتلى والجرحى، وتعرّضت حياة موسى كاظم باشا للخطر أكثرَ من مرّة، وهو في ٨٣ من عمره. وكان آخرُ هذه الفعاليات عيدَ الأضحى في مطلع عام ١٩٣٤م.

ثورةُ الشيخ عزّ الدين القسام:

ولدَ عزّ الدين القسام في سوريا عام ١٨٧١، ودرس في الأزهر في مصر عام ١٨٨٥، وقاتل الفرنسيين المحتلين لسوريا طيلة أيام شبابه الأولى، وعندما ضيّقوا عليه الخناق وجد نفسَه أمام خيارين: الاستسلام الذليل أو القبض عليه والإعدام، يومها قرّر الانتقال من ميدانٍ إلى ميدان فتوجّه لمحاربة الإنجلترا والصهاينة في

فلسطين. استقرّ المقام به في قرية الياجور قربَ حيفا بفلسطين، ونزل ضيفًا على صديقه كامل القصّاب، وكان مقدمه ذلك في فبراير ١٩٢٢م.

انتقل بعد ذلك للسكن بأسرته في منازل الوقف المعدة للفقراء.. وعمل مدرسًا في مسجد النصر في حيفا، ثمّ انضمّ إلى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٦م وتدرّج في صفوفها حتى انتُخب رئيسًا لها في يوليو ١٩٢٨.

عملَ خطيبًا في أكبر مساجد المدينة، وكان يسمّى مسجد الاستقلال، وبذلك أصبح متّصلًا بكلّ طبقات الأمة التي أحبّته وأحبّت المسجد الذي كان يخطب فيه.

ومنذ قدومِه إلى فلسطين ١٩٢٢م، وشاغلُه الأول أن يشكل جماعة من المجاهدين القادرين على أحراز النصر على الصهاينة والبريطانيين، وقد تحقق ذلك بالفعل عندما كانت الظروف العامة في فلسطين مهيّأة تمامًا لتبنّي تلك الثورة المنتظرة.

لقد كانت أحداث ١٩٣٣ – ١٩٣٥م، التي سردنا جزءًا منها، مهيئةً لقدوم ثورة عربية إسلامية لتخلّص البلاد من أيدى الغاصبين.

وقد رأى ذلك القسام فجمعَ قياداته التي أعدّها، وأخبرهم أن ساعة الصفر قد حانَت، وكان ذلك في أواخر أكتوبر عام ١٩٣٥م.

خطّةُ الثورة:

جمعَ عزّ الدين القادةَ الذين أشرف على تربيتهم بنفسه، وقد بلغ الستين من عمره في هذه اللّحظات، وراح يلقّنهم خطة العمل خلال الأيام القليلة المقبلة على النحو الآتي:

* يغادر جميعُ أفراد التنظيم أماكنهم فورًا، ويتوجّهون إلى أرض المعركة في جبال جنين القريبة من حيفا، وعليهم أن يودّعوا أهليهم، ويواعدوهم اللّقاء في الجنة.

* وفي قرية كفروان الجبلية، وزّع القائد رفاقَه على قرى: يعبد وفقوعة، وصندلة وقباطية للاتّصال بأهاليها، وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة، حتى يضمّوا إليهم أكبر عددٍ من المناضلين، فإذا اكتمل العددُ الذي يريده هاجمَ مدينة حيفا، واحتلّ دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتبّ له الأمر يعلن قيام الحكومة الوطنية، ويكون أعوانُه في المدن الأخرى قد قاموا بنفس العملية.

ولقد سارت الخطة كما يرام.. ها هو القسّام ابنُ الستين عامًا يتسلل ليلًا، وقد نزع لباسّ الواعظ ليرتدي لباسَ القائد المجاهد.. ويجمع أسرته وأولاده الصغار ليخبرهم بعزمه، ويواعدُهم في جنةِ رضوان. وفي الجبال، اتّخذ رجال (الجهادية) مراكزَ لهم، نهارهم اتصالٌ بالآخرين في القرى المجاورة، وليلُهم عبادة وتهجّد وتدريب على السلاح.

وكان القائد محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قربَ فقوعة فشاهد دورية بوليس مِن الفرسان يقودهم شاويش يهودي، فدبّ الحماس في المناضل الحارس، فأطلق النارَ على الشاويش اليهودي فقتله، إلّا أنّ زميله استطاع الهرب. وفي اليوم الثاني صباح يوم ١٥ من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٥م قامت قوات كبيرة إنجليزية بتطويق جميع القرى المجاورة، ثمّ تطوّرت الأمور فعقدَ اجتماع في مكتب المندوب السامي الإنجليزي، وتقرّر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها. وأرسلت نجدات من رجال البوليس الإنجليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا، تساندهم الطائرات، وزحفت القوات إلى جبال

جنين، وطوّقت منذ طلوع الفجر قرى: يعبد واليامون وبرقين وكفروان وفقوعة. كان الشيخ القسام مع أحد عشرَ مُناضلًا في أحراشٍ يعبد في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية مِن يعبد. وحين طلب إليه أن يستسلم أجابَ إننا لن نستسلم، والتفتَ إلى زملائه قائلًا: موتوا شهداء. واستشهد القائد الكبير عزّ الدين القسّام يوم تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٥م.

خلفاءُ القسّام يستأنفون الجهاد:

لم تمض إلّا شهور قليلة حتى كانت الشرارة الأولى لثورة ١٩٣٦م، حينما قام فرحان السعدي ورفاقُه من خلفاء القسام يوم ١٥ من أبريل ١٩٣٦م بنصب كمين لقافلة من ١٥ سيارة صهيونية على طريق طولكرم– نابلس، فأوقعوا بالقافلة إصاباتٍ كثيرةً وقتلى. وكانت الشرارةُ الثانية من يافا لمجموعة أخرى في ١٩ من أبريل ١٩٣٦م، ثمّ انتقلت عمليات الهجوم والمقاومة إلى جميع مدن فلسطين لتشكل امتدادًا جديدًا لثورة القسّام.

نابلس تواصلُ الثورةَ وتقودها:

عقد رجالُ الثورة في نابلس اجتماعًا تنظيميًّا، وقرّروا فيه استمرارية العمل القتالي حتى خلاص البلاد مِن المحتلين الإنجليز قبل الصهاينة، وانتخبوا قيادة للثورة مكوّنة من:

١ـ عبد اللطيف صلاح. ٢ـ أكرم زعيتر. ٣ـ فريد الفيشاوي.
٤ـ أحمد الشكعة. ٥ـ واصف كمال. ٦ـ حكمت المصري

وفي اليوم التالي، تجاوبت مدن القدس ويافا مع نابلس، واختارت لجنة قومية لقيادة الثورة في حدودهما.

وفي اليوم الثالث، تجاوبت بقية مدن فلسطين، وأصبح هناك في كلّ مقاطعة فلسطينية لجنةٌ قومية لمواصلة ثورة القسام.

وفي ٢٥ من أبريل ١٩٣٦م، تمّ تشكيل قيادة سياسية عليا تحت مسمى «اللجنة العربية العليا»، واختارت الحاج أمين الحسيني رئيسًا لها، وكان قد اعتزل العمل في مواجهة الإنجليز منذ عام ١٩٣١م، وبذلك اعتبرت عودته ومواجهته للإنجليز مكسبًا جديدًا للثورة، وأعلنت اللجنة العربية العليا ثلاثة مطالب محددة كشرطٍ لوقف الثورة والإضراب، وهي:

١ـ إيقاف ومنع الهجرة اليهودية منعًا باتًا.

٢ـ منع انتقال الأراضي العربية لليهود.

٣ـ إنشاء حكومة وطنية أمام مجلس نيابي منتخب.

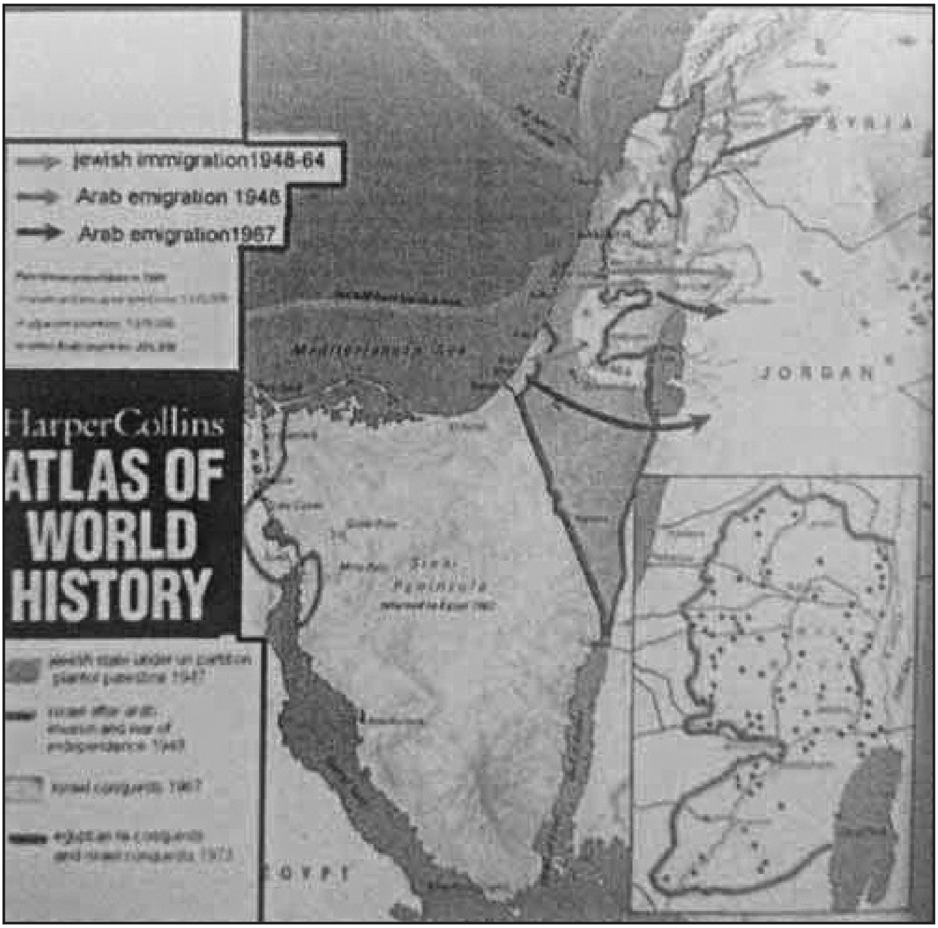
استمرّت الثورة وأعمال المقاومة في جميع أنحاء فلسطين، واستخدمت بريطانيا كلّ وسائل القمع والإرهاب والقتل، ولم تستطع إيقافها.

لجأتْ بريطانيا إلى الحكومات العربية، وكانوا أصدقاءها فاجتمعوا وأصدروا بيانًا لوقْفِ العنف والجلوس إلى مائدة المفاوضات، وكان ذلك في ٨/ ١٠/ ١٩٣٦م. وللأسَف الشديد، استجابت اللّجنة العربية العليا لذلك، وأمرت المجاهدين بوقف القتال في ١٢/ ١٠/ ١٩٣٦م، وجلسوا للمفاوضات مع بريطانيا والصهاينة،

وبدأت مرحلةٌ جديدة ومريرة عرفت بمرحلة مشاريع التقسيم (فما أشبه اليوم بالبارحة).

ضدّ مشروع التّقسيم الأول:

في ٧ يوليو ١٩٣٧، نشرت الحكومة البريطانية أولَ مشروع لتقسيم فلسطين بين الفلسطينيين والمحتلين الصهاينة.



الأطلسُ الأمريكي يعترف بأنّ فلسطين احتُلّت بالقوة

وحاولت بريطانيا أن تفرض مشروعَها بقوة الاحتلال والقهر، ذلك المشروع الذي يهدفُ إلى تحويل حلم الصهاينة إلى حقيقة، وتكريس سياسة الظلم والانتهاب بقوة المدافع والإرهاب.

انتشر خبرُ مشروع التقسيم الآثم في البلاد العربية كانتشار النارِ في الهشيم، وأفاقت الأمّة على كابوس الصهيونية، فانتفضت وأظهرت غضبها، وتعالت أصواتها مناديةً بالجهاد من أجل تحرير فلسطين، وسارع القادةُ العرب لامتصاص غضب الأمة، وكالعادة نادوا بعقد مؤتمرٍ كبير، وانعقد المؤتمر الكبير في بلودان بسوريا في ٨/ ٩/ ١٩٣٧، وانتهى إلى قرارات (كالعادة) حاسمة وقوية، ولكنْ مَن سينفّذها؟

القراراتُ العربية:

١ـ فلسطين جزءٌ لا يتجزأ من الوطن العربي.

٢ـ رفض ومقاومة التقسيم.

٣ـ الإصرارُ على إلغاء الانتداب البريطاني ووعد بلفور.

٤ـ وقفُ الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٥ـ إصدارُ تشريعٍ يمنع انتقال الأرض إلى اليهود.

وأمعنتْ بريطانيا في سياسة القمع والاعتداء، واعتقلت الآلافَ من الشعب الفلسطيني وقادته، وباتتْ فلسطين مثخنةً بالجراح، غارقة في بحرٍ من الدماء

والدموعِ، ملفوفةً بثياب من الحزن. لقد بلغت المؤامرة ذروتها، واجتمع كيد الأعداء، وخيانة الحكام، وضعف الشعوب العربية والإسلامية مع أطماع الصهيونية وقسوتها لتكون فلسطين- أرضًا وشعبًا- هي الضحيةَ والذبيح.

استشهادُ فرحان السّعدي:

ولّما اشتدت رياحُ الثورة أعلنت لها قائدًا جديدًا خلفًا لعزّ الدين القسام، وهو الشيخ فرحان السعدي.

وكان ردّ الفعل الفلسطيني الأول قيامَ جماعة القسام باغتيال الإنجليزي المعيَّن حاكمًا لمنطقة الجليل والمدعو «أندروز»، وكان من المتاجرين في الأرض الذين ولغوا في دماء الفلسطينيين كثيرًا.

سارعت بريطانيا باعتقال السعدي، وقدّمته للمحاكمة بتهمة اغتيال «أندروز» وحكمتْ عليه محكمةٌ عسكرية بالإعدام خلال ساعات، ونُفّذ حكم الإعدام بالفعل في الشهيد البطل فرحان السعدي في ٢٢/ ١١/ ١٩٣٧. وكان السعدي في الثمانين من عمره، وفي رمضان، فلقي ربه وهو صائم.

عبد القادر الحسيني يواصلُ القتال:

في صباح يوم ٢/ ١١/ ١٩٣٧، اليوم المحدّد كساعة الصفر لاستئناف القتال بقرارٍ من (لجنة الجهاد المركزية) انقضّ قائد المقاتلين عبد القادر الحسيني على معسكراتِ الإنجليز في القدس وحولها. وعلى التوازي، قامت مجموعاتٌ من المناضلين بالهجوم على تجمّعات الإنجليز والصهاينة في كلّ فلسطين، وفي اليوم الذي يواكب ذكرى وعد بلفور انقلبت فلسطين كلُّها إلى أتون حربٍ جهادية.

واستمرّت المقاومة على هذا النحو حتى عام ١٩٣٩، وبلغت العمليات من (٥٠٦) عام ١٩٣٧، إلى (٥٧٠٨) عام ١٩٣٨ وإلى (٣٢١٥) عام ١٩٣٩م.

وقدّرت خسائر البريطانيين بأكثر من ١٠ آلاف قتيل غير الجرحى، ومن اليهود ١٠ آلاف قتيل غير الجرحى، كما قدر عددُ الشهداء الفلسطينيين بـ ١٢ ألفًا، والذين حُكم عليهم بالإعدام شنقًا (١٤٦)، والمنازل التي نُسفت خمسة آلاف مترل.

كما قامت القواتُ البريطانية بإقامة سورٍ من الأسلاك الشائكة حول كلّ فلسطين من ناحية سوريا ولبنان لمنع تسلل أي مساعدات للمجاهدين.

بريطانيا تتراجعُ عن مشروع التقسيم:

وحاولت بريطانيا إخمادَ الثورة، فأعلنت بعدَ دراسة فنيّة مستفيضة استحالة تنفيذ مشروع التقسيم الذي أعلنته، ثمّ دعتِ الجميعَ للجلوس إلى مائدة المفاوضات.

الوفودُ العربية في المؤتمر في لندن:

خضعت بريطانيا لقوّة الثورة، وقبلت وفدًا عنها يمثّل فلسطين برئاسة المفتي العام أمين الحسيني، ولكنّه أرسل نائبًا عنه الأستاذ/ جمال الحسيني، وأرسلت مصر وفدَها برئاسة عبد الرحمن عزام، وكذلك مثّلت وفود كلّ مِن العراق والسعودية والأردن واليمن.

وأصرّت الوفود العربية على شروط لجنة الجهاد المركزية الخمسة السابقة كحدٍّ أدنى للتفاوض، ولم تستطعْ بريطانيا زحزحتهم عن ذلك، ففشلَ المؤتمر وعادت الوفود إلى بلادها.

الحربُ العالمية الثانية وفلسطين:

عندما شبّت الحربُ العالمية الثانية، شُغلت بريطانيا بمواجهة النازية، واستغل اليهود الفرصة، فأعلنوا مساعدتهم لبريطانيا، ولكنّهم طالبوها بأن تطلقَ يدُهم كاملة في فلسطين، فلمّا رفضت مطلبهم انقلبوا عليها، وهاجموا معسكراتها الضعيفة في فلسطين، ثمّ أعلنوا انحيازَهم للقوة الجديدة الصاعدة وهي أمريكا، وبالفعل انحازت لهم القيادةُ الأمريكية، وأعلنت ما يؤيدهم في إنشاء وطنٍ لهم في فلسطين على لسان روزفلت في ١٦/ ٣/ ١٩٤٤.

وسعتْ أمريكا بقيادة روزفلت عند الملك عبد العزيز– عاهل السعودية– ليقوم بدور الوسيط بين العرب في فلسطين والصهاينة على أساس إقناع العرب جميعًا بالهجرة مقابلَ تعويضات سخيّة ويتركوها أرضًا خالصة للصهاينة، ولكنّ الملك عبد العزيز رفضَ هذا المشروع، وأعلن استحالة تنفيذه.

وأمّا المفتي الحاج أمين الحسيني فكان هاربًا في لبنان التي تخضع للسيادة الفرنسية، ولمّا أحسّ بأن فرنسا سوف تقبض عليه، وتسلّمه للإنجليز؛ هربَ مع رفاقه إلى بغداد التي كان بها حكومة وطنية يقودها رشيد عالي الكيلاني.

وقرّرت بريطانيا شنّ الحرب على العراق لرفضها تسليم المفتي، وبالفعل حاربت بريطانيا العراق، وغيرت حكومتها بالقوة وجاءت بحكومة جديدة.

بدأت الحكومةُ العراقية الموالية للإنجليز تبحثُ عن المفتي ورفاقه للقبض عليهم ونجحتْ في القبض على القائد/ عبد القادر الحسيني؛ فاعتقلته وأرسلته إلى فلسطين ليواجه محاكمةً عسكرية بريطانية، وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

وأمّا المفتي أمين الحسيني فقد فرّ إلى إيران ثمّ إلى السفارة اليابانية ثمّ إيطاليا، وحصل على تأييد موسوليني، ثمّ إلى ألمانيا وقابل هتلر وحصل على تأييده، ثمّ إلى فرنسا كلاجئ سياسي، ثمّ تمكّن من الهرب إلى مصر في ٢٩/ ٥/ ١٩٤٦، وحاول دخول فلسطين مرارًا، وبعد عدّة محاولات نجحَ في الوصول إلى غزة حيث انعقد المجلسُ الوطني الفلسطيني، وقرّر استئنافَ الجهاد في مواجهة البريطانيين والصهاينة، وكان ذلك في عام ١٩٤٧ على مشارف الحربِ الوحيدة التي دخلتها الجيوش العربية لتحرير فلسطين.

الهيئةُ العربية العليا تقاومُ التقسيم:

أصدرتِ الهيئة بيانَها في ١/ ٩/ ١٩٤٧، رفضت فيه كلّ المقترحات الأمريكية أو الأوروبية بشأن التّقسيم بين العرب وبين اليهود والمناطق الدولية جملة وتفصيلًا.

المفتي يقاومُ دخولَ الجيوش العربية:

في ١٦/ ٩/ ١٩٤٧، عقدت الجامعة العربية اجتماعًا لها في صوفر، وقررت مقاومة التقسيمِ والعملَ على حماية الفلسطينيّين، ولو أدّى ذلك إلى دخول الجيوش العربية لحمايتهم، وشكّلت لجنة لدراسة الواقع على الأرض، وكان تقرير اللجنة واضحًا بأن هناك ضرورةً للحماية العسكرية للمواطنين الفلسطينيّين من العصابات الصهيونية التي أحصوها من ٥٠: ٧٠ ألف مسلح صهيوني مدَرّب.

ولكنّ المفتي كان يرى في دخول الجيوش العربية ومعظمها في هذا الوقت تحت قيادة الإنجليز؛ خطرًا على القضية الفلسطينية، ويعزل الأرض عن أهلها، وقدّم مشروعًا للجامعة مكونًا من بنْدين هُما:

١ـ تأليف حكومةٍ عربية في فلسطين على الفور.

٢ـ تسليح الفلسطينيّين ومساعدتهم بالمال والسلاح، وعدم دخول الجيوش العربية النظامية إلى الفلسطينيّين.

الفلسطينيون يقاومونَ قرارَ التقسيم الأمريكي رقم (١٨١):

حشدت أمريكا كلّ قوتها وجبروتها النامي لإنجاح التصويت على قرار تقسيم صادرٍ من الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونجحت بالفعل في مسعاها الإجرامي الظالم، وصدر القرارُ بموافقة ٣٣ دولة منها أمريكا وروسيا، وعارضته ١٣ دولة منها الدول العربية الستّ، وأربع دول إسلامية هي (أفغانستان وإيران وتركيا وباكستان) وثلاث دول أخرى هي (الهند واليونان وكوبا) وامتنعت عشرُ دول عن التصويت ليكون مجموع الدول الحاضرة ٥٦ دولة.

وما إنْ أُعلن عن صدور هذا القرار الظالم؛ حتى هبّ الشعب الفلسطيني يقاتل بكلّ ما في يديه في حربٍ تصلُ اللّيلَ بالنهار، وسطّر الفلسطينيون بأسلحتهم البدائية وعتادهم القليلِ أسمى آياتِ البطولة والجهاد في معارك جهادية سوف تبقى علماً على أصالة الشعب العربي الفلسطيني وصدق إيمانه، وكان ذلك في مواقع: ظهر الحجة، وكفر كنا، وعين باهل، والماصيون، ومعركة الدهيشة. وأمامَ هذه الثورة أعلنت بريطانيا أنها سوف تلغي انتدابَها، وتنسحب عن فلسطين في ١٥ من مايو ١٩٤٨م، كما أعلن الرئيس الأمريكي ترومان أنه سوف يتقدّم بمشروع للأمم المتحدة يلغي فيه مشروع التقسيم، ولكنّ اليهود رفضوا هذا التوجّه، وطالبوا الغرب أنْ يعطيهم فرصةً للدفاع عن الأرض التي اغتصبوها في فلسطين، وبالفعل استجابت لهم أوروبا وأمريكا، وتراجعت كلّ الدول عن قراراتها ووعودها.

وفي الجانب الفلسطيني، تعالت الأصواتُ تطلب المعاونة من العرب والمسلمين، ولكنّ المددَ لم يصل، والعون لم يتحقق، حتى إن الأسلحة التي اشتراها المواطنون بأموالهم عطّلتها اللجنة العربية المشكلة لذلك، ولم تسلّمها للقائد عبد القادر الحسيني عندما حضر ليتسلّمها، وعاد كسيرًا من حيث أتى.

الفلسطينيون والصهاينةُ في المواجهة:

في هذه اللحظة التاريخية الحرجة، انكشفت القوة العربية والإسلامية في مواجهة قوى الاحتلال البريطانية الأمريكية الصهيونية، والتفتَ الفلسطينيون حولهم فلم يجدوا مِن القوة إلّا:

قوات الجهاد المقدس:

وهي القواتُ التابعة للمفتي أمين الحسيني، وكانت بقيادة البطل عبد القادر الحسيني، وكانت قليلةَ العدد، ضعيفةَ التسليح، ولولا شخصية قائدها ما ذكرها أحد.

جيشُ الإنقاذ:

شكّلته جامعة الدول العربية، وكان قوامه (٧٧٠٠) متطوعًا، منهم ٢٥٠٠ من داخل فلسطين والباقي من الدول العربية، وقد نالوا قسطًا من التدريب في معسكر قطنا بسوريا، وكان قائدُه الضابط فوزي القلوقجى، وحسب تقريره هو للجامعة العربية فإنّ المتطوعين كان معظمُهم غير متدربين وأسلحتهم رديئة. وفي أول خطبة له في مقرّ القيادة في بلدة تسمّى جبع على سفوح جبل حوريس بين نابلس وجنين، قال:

«جئنا إليكم بقلبٍ واحد وهدفٍ واحد هو إلغاء قرار التقسيم وتدمير الصهيونية وافتداء عروبة فلسطين».

وعلى الصعيد السياسي، فإنّ جيش الإنقاذ كان مرفوضًا كما قدمنا من المفتي الحاج/ أمين الحسيني وضدّ خطته في التحرير، وأيّدته في ذلك مصر، بينما كانت الأردن والملك عبد الله على رأسها من المشجّعين على دخول الجيوش العربية، وإضعاف دور القيادة الفلسطينية ليتمّ له الاستيلاء على الضفة الغربية حسب اتفاقِه مع الصهاينة منذ عام ١٩١٧ كما قدمنا.

وعلى الناحية الأخرى، كانت الجيوشُ اليهودية تنتظم في منظماتٍ ثلاث:

١ ـ الهاجانا:

وهي القوة الحربية الرئيسة الرسمية، وتضمّ ٦٢ ألفًا من الجنود المدربين والمزوّدين بأحدث الأسلحة. ولها ثلاثةُ أقسام هي:

ـ سكان المدن والمستعمرات، وعددهم ٤٠ ألف مسلح.

ـ شرطة المستعمرات (هنوطروت).

ـ البالماخ أو فرقة الصاعقة.

والهاجانا ليست مجرد تنظيم عسكرى، بل هي حركة شعبية عقائدية يهودية، قامت أساسًا لتربية الشبان اليهود (فتيانًا وفتيات) وإعدادهم من أجل النضال والاستقلال، أوْ كما قال قائد الهاجانا (يسرائيل غاليلى): هدفنا هو استخلاص كلّ القوة الكامنة في الييشوف (أي الشعب اليهودي) لتحقيق هدفنا في الدفاع عن الحياة والممتلكات والشرف اليهودي.

ولقد عمّقت الهاجانا جذورَ المهاجرين في اليهودية، وصبغتهم بتعاليم التوراة، وفرضت عليهم تعلّم العبرية.. وقد عبّر بن غوريون عن ذلك فقال: "إن التّوراة هي صكّ وجودنا، ولقد تحولت الهاجانا مع الزمن إلى مؤسسة جيش الدفاع الإسرائيلي».

٢ـ عصابة شتيرن: وتضمّ حوالي ٣٠٠ مسلحًا.

٣ـ عصابة الأرغون زفاى ليومى: وتضمّ حوالي ٦٠٠٠ مسلحًا.

٤ـ قوةُ الشرطة اليهودية: وعددها حوالي ١٠٠٠ مسلحًا.

وبعبارة أخرى، فإنّ مجموع المحاربين اليهود كان لا يقل عن (٧٠ ألف مقاتل).

ترتبطُ هذه الملحمة الجهادية باسم القائد العربي البطل عبد القادر الحسيني؛ لأنه استشهدَ فيها، وكانت بابَه إلى الجنة.

وعبد القادر الحسيني هو ابنُ المناضل المجاهد القديم سيدنا موسى كاظم الحسيني– رحمة الله عليه– الذي استُشهد في الميدان وهو يقاوم الإنجليز من قبل الصّهاينة.

وعبد القادر خليفةُ أبيه كان خريجَ الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي يوم تخرجه كانت نوايا أمريكا نحو فلسطين قد اتّضحت وانكشفت سوءتها، فقام أمام الحاضرين في حفل التخرج بتسلم الشهادة ثمّ مزّقها بعنف، وهو يقول: «إنه لا يشرّفني اليوم أنْ أحمل شهادةً من الجامعة التي تنتمي إلى الدولة التي تآمرت على وطني فلسطين»، ثمّ كانت سيرته سيرةَ الأبطال حتى نال الشهادة.

والقسطل قريةٌ فلسطينية على مقربةٍ من القدس، حاول اليهود احتلالها لتكون ممرًّا لهم نحو القدس الجديدة التي حاصرتها قوات عبد القادر؛ لأنها كانت مستعمرةً يهودية، واستمرّ الحصار حول اليهود حتى كادوا يموتون جوعًا وعطشًا.

ونظرًا لأهمية القسطل في فكّ الحصار، فقد جرتْ معارك رهيبة لمنع اليهود من الاستيلاء عليها، ولكنهم- بالاستعانة بالطائرات والمدافع التي لا يملكها المجاهدون- استطاعوا احتلالَها بالفعل والتحصّن بها، وأصبحت مهمّة تحريرها أصعبَ من الدفاع عنها، وأشرفت ذخيرة المجاهدين على النفاذ؛ فتوجّه عبد القادر الحسيني إلى اللّجنة العسكرية العربية لطلب المعونة، فلم يستطع الحصول عليها، ثمّ عادَ إلى المجاهدين وأخبرهم بذلك وحثّهم على الصمود والجهاد حتى الشهادة، وكان له ذلك في أبريل عام ١٩٤٨.

المدنُ العربية تتساقطُ في أيدي الصهاينة:

حدثَ ذلك الانهيار نتيجة لقلّة المعونة وضعف التسليح والخذلان العربي والإسلامي لإخوانهم في فلسطين.

ولم يكنْ أمام الباقي من الشعب الفلسطيني إلّا الفرار أمام إجرام الغزاة وبربريّتهم حيث ترك النساء والعجائز بيوتَهم وأرضهم، وحاولوا النجاة بحياتهم، وعلى أكتافهم ما استطاعوا من الحُطام.

وكانت القواتُ الصهيونية تلاحقُهم بالقتل والتمثيل بالجثث والإرهاب والاغتصاب أيْنما أدركتهم. حدثَ ذلك في دير ياسين وعددٍ كبير من المدن العربية. ومع ذلك، فإنّ عددَ المدن التي صمدت ولم تهاجرْ كان هو الغالب، ولم يتجاوز عددُ المهاجرين ٢٠٠ ألف مهاجر.

الحربُ الرسميّة عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩:

رغم معارضة الشيخ أمين الحسيني- القائد الفلسطيني- ومعارضة الغالبية من الشعب الفلسطيني لتدخّل الجيوش العربية، فقد فرضت جامعة الدول العربية هذا التدخّل، واتّخذت قراره في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨، وهو التاريخ الذي أعلنت فيه الصهيونية قيام دولتها على أنقاض الانتداب البريطاني. هنا كلام مفقود

كانت خطة الجيوش العربية أن تلتقي الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والأردنية (الجبهة الشمالية) في بلدة العفولة في قلب فلسطين، ثمّ يبدأ زحفها نحو الساحل من هناك لتشقّ صفوف الصهاينة، وتمنع اتصالهم ببعض، وفي نفس الوقت يتقدّم الجيش المصري (الجبهة الجنوبية) نحو عسقلان والمجدل.

حدث هذا في العلن، أمّا في السرّ والخفاء فقد كان ملك الأردن الأمير عبد الله ورئيس وزرائه المدعو توفيق أبو الهدى يتّفقان مع الصهاينة على أن تكون الضفة الغربية للأردن، وللصهاينة باقي فلسطين.

ومع كلّ هذه الخيانات وضعف التسليح وقلة المقاتلين، فقد كان الموقف العربي- بفضل حماسة الجنود والمتطوعين- موقفًا حسنًا ومبشّرًا بالنصر، وحقّقت القوات العربية تقدمًا على كلّ الجبهات، وكادت تحاصر تل أبيب معقل الصهيونية وعاصمتها المعلنة.

الهدنةُ الأولى:

أو سمّها الخيانة الأولى في الحرب، فقد أسرعتْ أمريكا وبريطانيا لحماية اليهود، وطلبتا من الجامعة العربية ضرورةَ إعلان الهدنة والتفاوض، وسارعت الدولتان

بعرضِ ذلك على مجلس الأمن، وأخذ مجلس الأمن قرارًا بالهدنة، وأصبحت الجامعةُ العربية بين أمريْن: النصر أو قبول الهدنة، وللعجب أنها قبلت الهدنة وأجهضت النصر الذي لاح فجره.

لقد كان قرارُ الهدنة الأولى صفحةً سوداء في سجل جامعة الدول العربية سطرتها في عمان في ١/ ٦/ ١٩٤٨، أي بعد حوالي أقلّ من شهر من القتال.

وفي أثناء الهدنة، تدفّقت المعونات على اليهود، والعرب يتفرّجون على مندوب الأمم المتحدة برنادوت، ويشرحون له أمانيهم في السلام، وعندما استعاد اليهود قوّتهم قتلوا برنادوت، ورفضوا كلّ قرارات لجنته، وبدءوا هجومًا جديدًا بسلاح جديد.

القتالُ الثاني:

في ٩ من يوليو ١٩٤٨، بدأ اليهود الحربَ الثانية بطائرات أغارت على القاهرة ودمشق وعمان، وكان تطورًا في المعركة أدى إلى انسحاب معظم الجيوش العربية من مواقعها والتوجّه لحماية بلدانها.

الهدنةُ الثانية:

أمامَ هذه الظروف، قرّر مجلس الأمن في ١٥ من يوليو ١٩٤٨ قرارًا آخر بالهدنة استجابَ له الجميع من الحكومات واليهود، وكما حدث في الهدنة الأولى استخدمتِ الصهيونيةُ الهدنة الثانية للتوسّع والتسلح، وسقطت في أيديهم معظمُ أجزاء فلسطين في الشمال، وكلّ منطقة بئر سبع والنّقب في الجنوب.

مجلسُ الأمن ومباحثات رودس:

لم يبقَ في جريمة انتهاب فلسطين إلّا توقيع الأنظمة على قبولها لتكون- من وجهة نظر صانعيها- قانونية.

فقد أصدرَ مجلس الأمن في ١٦/ ١١/ ١٩٤٨ قرارًا يطالب الفريقين الصهيوني والعربي أن يتفاوضا لإقرار الهدنة.

وكما توقّع المفتى الحاج أمين الحسيني من قبل، فقد جلس يتفاوض على تقسيم فلسطين طرفان لا يمتلكان أيّ جزءٍ من فلسطين، اليهود من ناحية والجيوش العربية من ناحية أخرى، وغاب شعب فلسطين، وغابت قيادته.

وافقَ العرب على القرار، وعقدت مباحثاتٌ منفردة بين إسرائيل وبين الدول العربية، كلّ على حدة بإشراف الدكتور بنش- ممثل الأمم المتحدة- وقد حلّ مكان برنادوت، كانت محصّلتها عقد هدنة سمّيت: (بالهدنة الدائمة).

* في ٢٤/ ٢/ ١٩٤٩م مع مصر، وقد جرت المباحثات في رودس.

* في ٢٣/ ٣/ ١٩٤٩م مع لبنان، وقد جرت في رأس النافورة الحدودية.

* في ٤/ ٤/ ١٩٤٩م مع الأردن، وقد جرت في جزيرة رودس.

وأثناء المفاوضات، قام اليهود باحتلال الشقة الساحلية من النقب على خليج العقبة، وقد أحدثوا هذا الأمر الواقع لتكون حدودهم في اتفاقية الهدنة شاملةً جميع النقب بما فيها ميناء أمّ الرشراش (إيلات).

* أمّا سوريا وهي الدولة الوحيدة التي رفضت التوقيع على اتفاقات الهدنة، فقام فيها انقلابٌ عسكري بقيادة حسني الزعيم في ١/ ٤/ ١٩٤٩م كان من أوائل

أعماله التوقيعُ على اتفاقية رودس، والتخلي عن الأرض المنزوعة السلاح في منطقة طبريا.

وبذلك اكتملت حلقاتُ المؤامرة، واعترفت معظمُ الدول بإسرائيل، وقبلت عضوًا في الأمم المتحدة.

لجنةُ التوفيق الدولية، وقرارُ التقسيم أو التعويض رقم ١٩٤:

تألّفت لجنةُ التوفيق الدولية استنادًا إلى توصية صدرتْ عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة في ١١/ ١٢/١٩٤٨ دعتْ إلى إعادة النازحين الفلسطينيّين الراغبين في العودة، والتعويض على مَن لا يرغب منهم بالعودة.

عقدت اللّجنة اجتماعَها الأول في جنيف ما بين السابع عشر من يناير وحتى ٢٧ من أبريل ١٩٤٩م، واجتماعها الثاني في لوزان واستمر من أبريل (نيسان) وحتى يوليو (تموز) ١٩٤٩م، حضرت هذه الاجتماعات الأطراف العربية (سوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر) وحضرته إسرائيل.. وخلال هذه الشهور الطويلة دارت مناقشاتٌ عقيمة.

ومَن يطّلع على الرسائل (الاثنتى عشرة) التي بعث بها (الياهو ساسون) رئيس الوفد الإسرائيلي إلى وزير خارجية إسرائيل (موشيه شاريت).. يصف له فيها صلاته بالوفود العربية ومباحثاته معهم، وكيف يتحدثون معه بالسّرّ بطرقٍ مغايرة لحديثهم بالعلن، وكيف أنّ رجالهم الذين يسعون على حماية مصالح الدولة اليهودية منبثّون في كلّ الدول العربية. ومَن يطّلع على هذه الرسائل يدرك المستوى المنحدر الذي وصلت إليه القياداتُ التي كانت تدير القضية الفلسطينية، وتشرف عليها.

حركةُ فتح تتحمّل المسئولية:

بدأت حقبة الخمسينيات وفلسطين تنزف دمًا، وقد جثم الاستعمار الصهيوني على صدْرها، بينما العالم العربي والإسلامي يئنّ تحت قبضة السيطرة الأمريكية والبريطانية، والقيادةُ الفلسطينية الرسمية ممثلة في الشيخ أمين الحسيني المفتي هاربةٌ خارج فلسطين، ووسط هذه الظروف المظلمة وحالة اليأس المسيطرة على كلّ فلسطين؛ بدأ شبابُ فلسطين غضّ القلب في التفكير الجريء في استئناف العمل النضالي بأيادٍ فلسطينية، وكان على رأس هؤلاء:

١ـ سليم الزعنون.

٢ـ خليل الوزير.

٣ـ صلاح خلف.

وتوجّه هؤلاء إلى شيوخِ جماعة الإخوان في غزة بوصفهم قادتهم ليعرضوا تصوّرهم حول إنشاء حركَة تحرير فلسطين، ولكنّ شيوخَ الإخوان في غزة لم يشجّعوا هذه الفكرة في تلك الظروف، فتوجّه هؤلاء إلى القاهرة، وشرعوا في جمع الشباب الفلسطيني حول فكرتهم. في القاهرة، استطاع ياسر عرفات طالبٌ في كلية الهندسة، وصلاح خلف طالبٌ كلية الآداب السيطرةَ على اتحاد طلبة فلسطين في الانتخابات التي جرت عام ١٩٥٢.

ومثل ما كان في القاهرة، فإنّ شبابًا فلسطينيًّا كان يعدّ للتحرير، كلّ في موقعه الذي كان فيه، وظلّ هذا الإعداد طيلة فترة الخمسينيات حتى جاءت الستينيات فوجدتْ جماعات من الفلسطينيّين قد نضجت فكرتهم، وقويت عزيمتهم، وتأهّبوا لمقاتلة اليهود الصهاينة في جولة جديدة من جولات الجهاد الفلسطيني.

جبهةٌ سياسية فلسطينيّةٌ جديدة:

في ٩/ ٣/ ١٩٦٢ شكّلت جماعةٌ من الفلسطينيين في غزة ما عُرف بالاتحاد القومي الفلسطيني، وأعلنتْ هذه الجبهة دستورًا مؤقتًا لفلسطين، وجاء في البابِ الأول: أنّ قطاع غزة جزءٌ من فلسطين، وهدف الاتحاد هو استرجاع الأرض المغتصبة.

وفي ١٩/ ٩/ ١٩٦٣ أقرّ مجلس جامعة الدول العربية هذه الإجراءات، وأضاف مجلسُ الجامعة:

١ـ وضع خطةٍ عربية لتحرير فلسطين.

٢ـ تعيين أحمد الشقيري ممثلًا لفلسطين في مجلس الجامعة خلفًا للمرحوم أحمد حلمى عبد الباقى ممثّل (حكومة عموم فلسطين) التي كان يرأسها الحاج أمين الحسيني.

وفي ١٥ من مايو ١٩٦٤م، اجتمع المؤتمر الفلسطيني الأول، وأيّد هذه الخطوات وأقرّ المجتمعون:

١ـ الميثاق الوطني الفلسطيني.

٢ـ النظام الأساس لمنظمة التحرير الفلسطينية.

٣ـ تشكيل كتائب فلسطينية نظامية وأخرى فدائية.

٤ـ العمل على طرد إسرائيل من المحافل الدولية.

فتحُ تستأنِفُ الجهادَ المسلّح:

في ٣١/ ١٢/ ١٩٦٤، وفي مكان ما من الكويت، قرّرت فتحُ البدءَ بعملياتها العسكرية على أن تنسب العمليات في البداية إلى منظمة العاصفة (وهو اسم وهمي).

وفي ١/ ١/ ١٩٦٥، صدر البيان الأول لحركة تحرير فلسطين (فتح)، وتوالت عمليات فتح العسكرية داخل فلسطين، وأرسلت كذلك مذكرة في سبتمبر ١٩٦٥ إلى جامعة الدول العربية تطلب من الدول العربية أن تترك الحركة للفدائيين عبْر حدودها مع فلسطين، وتحسين معاملتهم في البلدان العربية، وعدم التعرّض لنشاطاتهم الفدائية.

البيانُ الأوّل لفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

بلاغ عسكري رقم (١)

اتّكالًا منّا على الله، وإيمانًا منّا بحقّ شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب، وإيمانًا منّا بواجب الجهاد المقدس، وإيمانًا منّا بموقف العرب الثائر من المحيط إلى الخليج، وإيمانًا منّا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم؛ لذلك فقد تحرّكت أجنحةٌ من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٣١/ ١٢/ ١٩٦٤م، وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة، وعادت جميعُها إلى معسكراتها سالمة،

وإننا لنحذّر العدو من القيام بأية إجراءات ضدّ المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا؛ لأنّ قواتنا سَتردّ الاعتداء باعتداءات مماثلة، وسنعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب، كما وإننا نحذّر جميع الدّول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان؛ لأن قواتنا ستردّ على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار أينما كانت.

عاشتْ وحدة شعبنا، وعاش نضالُه لاستعادة كرامته ووطنه.

القيادة العامة لقوات العاصفة. ١/ ١/ ١٩٦٥.

المواجهاتُ المباشرة بين فتح والصهاينة:

معركةُ الكرامة:

وقعتْ بين الفدائيين من فتح- وعددُهم ٣٠٠ فدائيًّا- والجيش الصهيوني وتعداده ١٥ ألفًا مسلحين بأرتالِ المدرعات والطائرات الهليوكوبتر، وكذلك في بلدة الكرامة بالأردن على الحدود مع فلسطين في ٢١/ ٣/ ١٩٦٨ وانتصر فيها العمل الفدائي انتصارًا تاريخيًّا حيث هزمت القلّة المجاهدة الكثرةَ الكافرة المعاندة، وأجبرتْها على الانسحاب، وترتّب على هذا الانتصار الساحق لفتح اعترافُ الجميع بأحقّيّتها في تمثيل الشعب الفلسطيني.

كما اعترف الجميعُ على المستوى الشعبي والرسمي بأنّ العمل الفدائي هو الطريق الصحيح لتحرير فلسطين.

وفي يوليو ١٩٦٧م، انعقد المجلس الفلسطيني، واختار ياسر عرفات رئيسًا للمنظمة، ومعه مِن فتح خالد الحسن رئيسًا للدائرة السياسية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، وكذلك فاروق القدومي ومحمد يوسف النجار ليكونا بين الأعضاء الخمسة عشر في اللجنة التنفيذية.

أيلولُ الأسود:

كانت مواجهة بين العمل الفدائي المتواجد بالأردن وبين الملك حسين نتيجة لمحاولة بعض المنظمات الفلسطينية (الجبهة الشعبية، والجبهة الشعبية الديمقراطية والصاعقة وجبهة التحرير العربية) الإطاحةَ بالملك حسين ومباشرة ذلك بالفعل، وتدخلت إسرائيل ضدّ العمل الفدائي بترتيب أمريكي، وتدخّلت سوريا لمناصرة العمل الفدائي، ثمّ انسحبت.

وكانت النتيجة أكثرَ من ٣٠٠٠ قتيلًا فلسطينيًّا، مدنيًّا وعسكريًّا، وتشرذم العملُ الفدائى في عدّة بلدان خارج الأردن.

جريمةُ الفردان:

في أبريل ١٩٧٣، نزلت قواتٌ خاصّة سريّة إلى ضاحية الفردان بالقرب من بيروت، وقتلت مِن قادة فتح:

١ـ كمال عدوان. ٢ـ محمد يوسف النجار.

٣ـ كمال ناصر (الناطق الرسمي باسْم فتح).

الحربُ الأهليّة اللبنانية:

تمامًا كما حدث في الأردن، فإنّ بعض المنظمات الفلسطينية وجدَ في نفسه القوة ليتدخّل في بعض شئون لبنان الداخلية الحساسة بين المسلمين والمسيحيّين، وعلى أثر

مقتل بشير الجميل- رئيس حزب الكتائب المسيحي- اتُّهمت القوات الفلسطينية بالجريمة، واشتعلت نار الحرب الأهلية بين الجميع في لبنان.

وتشكّلت الجبهاتُ على النحو التالي:

١ـ انضمت القوات الفلسطينية إلى قوات جنبلاط (وطني درزي).

٢ـ تكوَّن جيش لبنان العربي بقيادة أحمد الخطيب منشقًا عن الجيش اللبناني.

٣ـ انضمّت سوريا إلى الموارنة الذين شكلوا جيش الكتائب فيما بعد، وتدخّلت سوريا بقوات كبيرة سيطرت على الموقف، وصار لها السيادة على الأرض اللبنانية.

وتعمّق الصراع على الأرض اللبنانية حتى أنهكت كلّ القوى في مواجهة العدوّ المشترك. وفي ٦ من يونيو ١٩٨٢، قام الجيش الإسرائيلي باجتياح لبنان، وتعاون معه جيشُ الكتائب المسيحي، وحوصرت جميعُ المعسكرات والتّجمعات الفلسطينية، وتمّت في غضون ذلك جريمة صابرا وشاتيلا، وانتهى الأمر بقبول الفلسطينيين للهدنة والانسحاب من لبنان تحت إشراف القوات الدولية ليتشرذموا مرةً أخرى في عددٍ من البلدان العربية. توجّه ياسر عرفات وعددٌ مِن رفاقه إلى تونس، واستأنف عمله من هناك، ولكن بتوجّهات جديدة.

نتائجُ الصّراعات الدامية:

أيقنت منظمةُ فتح أنها لنْ تحقق نصرًا للقضية الفلسطينية من خارج فلسطين، ولن تسمحَ لها الدول العربية بحرية الحركة التي تمكنها من ذلك، ومِن هنا بدأت

جبهةٌ في المنظمة تنادي بمبدأ «دولة على أي جزء من الأرض»، ومقابل هذا التنازل الجذري والتحوّل التاريخي السلبي في مسيرة فتح فقد تبنَّتها الدول العربية بالكامل، وأصبحت عضوًا بصفة مراقبٍ في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

الخلافُ مع فتح وبروزُ الحلّ الإسلامي:

كان تنازلُ فتح عن مبدأ تحرير كلّ فلسطين من النهر إلى البحر وقبولُها بالحلّ الآخر وهو قبولُ تقسيم فلسطين بين المحتل الصهيوني وأصحاب الأرض؛ كان هذا التحوّل بمثابة الشّرارة التي أوقدت نارَ الثورة في نفوس الشباب المتديّن الذي اعتنق مبدأ الجهاد حتى النصر أو الشهادة، ومنذ تبنّت فتح داخلَ منظمة التحرير فكرةَ التعايش مع الكيان الصهيوني على أي جزءٍ من الأرض المحرّرة؛ تحوّلت منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات إلى الشكل الحكومي العربي، وسلكتْ طريق الحلول التفاوضة، وتساوتْ مع كلّ الأنظمة العربية من حيث الشكل والمضمون، وبذلك سوف نتوقّف عند هذا التحوّل عن الحديث عن منظمة التحرير بوصفها حركةً شعبية إلى التحدّث عنها ضمنَ فعاليات الحكومات العربية ونشاطها التفاوضي في مؤتمرات أوسلو ومدريد.

في هذه اللحظة التاريخية، برزت الحركةُ الإسلامية، وأعلنت بوضوح خلافَها المبدئي مع فتح، وحملت رايةَ الجهاد في إطار الحفاظ على ثوابت القضية الفلسطينية، وفي مقدمتها حقّ الشعب الفلسطيني في كامل وطنه من النهر إلى البحر، وحتمية زوال الاحتلال الصهيوني، وخروج المحتلين من فلسطين، وكان في مقدمة هذه المنظمات الجهادُ الإسلامي وحماس.

١ـ حركةُ الجهاد الإسلامي:

بدايتها عام ١٩٨٠ من الناحية الرسمية، ويعتبر الشهيد/ فتحي الشقاقي مؤسّسُها المعلن، ومنظّرها الأول، والشقاقي يقول عن نفسه: بدأت ناصريًّا ثمّ أصبحتُ من الإخوان المسلمين، ثمّ اختلفت معهم في عام ١٩٧٥.. ثمّ أصدر كتابَه الأول بعنوان: (الخميني.. الحلّ الإسلامي والبديل).

وأكمل المسيرةَ من بعده عبد العزيز عودة، وقادة الجهاد الإسلامي من الناحية الفكرية ثلاثةٌ، هم:

١ـ حسن البنا. ٢ـ سيد قطب. ٣ـ عز الدين القسام.

كما تأثروا بكتابات الخميني ومحمد عبد السلام (الفريضة الغائبة)، وتهدف حركةُ الجهاد الإسلامي في فلسطين إلى تدمير إسرائيل، وإقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين، ووسيلة الجهاد الإسلامي هي الحرب المسلحة، وتنادي الحركةُ بفلسطين المحررة قبل فلسطين الإسلامية من الناحية المرحلية.

وعلاقةُ الجهاد مع فتح ليست مفهومة، ولكنّ المنظمة وقادتها يثقون بالجهاد الإسلامي أكثرَ مِن ثقتِهم بحماس.

منظمةُ حماس:

ولدتْ منظمة حماس مع الانتفاضة الأولى في ديسمبر ١٩٨٧، والمنظمة من أولِ يوم تعلن أنها جناحٌ من أجنحة تنظيم الإخوان المسلمين العالمي. وجاء في ميثاق المنظمة:

المادةُ الثانية:

حركةُ المقاومة الإسلامية (حماس) جناحٌ من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركةُ الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث.

المادةُ الثالثة عشرة:

تتعارضُ المبادرات وما يسمّى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحلّ القضية الفلسطينية مع عقيدة حماس «لا حلّ لقضية فلسطين إلّا بالجهاد».

المادةُ السابعة والعشرون:

منظمةُ التحرير من أقرب المقرّبين إلى حركة حماس.. فوطننا واحدٌ ومصابنا واحدٌ ومصيرنا واحدٌ وعدوّنا مشترك، وتأثرًا بالظروف فقد تبنّت المنظمة فكرةَ الدولة العلمانية، وهي مناقضة للفكرة الدينية وحلّ الأفكار وتبنّي المواقف. ومِن هنا، ومع تقديرنا لمنظمة التحرير وعدم التقليل من دورها، لا يمكننا أن نستبدلَ إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لتبني الفكرة العلمانية.

ومؤسّسُ حماس هو الشيخ الجليل المجاهد أحمد ياسين، ومساعده الأول هو الشيخ الجليل محمد صيام رئيس الجامعة الإسلامية في غزة، وغيرُهم من الجنود والقادة المجاهدين، ومِن أبرز قادتها في غزة عبد العزيز الرنتيسي، ومحمود الزهار وعبد الفتاح دخان، و....، وفي الضفة الغربية جمال سليم وحسن يوسف وجمال النتشة، و....، وفي خارج فلسطين إبراهيم غوشة الناطق الرسمي باسم حماس، وخالد مشعل رئيس المكتب السياسي، وموسى أبو مرزوق، و....

البيانُ الأوّل لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

يا جماهيرَنا المرابطة المسلمة: أنتم اليومَ على موعد مع قدر الله (سبحانه وتعالى) النافذِ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزءٌ من هذا القدر الذي سيقتلع جذورَ كيانهم إنْ آجلًا أو عاجلًا بإذن الله تعالى.

إنّ مئات الجرحى وعشرات الشهداء الذين قدّموا أرواحهم خلال أسبوع في سبيل الله مِن أجل عزّة أمتهم وكرامتها، ومن أجل استعادة حقّنا في وطننا رفعًا لراية الله في الأرض.. لهيَ تعبيرٌ صادق عن روح التضحية والفداء التي يتمتّع بها شعبنا، والذي قضّ مضاجع الصهاينة، وزلزل كيانهم، والذي أثبت للعالم أنّ شعبًا يطلب الموتَ لا يمكن أن يموت.

لا بدّ أنْ يفهم اليهود- برغم قيودهم وسجوتهم ومعتقلاتهم، برغم المعاناة التي يعانيها شعبنا في ظل احتلالهم المجرم، برغم شلالات الدماء التي تنزف كلّ يوم، برغم الجراح؛ فإنّ شعبنا أقدرُ منهم على الصبر والثبات في وجه طغيانهم وغطرستهم حتى يعلموا أنّ سياسة العنف ستقابَل بأشدّ منها من أبنائنا وشبابنا؛ لأنّهم يعشقون جناتِ الخلد أشدّ ممّا يعشق أعداؤنا الحياة الدنيا.

لقد جاءت انتفاضةُ شعبنا المرابط في الأرض المحتلة رفضًا لكل الاحتلال وضغوطاته، رفضًا لسياسة انتزاع الأراضي، وغرس المستوطنات، رفضًا لسياسة القهر من الصهاينة. جاءت لتوقظَ ضمائر اللاهثين وراء السلام الهزيل، وراء

المؤتمرات الدولية الفارغة، وراء مصالحاتٍ جانبية خائنة على طريق كامب ديفيد، وأنْ يتيقّنوا أنّ الإسلام هو الحلّ، وهو البديل.

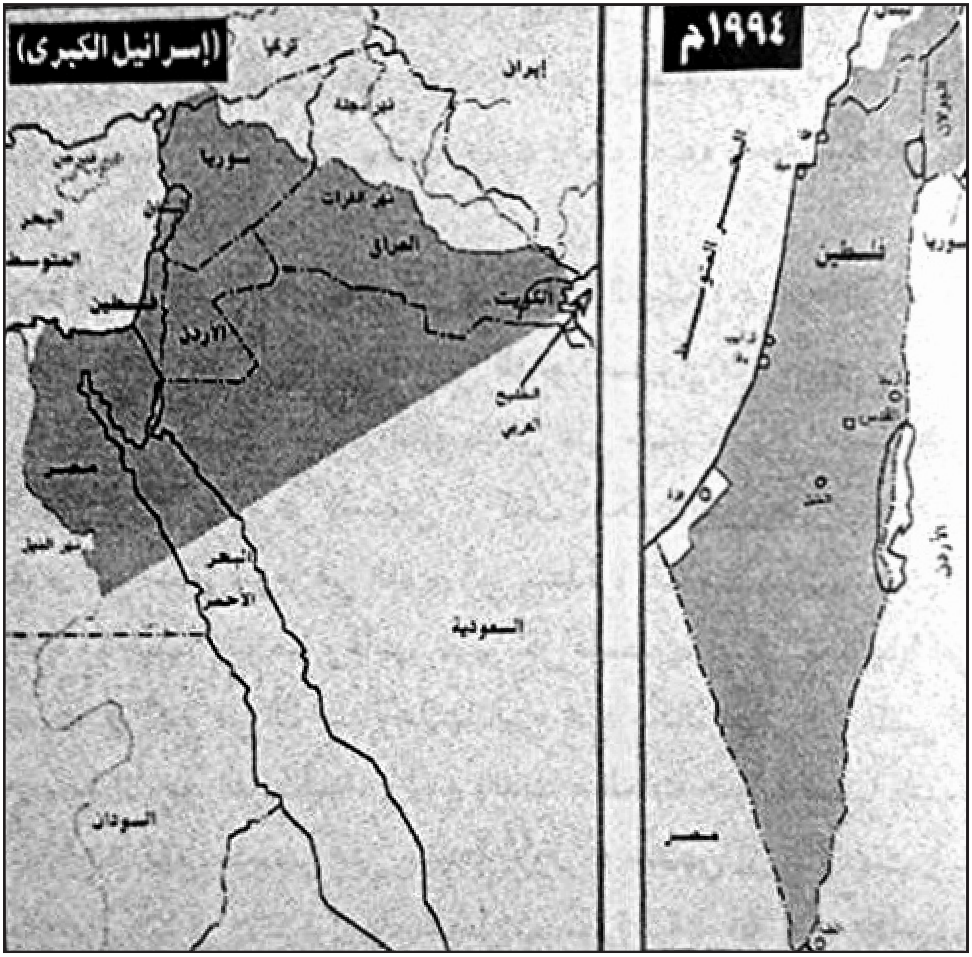
ألَا فليعلمَ المستوطنون المستهترون أنّ شعبنا عرفَ ويعرفُ طريقه، طريق الاستشهاد وطريق التضحية، وأنّ شعبنا جوادٌ كريم في هذا الميدان، ولن تجْديهم سياسةُ العسكريين والمستوطنين، وستتحطّم كلّ محاولاتهم لإذابة شعبنا وإبادته، برغم رصاصهم وبرغم عملائهم وبرغم مخازيهم.

وليعلموا أنّ العنف لا يولّد إلّا عنفًا، وأنّ القتل لا يورّث إلّا القتل، وصدق القائل: «وأنا الغريق فما خوفي مِن البلل».

وللصهاينة المجرمين: ارْفعوا أيديكم عن شعبنا، وعن مدننا، وعن مخيماتنا، عن قُرانا. معركتنا معكم معركةُ عقيدة ووجودٍ وحياة. وليعلم العالم أنّ اليهود يرتكبون الجرائم النازية ضدّ شعبنا، وأنهم سيشربون من نفس الكأس. ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾».

حركةُ المقاومة الإسلامية

وزّع بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٨٧م



الحلمُ الصهيوني الذي حطّمته المقاومة

حاضرُ الجهادِ الفلسطيني اليوم

في يوليو عام ٢٠٠٢، كان جهادُ الشعب الفلسطيني يتبلور في عدة منظماتٍ فلسطينية تلتقي مع بعضها في نقاطٍ وتختلف في أخرى، بعضها يلقى قبولًا عالميًّا، وبعضها يلقى قبولًا إسلاميًّا، وبعضها يلقى قبولًا عربيًّا، بعضُها تدعمه الحكومات، وبعضها تحاربه الحكومات، ولبعضها ولاءاتٌ تختلف عن البعض الآخر.

ونظرةٌ على الساحة الفلسطينية في ظلّ الحالة الدولية وتفرّد الولايات المتحدة إدارة العالم والدّعم اللانهائي للعدو الصهيوني من قِبَل أمريكا وأوروبا؛ تُصيبُ الإنسان المتابعَ بالقلق على مصير الجهاد الفلسطيني، وتطرح سؤالًا حائرًا عن المستقبل.. كيف ستكون صورتُه؟ وما هي القوى التي ستبقى؟ وما هي القوى التي ستندثر؟ لقد بدأت منظماتٌ كثيرة ووجْهتُها إسلامية وغايتُها تحرير كلّ فلسطين، ثمّ كانت النهاية هي التفريطَ في كثير من الثوابت، وغايتُها اليومَ مجرّدُ مكان تعيش فيه على أيّ جزءٍ من الأرض الفلسطينية، واليومَ ولدت منظمات جديدة لها نفس البدايات.. فهل ستستمرّ على عهدها الأول، أم ستنتهي إلى ما انتهت إليه سابقتها؟ وأتذكّر الآن قول الله الفصْل في سورة الرعد آية ١٧: (فأمّا الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

ولولا فضلُ الله ورحمته ما استطعنا أن نتبيّن على درب الجهاد في فلسطين ما الزبدُ، وما الذي ينفعُ الناس؟ لقد أضحتْ قضية فلسطين غربالًا تاريخيًّا يغربلُ

الحكومات والقيادات والمنظمات والشعوب والأفراد، فمَن الذي يكون مِن السقط، ومَن الذي يبقى في الغرابيل، هذا ما سوف تقصّه الأجيال القادمة، ونسأل الله أن يترحّموا علينا.

ما جدَّ على المتغيّرات منذُ صدور الطبعة الأولى ٢٠٠٢:

مارس ٢٠٠٢

القمّة العربية في بيروت، والسعودية تطرحُ مبادرةً تقضي باعتراف كلّ الدول العربية بإسرائيل شرطَ انسحابها من الأراضي المحتلة، والقبول بقيام دولةٍ فلسطينية عاصمتُها القدس وحلّ مشكلة اللاجئين.

٢ مارس ٢٠٠٢

الدبّابات الإسرائيلية تدكّ أسوار مقرّ الرئاسة برام الله، وتحاصر عرفات في منزله.

١ أبريل ٢٠٠٢

مظاهراتٌ مليونية في القاهرة تضامنًا مع الانتفاضة الفلسطينية، ورفضًا لحصار ياسر عرفات.

١٦ يونيو ٢٠٠٢

إسرائيل تشرعُ في بناء الجدار العازل لتطويق وعزل التجمعات الفلسطينية.

١٩ مارس ٢٠٠٣

محمود عباس رئيسًا لوزراء السلطة الفلسطينية يستقطعُ من صلاحيات الرئيس، ثمّ يقدّم استقالتَه بعد ستة أشهر، وقريع يشكّل حكومة طوارئ.

٢٢ مارس ٢٠٠٤

اغتيال الشيخ القعيد أحمد ياسين الأبُّ الروحي لحركةِ حماس عن طريق طائرة إسرائيلية.

١٧ أبريل ٢٠٠٤

اغتيال عبد العزيز الرنتيسي قائدُ حركة المقاومة الإسلامية حماس على يدِ جيش العدو الصهيوني.

٢٦ يونيو ٢٠٠٤

مظاهراتٌ إسرائيلية حاشدة ضدّ خطة شارون للانسحاب من غزة وتفكيك المستوطنات.

١٧ يوليو ٢٠٠٤

مظاهراتٌ حاشدة في الأراضي الفلسطينية ضدّ الفساد، وتعيين عرفات لمسئولين أمنيّين جدد.

١١ نوفمبر ٢٠٠٤

مقتلُ الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عن خمس وسبعين عامًا بعد تدهور

حالتِه الصحية تحت الحصار إثرَ مرض غامض، واتّهام اسرائيل بتسْميمه وهو تحت الحصار.

١٦ يناير ٢٠٠٥

فوز محمود عباس أبو مازن برئاسة السلطة الفلسطينية وقراره وقفَ العمليات المسلحة ضدّ إسرائيل.

١٢ سبتمبر ٢٠٠٥

القواتُ الإسرائيلية تنسحب من غزة.

٢٦ يناير ٢٠٠٦

حماس تفوزُ بالانتخابات التشريعية، وتشكّل الحكومة التي عارضتها الولاياتُ المتحدة وإسرائيل، ثمّ يتمّ فرض مقاطعة على حكومة حماس في قطاع غزة.

١٢ يوليو ٢٠٠٦

عمليةُ الوعد الصادق: حزب الله يقتل ٨ جنود إسرائيليين، ويأسر اثنين، فتقوم على إثْر ذلك حربُ الـ٣٣ يومًا، التي خرجت منها إسرائيل مَهزومة.

١٥ يونيو ٢٠٠٧

حماس تسيطرُ على قطاع غزة بعد مُصادمات مع ميليشيات فتح.

١٩ يونيو ٢٠٠٨

إسرائيلُ توقّع مع حماس اتفاقَ التهدئة بوساطة مصرية، وإسرائيل تستمرّ في الاعتقال والقتل.

٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨

قواتُ العدو الصهيوني تشنّ هجومًا وحشيًّا على غزة أطلقت عليه "الرصاص المصبوب».

١٧ يناير ٢٠٠٩

إسرائيل تعلن وقفَ إطلاق النار، وجميعُ الفصائل تقبله عدا الجبهة الشعبية. والحربُ تنتهي بعدم تحقيق الدولة الصهيونية لأيّ من أهدافها مع صمودٍ أسطوري للمقاومة. عددُ القتلى ١٣١٥، عددُ الجرحى ٥٣٠٠، وخسائرُ مادية تقدر بملياري دولار.

٢٥ يناير ٢٠١١

قيامُ ثورة ٢٥ يناير الشعبية فى مصر، وبدأ أكبر اعتصامٍ شعبي تاريخيّ في ميدان التحرير في القاهرة وامتدادُه لباقي المدن المصرية، وتنحيٍ الرئيس المصري حسني مبارك عن الحكم، وتنازله للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ليدير شئون البلاد.

يونيو ٢٠١٢

انتخاباتٌ رئاسية تأتي بالدكتور محمد مرسي- عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان- رئيسًا لمصر، وهو الأمر الذي رفع من قوة منظمة حماس، وزاد مِن سيطرتها على أوضاع غزة.

٣٠ يونيو ٢٠١٣

ثورةٌ شعبية لإسقاط حكومة الإخوان في مصر، واتهام حماس بالقيام بأعمالٍ عسكرية في الأراضي المصرية لصالح جماعة الإخوان، وتوتّر العلاقة بين حماس ومصر شعبيًّا وعسكريًّا.

٢٠١٦

محادثاتٌ بين حكومة السيسي وحماس لإعادة العلاقات تنجح في تهدئة الأجواء بين الطرفين، وفتحُ ملفِ المصالحة بين فتحٍ وحماس بوساطة مصرية.

الأربعاء ٥-١٢- ٢٠١٧

الرئيسُ الأمريكي دونالد ترامب يعلن موافقته على قرار الكونجرس الأمريكي الصادر عام ١٩٩٥ باعتبار القدس عاصمةً موحّدة لإسرائيل، وبدأ التحضيرات لنقل سفارة أمريكا من تل أبيب إلى القدس تأكيدًا لهذا الموقف.

٧-١٢-٢٠١٧

تظاهراتٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبعض الدول؛ لرفض قرار الرئيس الأمريكي ترامب.

أقترح إضافة قرار الأمم برفض قرار ترامب في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٧

الفصلُ الثاني

دورُ الشعوبِ العربيةِ والإسلاميةِ والدوليةِ

يتباينُ دورُ الشعوب تجاه قضية فلسطين تباينًا عظيمًا، فهناك شعوبٌ يعلو دورها ويشتدّ إلى درجة ممارسة الجهاد المسلح في مواجهة الاحتلال الصهيوني، بينما يضعف هذا الدّور ويتراجع حتى يصل إلى مجرد المتابعة والوقوف موقفَ المتفرج على ما يحدثُ دون تقديم أي لونٍ من المعاونة، كما ينتكسُ الدور عند بعض الشعوب فيصبح معاديًا للحق العربي والإسلامي، ومُتعاطفًا مع الصهيونية إلى درجة الدّعم.

الشعوبُ العربية:

وهي الشعوبُ التي تمثل القلب النابض بالنسبة لقضية فلسطين، وعلى قدر حركتها وقوة هذه الحركة؛ يحدثُ التقدّم نحو أمل التحرير، وتتأثر حركة تلك الشعوب بعواملَ عدّة، وفي مقدمةِ هذه العوامل:

١ـ دور الإعلام: وهو يمثّل التوجّهات الحكومية.

٢ـ دور التعليم: وهو أيضًا يمثّل التوجّهات الحكومية.

٣ـ وجود حركة شعبية مناصرة للحقّ الفلسطيني.

٤ـ وجود حركةٍ إسلامية واعية.

ولو نظرنا على خارطة العالم العربي لاسْتبان لنا أنّ كافة الشعوب العربية كان لها دورٌ إيجابي بقدر ما تمتلكُ مِن هذه الوسائل الأربعة، وبقدر قوة هذه الوسائل في مناصرة القضيَة الفلسطينية.

جهادُ الشعب المصري

فهو الشعبُ الأوّل من حيث العطاء لقضية فلسطين، وهو الشعب الذي ناصرَ الحقّ ووقف معه على مدى القرن الماضي، ولا يزال مقدِّمًا الدّعم الثقافي والمالي والمادي والقتالي من أجل تحرير فلسطين، ولقد امتلكَ الشعب المصري مقوماتِ الصمود الأربعة في هذه القضية:

الإعلامُ المصري:

كان وما زالَ الإعلام المصري في عمومه مناصرًا ومؤيدًا للحقّ الفلسطيني وكاشفًا وفاضحًا للمؤامرة العالمية الصهيونية الأمريكية، ومبينًا الأبعادَ التاريخية والجغرافية والعسكرية لتلك المؤامرة.

ويلعب الإعلامُ دورًا في تحريك الشارع العام المصري لمناصرة الحقّ الفلسطيني العربي الإسلامي بما لا يتحقق لأي وسيلة أخرى على الإطلاق.

ومِن خلال ما تقدّمه شاشات التلفاز المصري من متابعة يومية للأحداث بقدر ما نرى ذلك كحركةٍ شعبيّة عامة وقوةٍ دافعة تسري في عروق المواطنين، فإذا هدأت حركة الإعلام تبعًا لتوجّهات سياسية؛ فسوف نلاحظ أنّ ذلك ينعكسُ مباشرةً على الحركة الشعبية بالهدوء والتراخي، فإذا وصلت حركة الإعلام إلى الصمت، وأُغلق ملفّ القضية فلنْ تجدَ في الشارع المصري ما يذكّر الناس بفلسطين.

وتتأثّر بالحركة الإعلاميّة الغلابة كلّ العوامل الأخرى في حركتها، حتى الحركات الإسلاميّة أو القومية أو حركة التعليم، يزدادُ نشاطها مع زيادة النشاط الإعلامي، ويتواضع الأداءُ مع هبوط الحركة الإعلامية. والسلبية الأساسية في

الإعلام الرسمي هو تقيّده بوجهة النظر الحكومية ورؤيتها للقضية الفلسطينية مع أنّ هذه الرؤية قد رضيتْ وسلمت بأحقيّة الصهاينة أن يكون لهم دولةٌ على جزءٍ من التراب الفلسطيني المغتصَب، وهو ما يتعارض مع الثوابت التاريخية والجغرافية والقضائية والشرعية.

والنصيحةُ التي تنفعنا هنا، هي ضرورة أن يكونَ للحركة الشعبية المصرية وسائل إعلامية خاصة بها إذا أرادت الإبقاء على قضية فلسطين حيّة وحاضرة، نحنُ نحتاج إلى وسائلَ إعلامية تؤمن بقضية الجهاد وفرضية استمراره حتى تتحرّر فلسطين كلها، وتعود عربية إسلامية كما كانت، ولا تتوانى حركتها الإعلامية يومًا واحدًا ولا تضعف حتى يتحقّق هذا الحلم. ووجودُ هذه الوسيلة الإعلامية المهمّة التي تصل إلى كلّ بيت مصري وعربي وإسلامي لا يقلّ أهميّة عن المجهودات الأخرى اللازمة لتحقيق النصر.

التعليمُ المصري:

وفيما يتعلّق بمناهج التعليم في مصر، فيمكننا القول إنها تغيرت كثيرًا مِن مرحلةٍ تاريخية إلى أخرى.

فأنا أذكُر عندما كنّا في المرحلة الابتدائية في الخمسينيات من القرن الماضي كان نشيدُنا في الصباح قبل الدراسة هو أنشودتنا المحبوبة..

الله أكبر فوق كيد المعتدي.. والله للمظلوم خير مؤيد..

أنا بالسلاح وباليقين سأفتدي.. الله الله أكبر.. الله فوق المعتدي.

هكذا كنّا نبدأ في الصباح، فإذا دخلنا الفصولَ الدراسية كان أستاذنا يعلّمنا الكثيرَ حول فلسطين، وتاريخَ الصراع على أرضها، وعلى حوائط المدرسة وفصولها كانت خريطةُ فلسطين معنْوَنة باسم «فلسطين الجريحة».

وحفظنا ونحنُ صغار في المدرسة قول الشاعر:

فلسطين الجريحة كنت هديًا رآه أخو الهوى صيدًا ثمينًا

وممّا حفظناه في المدارس المصرية كذلك حول «أخو الهوى» (وهو بلفور وزير خارجية بريطانيا الدولة التي كانت تحتلّ فلسطين، وسلّمتها للعصابات الصهيونية) حفظنا «وعد بلفور هو وعدُ مَن لا يملك لَمن لا يستحق».

فبريطانيا لا تملكُ فلسطين حتى تعدَ الصهاينة الذين لا يستحقون بجزءٍ من أرض فلسطين ليقيموا دولتَهم عليه. وعندما التحقتُ بالجامعة في عام ١٩٧٠ درستُ في السنة الأولى كتابًا كان عنوانه: «الصهيونية العالمية وإسرائيل» وكان مقررًا على كلّ طلاب الكلية بكافة تخصّصاتها، ويعقد فيه امتحانٌ، وفيه نجاحٌ ورسوب مثل كلّ المواد الدراسية الأخرى، وبقي الحال كذلك حتى حرب أكتوبر المجيدة، ثمّ حدث انكسارٌ واضح في أداء التعليم المصري تجاه قضية فلسطين بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين السادات والصهاينة، وفرّغت مناهجُ التعليم من كلّ ما يدفع الأمة إلى تحريرها من أيدي الغاصبين، وجنَيْنا هذا حصادًا مرًّا في شبابنا حتى إذا كانت فترةُ التسعينيات أصبح طلاب الجامعة لا يكادون يفقهون شيئًا عن قضية فلسطين أهمّ قضايا العرب والمسلمين والعالم أجمع، وعندما كنت أتحسّس ذلك في طلابي بالجامعة أجدُ النتيجة مؤلمة ومبكية لما آلت إليه مناهجنا الدراسيّة مِن تراجع وضعف فيما يتعلّق بقضية فلسطين.

والنصيحة هنا لكلّ القوى المشاركة في العملية التعليمية أن تبادر إلى سدّ هذه الثغرة بكلّ ما تملكُ مِن الإمكانيات، وأن تؤلف كتب حول فلسطين تناسب كلّ مرحلةٍ تعليمية من الرّوضة وحتى الجامعة، وتقرر على الطلاب كمقرّرٍ كامل يمتحنون فيه لكي تبقى فلسطين حيَّةً في ذاكرة الأجيال القادمة.

الحركةُ القومية المصرية:

وفيما يتعلّق بالحركة القومية العامة، فإنّ مصر قد امتلكت هذه الحركة المناصرة للحقّ العربي الإسلامي في فلسطين، ولم تجتمع الأمة المصرية على قضيةٍ عامّة بقدر ما اجتمعت كلمتُها على قضية فلسطين، بل إن قطاعات شعبيّة مصرية كثيرة تتنافسُ منافسةً شديدة لتبدو كلّ واحدة أكثر تضحية وأكثرَ ولاءً لفلسطين. فالكلُّ يُعلي صوته بمعاداة الصهيونية، والرغبة في القضاء عليها بوصفها سرطانًا في جسدِ الأمة العربية، والكلُّ يجمع التبرعات لفلسطين، والكلُّ يرفع العلم الفلسطيني، ويرتدي الكوفية الفلسطينية إظهارًا للمناصرة، والوقوف إلى جانب فلسطين.

ويستوي في ذلك كافّة التوجّهات السياسية اليمينية أو اليسارية أو الوسطية أو الإسلامية بكلّ ألوانها وتوجّهاتها.

ومع أنّ هناك قلةً قليلة نسبيًّا مِن مدّعي السلام الخادع ومَن يسيرون في ركْب الاستسلام، ولكنّ هذه القلّة لا يكاد يكون لها أثرٌ ملموس في الحركة القومية العامّة في الشارع المصري أو المحافل الشعبية المصرية.

إنّ التفاف الشعب المصري بكلّ طوائفه حول قضية فلسطين يدلّ على وجود بذرةِ الخير في قلب الأمّة المصرية، وعلينا جميعًا أن نسارع بريّ هذه البذرة الكامنة

حتى تنبتَ وتنمو وتصبح شجرةً قويّة باسقة تستعصي على القطع أو الإنهاء، ولتبقى أمّتنا المصرية مصدرًا للعطاء الدائم على درب الجهاد حتى يتحقّق أملُ النصر والتحرير.

والنصيحة هنا لكلّ قطاعات الأمّة ومنظماتها الشعبية أن تحافظ على وحدتها وتمحْورها حولَ قضية فلسطين بوصفها مدْخلًا مناسبًا لمزيدٍ من التقارب والتصالح والتآلفِ حول قضايا قوميّة أخرى تلي قضيةَ فلسطين في الأهمية، وتعتبر وسيلةَ مساعدةٍ للنجاح في عملية التحرير.

ويفرضُ علينا الظرفُ التاريخي أن نكونَ عادلين في تقييم جهودنا وجهود الآخرين، وليبادرَ كلّ فريق بتثْمين واحترام جهودِ غيره من القطاعات الأخرى دون غمطٍ أو تصغير أو احتقار، ولنعلم جميعًا.. أنّ ما يجري من صراع على أرض فلسطين مثلُه كمثل حريقٍ كبير شبّ في بيت الجيران، ويجب علينا أن نقدّم الشكر لكلّ مَن سكب الماء على هذا الحريق، حتى ولو كان قدرَ كوبٍ من الماء، ما دام هذا هو المقدور والمسْتَطاع مِن فاعله.

وإن كان لنا مِن جهدٍ ليكنْ في معاونة الآخرين على تطوير أدائهم، وتنمية قدراتهم لتكون أكثرَ فاعلية وتأثيرًا، دونما تجريح أو تسفيهٍ أو تصغير لأي جهدٍ يُبذل في طريق التحرير.

الحركةُ الإسلامية المصرية:

يدلّ استقراء الواقع المصري المعاصر أنّ دورَ الحركة الإسلامية الشعبية فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية؛ كان يمثلُ القاطرةَ والمحرك الأساس، والقوة الدافعة بما تملكُه هذه الحركة مِن مقوّمات التأثير في المواطن المصري العربي الإسلامي.

فالمصريون أمّة متدينةٌ بطبيعتها، ومفتاحُ شخصية المواطن المصري لا يزال- بفضل الله- هو الدينَ والمسجد والمنبر والقرآن والسنة، وتقديم أي مسألة أو قضية للشعب مدعومة بأصولها الدينية القرآنية والنبوية يجعل لها عظيم الأثر في نفوس السامعين، ومِن هنا كان مصدر التأثير الواضح للحركة الإسلامية فيما يتعلق بقضية فلسطين.

والحركة الإسلامية المصرية- على اختلاف أطيافها- تؤمن بفرضية الجهاد على كلّ مسلم من أجل تحرير فلسطين.. كلّ فلسطين، وتعتبر أنّ الجهاد المسلّح هو الوسيلة الأساسية المناسبة لعملية التحرير بوصفها معركةً حربية قتالية في المقام الأول، ولا أعلم أنّ هناك في مصر مِن أعضاء الحركة الإسلامية مَن يشذّ على هذا الرأي، أو يخالفه.

وقد تتفاوتُ فيما بعد ذلك الجماعاتُ الإسلامية من فريقٍ لآخر من حيث الأداء والعطاء، كما يتفاوت أداءُ الأفراد المنتمين للحركة الواحدة في القيام بواجبِ الجهاد الإسلامي المقدس من فردٍ إلى آخر.

هناك إسلاميون قدّموا دعماً أدبيًّا وثقافيًّا من فوقِ منابرهم، ومن خلال حلقات الدروس المسجدية والمحاضرات العامة، ومن خلال شرائط الكاسيت والفيديو، ومن خلال مؤلَّفات وكتب، وكلها جهودٌ قيّمة ومعتبَرة في باب الجهاد، ومِن وسائله المهمّة.

وهناك مَن أضافوا إلى ذلك القدرةَ على حشد الناس في مظاهرات تُعلي ألوية الجهاد، وتنادي بالثأر من المعتدين، وتحضّ الحكومات والجيوش على الحركة.

وهناك مِن الإسلاميّين مَن قام بجمع المال والمؤن وكافة اللوازم الإغاثية الأخرى، وحملها إلى حيث أرض المعركة، ومَن يحتاجون إليها مِن المحاصرين في أرض فلسطين.

وهناك مِن الإسلاميّين مَن حمل السلاح، وقاتلَ على الأرض، وضرب أروعَ الأمثلة في الجهاد والاستشهاد، وارتقى بروحه وأدائه الجهادي بما يتناسبُ مع حجم المعاناة التي تعانيها فلسطين أرضًا وشعبًا.

الشعبُ الأردني

يأتي الشعبُ الأردني في الدّرجة الثانية من حيث الأداء الجيّد في ساحة الجهاد من أجل تحرير فلسطين.

ونظرًا لقلّة المعلومات المتوفّرة عن دور الإعلام والتعليم الأردني في تلك القضية؛ فإنّني لا أستطيع مقارنةَ ذلك بالدور المصري، ولكن من حيث الحركةِ القومية والحركة الإسلامية فإنّ الشواهد تقول إنّ الأردن امتلك حركةً قوميةً قويةً ومعبّرة عن ثقافة شعبية عامّة مؤيدة للحقّ الفلسطيني العربي الإسلامي ومناصرة له على مدارِ التاريخ. كما أنّ الرابطة العرقية بين أهل الأردن وأهل فلسطين جعلتهم شعبًا واحدًا، وإنْ حاولت الأنظمة تفريقَهم.

الشعبُ اللّبناني

بالرغم من التركيبةِ الطائفية المعقّدة للشعب اللبناني، فإنّ اللّبنانيّين كانت لهم مشاركةٌ ملموسة في قضية تحرير فلسطين.

ولقد تأثّرت الأمة اللّبنانية بالاحتلال الصهيوني لفلسطين تأثرًا عميقًا يتعلق بأمْنها العسكري، وتعرّضت المدنُ والقرى اللبنانية للغارات والمتفجرات طيلةَ فترات الصراع، كما كان اجتياح الصهاينة جنوب لبنان وبلوغ بيروت أكبرَ مأساةٍ يتعرّض لها شعبٌ عربي بعد فلسطين.

وحتى نبقى مع عناصر التقييم الأساسية الأربعة التي اعتمدناها كميزانٍ للحكم، وهي: الإعلام والتعليم والحركة القومية، والحركة الإسلامية؛ فإنّ لبنانَ لا يمكن قياس أدائه كأمّة واحدة لما له مِن تركيبة عرقية خاصة لدرجة أنّ بعضَ اللبنانيّين موالون للصهيونية مثل الكتائبيّين الذين انحازوا للجيشِ الصهيوني في مقاتلة المقاومة الإسلامية والفلسطينية على أرض لبنان.

والذي يمكن تقييمُه هنا هو القسمُ المسلم من لبنان عامّة، والحركة الإسلامية خاصّة، فإذا كان الأمرُ كذلك فإنّ الحركة الإسلامية في لبنان تعتبر حركةً متميّزة من حيثُ امتلاكها للعناصر الأربعة.

فلدَى الحركةِ الإسلامية اللّبنانية قدرة إعلامية معتبَرة تحافظ على ثوابت القضية الفلسطينية على الساحة القومية، وتعادي الاحتلال الصهيوني، وتكشفُ زيفَ ادعاءاته التاريخية.

كما أنّ الحركة الإسلامية اللبنانية تمتلك قدرًا ملموسًا من المناهج التعليمية المتعلّقة بالقضية الفلسطينية، وتشارك في ذلك المدارس العربية الخاصة ودور النشر اللّبنانية ذات الصيت العالي في مجال النشر والتوزيع.

كما أنّ الشعب اللّبناني قادرٌ على الاحتشاد خلف قياداته، وله حضورٌ في المحافل والمظاهرات العامة بما يعبر دائمًا عن انتماءٍ عربي أصيل بين أبناء لبنان.

وعلى الجانب العسكري، فتتميز لبنان بوجودِ حركة قتالية فعالة تمثّلت في الكتائبِ الفلسطينية، ثمّ تبلورتْ في جيش حزب الله المرابط في الجنوب، والذي استطاعَ أن يثبتَ جدوى العمل العسكري في إجلاء الصهاينة عن الأرض التي احْتلوها، وأصبح حزبُ الله مثالًا للجهاد المسلّح من حيث التنظيم والتدريب والتسليح.

الشعبُ السّوري

كان الشعبُ السوري في الثلاثينيات والأربعينيات امتدادًا طبيعيًّا للشعوب العربية في فلسطين ولبنان والأردن ومصر، وكانت الحركةُ بين هذه الشعوب سهلةً ويوميّة، والتنسيقُ بين قادتها الشعبيّين والرسميين قائمٌ وفعّالٌ.

غير أنّ الحال تغيّر كثيرًا من الخمسينيات وحتى اليوم، وبخمود الحركة الإسلامية السورية ومطاردتها خمدت الحركةُ الشعبية عامّة، فلم يعدْ هناك نشاطٌ يُذكر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية إعلاميًّا أو تعليميًّا أو قوميًّا أو إسلاميًّا، وطاقة النور الوحيدة التي أذكرها على أرض سوريا هي وجود بعض قادة الجهاد الفلسطيني ضيوفًا على سوريا، كما أنّ التيارَ القومي العربي السوري له جهدٌ مشكور في الكفاح العربي في مواجهة المشروع الصهيوني وكشف خطورته والعمل على إنهائه وتصفية وجوده في العالم العربي.

ولا تزال الحالةُ هكذا في الأراضي السورية من الناحية الشعبية حتى يأذن الله بيومٍ نسمعُ فيه صوتَ الشعب السوري الشقيق.

الشعوبُ العربيّة الأخرى

بعدما استعرضْنا الموقفَ الشعبي تجاه القضية الفلسطينية فيما يسمّى دول

الطّوق، وهي مصر والأردن ولبنان وسوريا بالإضافة إلى أرض الرباط فلسطين، فإنّ كافةَ الشعوب العربية الأخرى لم يتعدَّ دورها المعاوناتِ المالية كصدقاتٍ واجبة والمجاملات الكلاميّة التي تثور في أوقات السخونة لشهور، ثمّ تروحُ في غيبوبةٍ ونسيان لسنين طويلة.

الشعوبُ الإسلامية

تدلّ الدراسةُ الواقعيّة لحركة الشعوب الإسلامية طيلة القرن الماضي أنّ قضية فلسطين لم تكنْ لها أولوية تذكرْ في حياة تلك الشعوب، وأنّ هذه الشعوب غارقةٌ في مشكلاتها الخاصة، ولذلك بقيتْ قضية فلسطين محرومةً مِن عمقها الإسلامي. وليس هناك ما يمكن اعتبارُه وعيًا حقيقيًّا بفلسطين أو قضيتها على المستوى الشعبي خارجَ حدود الوطن العربي إلّا عند شريحة ضيقة من المثقفين والقادة.

شعوبُ العالم وفلسطين

كان لحركة الهجرة الفلسطينية الاضطرارية نحو الغرب الأوروبي والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية أثرٌ بالغ في وجود مراكز بحثية ومنظمات إغاثية تعملُ لفلسطين وسط الشعوب الأوروبية والأمريكية.

وتعتبرُ هذه الحركة المنظّماتيّة الفلسطينية هي المصدر الوحيد الذي تدري مِن خلاله تلكَ الشعوب ببعض المعلومات عن القضية الفلسطينية، ولكن تلك المعرفةُ لم تتحوّل أبدًا إلى تيارٍ شعبي يمكن وزنه، والاعتماد عليه في مواجهة الدّعاية الصهيونية الكاسحة وسط هذه الشعوب الأوروبية والأمريكية، ولذلك فالشعوبُ الأوروبية والأمريكية على الإجمال ما بين غالبية مؤيّدة لإسرائيل، وتعيّنها بالمال والمتطوعين، وقلّة قليلة لديها معلومات عن فلسطين، وأفرادٌ يعدّون على الأصابع

متعاطفون مع الشعب الفلسطيني على أنه يعاني محنةً إنسانية.

نصائحُ للشعوب وحركتها مِن أجل فلسطين:

على الشعوب العربية والإسلامية- أفرادًا، وقيادات شعبية، وجماعات وتنظيمات- إنْ أرادت أن تخطو خطواتٍ جادةً نحو تحرير فلسطين أنْ تؤهل نفسَها لتلك المهمّة المقدسة من خلال:

١ـ امتلاك وسائل إعلاميّة مناسبة للعصر، وأقلّها قناة تليفزيونية فضائية تمكّن كلّ حركة شعبية من الاتصال بالشعب، والاتصال بأفرادها اتصالًا حقيقيًّا ويوميًّا، بالإضافة إلى جرائدَ يومية ومحطات إذاعية.

٢ـ امتلاك وسائل تعليم كافيةٍ لاستيعاب المؤمنين بعدالة قضية التحرير وتأهيلهم دراسيًّا وعلميًّا للقيام بهذه المهمة، بدايةً من دور الحضانة وحتى الجامعة، بالإضافة إلى عددٍ من مراكز البحوث المتخصصة في الشأن الفلسطيني.

٣ـ إبراز قيادات كافية للأخذِ بيدِ الأمة، وإدارة حركتها الجهادية من أجل فلسطين، وتدريب تلك القيادات، والوقوف خلفها؛ حتى تكون مصابيحَ هداية للشعوب الحائرة.

٤ـ علينا أن نتقنَ التربية الجهادية، وأن نوجّه البنادق كلها ناحية العدو الصهيوني بوصفه العدوَّ المشترك للشعوب والحكومات، وأن نتحاشى تمامًا الاقتتالَ الداخلي فيما بيننا.

الفصلُ الثالث

دورُ الحكوماتِ العربيةِ والإسلاميةِ والدولية

إذا كان دورُ الشعوب في قضية تحرير فلسطين أمكنَ تقديره على أساس امتلاك تلك الشعوب لقدراتٍ إعلامية وتعليمية وقيادية وقتالية، فإنّ دور الحكومات وتقييم هذا الدور يرتبط بقدرتها على استخدام كافة إمكانات الأمّة، فالحكومات تملكُ قوّة القانون، وقوة التنفيذ إلى جانب امتلاكها لمؤسسات الإعلام والتعليم وغير ذلك مما تحتاجه عملية التحرير.

كما تمتلك الحكوماتُ أدوات البحث العلمي، وتسخير قوة العلم في المعركة الحربية والاقتصادية في الوقت الذي يمثّل فيه التقدمُ العلمي أهمَّ أسباب تفوّق العدو، ومن خلفه أمريكا وأوروبا.

ولكنّنا عندما نتحدّث عن دور الحكومات العربية؛ ندرك جيدًا أن حكومات العالم الثالث اليومَ تمارس عملَها وسط ظروفٍ دولية ضاغطة، وندرك أنّ الحكومات ليست حرّة في قرارها.

كما ندرك أنّ الوضع المزري والمتخلف لبلادنا في العالم الثالث ليس وليدَ الحاضر بقدر ما هو تراكماتُ الضعف والفساد خلال القرن الماضي، وندرك كذلك أنّ القانون الدولي لم يعدْ يعترف بما يسمى الأمة العربية أو العالم الإسلامي، وإنما يرتكزُ على ما يسمّى بالدولة القومية بمفهومها القانوني الذي يعترفُ بالدولة في حدودها السياسية وشعبها وحكومتها كوحدةٍ للتعامل الدولي دونَ النظر إلى أي عالم تنتمي إليه تلك الدولة.

وندركُ أيضًا أنّ الوحدة العربية ثمّ الوحدة الإسلامية هي الحلُّ الناجع والأسلوبُ الأمثل لمواجهة هذه اللحظة التاريخية الصعبة، وندرك أن قرار الوحدة على أي مستوًى هو قرارٌ حكومي بعدما قالت الشعوب العربية والإسلامية كلمتَها، وأوضحت رغبتها بل عشقها للوحدة لدرجة اعتبارها حلمًا جميلًا وأملًا غاليًا تتمنى أن يتحقق.

ومِن هنا، فإنّ تقييم دور الحكومات وما بذلته سوف يتناول دور الحكومات في المعركة الحربية من أجل التحرير والإعداد لهذه المعركة، وما يسبقها أو يعقبها مِن مفاوضات وسياسات، ويشمل التقييم كذلك أداءَ تلك الحكومات في مجال تسخير كافة إمكانات الأمة، وحشدها للنصر على العدو الصهيوني، وتحرير الأرض العربية والإسلامية المحتلة.

الحكومةُ الأردنية

كان الاتصال الحكومي الأول بالقضية الفلسطينية من خلال الوثائق في ٣/ ١/ ١٩١٩، وكان اتصالًا أردنيًّا، ففي هذا التاريخ عقد الأمير فيصل بن الحسين ملكُ الحجاز والأردن والدكتور حاييم وايزمان أولَ اتفاقٍ بين حكومة عربية وطرفٍ صهيوني، وتوضّح نصوص هذا الاتفاق موافقةً تامّة من حكومة المملكة العربية الحجازية على وجود الصهاينة، وإنشاء دولة لهم في فلسطين.

ومِن خلال بنود هذا الاتفاق، ندرك- كذلك- أنّ هناك قوى عربيةً ساعدت على قيام دولة الاحتلال، ووقفت مع الصهيونية ضدّ الشعب العربي الفلسطيني.

في هذه الاتفاقية ما نَصّه:

١ـ سوف تُتّخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد بلفور.

٢ـ يجب أن تتّخذ جميعُ الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٣ـ يجب أن يسمح، على الدوام، بحرية ممارسة العقيدة الدينية.

٤ـ الأماكن الإسلامية المقدّسة يجب أن توضَع تحت رقابة المسلمين.

ومِن المعروف تاريخيًّا أنّ الجيش الأردني شارك القوات البريطانية في الحرب التي شنّتها الأخيرة على الجيش العثماني المكلّف بحراسة المسجد الأقصى حتى تمكّن الجيش البريطاني بمساعدة الجيش الأردني من هزيمة الحامية العثمانية والاستيلاءِ على المسجد الأقصى، وكان ذلك عام ١٩١٧ وهو نفس العام الذي أطلقت فيه بريطانيا ما يسمّى بوعد بلفور الذي يعدّ الخطوةَ الأولى في قيام الكيان الصهيوني على أنقاض فلسطين.

وبعد قيام الدولة الصهيونية، ظلّت حكومة الأردن في علاقات سلامٍ معها، ولم تبدِ أيَّ امتعاض من وجودها، ونلمح ذلك جليًّا في برقية الملك عبد الله بن الحسين إلى الدكتور إتان وكيل خارجية العدو الصهيوني في ١٩/ ٣/ ١٩٤٩، والتي جاء فيها:

«جناب الدكتور إتان المحترم بواسطة الكولونيل دايان المحترم، إنني واثقٌ كما قلتم بأنّكم تريدون أنْ تعيشوا في جنبنا بسلام، وإنني دائمُ الرغبة في الوصول إلى هذه النتيجة المرضية.

وإنني أعلمُ أنكم ستوافقونني في مسألة احتلالنا للجبهة العراقية، وإذا تمكّنتم جنابكم مِن مقابلتي أنتم ودايان فآملُ أن يكون وراء ذلك ما نودّ جميعًا».

ومن المعلوم أنّ الاتفاق بين حكومة الأردن والصهاينة في هذه الآونة كان على أساس إطلاق يدِ ملك الأردن في الضفة الغربية والقدس الشرقية مقابلَ إطلاق يدِ الصهاينة في كلّ فلسطين.

وفي مؤتمر الشونة الذي عقد في ٣٠/ ٣/ ١٩٤٩ بين الحكومة الأردنية والحكومة الصهيونية تحدّث رئيس الحكومة الأردنية توفيق أبو الهدى في حضور الملك عبد الله ووكيل خارجية الصهاينة د. إيتان ووفدي البلدين قائلًا:

أكلّمكم باسم حكومة الأردن، وبحضرة جلالة سيدنا وأرحّب بقدومكم الذي نأملُ منه كلّ خير لصالح بلدنا، وإذا ذكرنا الماضي نجدُ كيف تورّط الأردن في الحرب، والأسباب المباشرة كانت مدينة القدس القديمة، ومحاولة قواتكم الاستيلاءَ عليها، ممّا أدى إلى اشتباك الجيش العربي مع جنودكم اشتباكًا فعليًّا، وما عدا ذلك لم تقع معارك من طرفنا.

وتعلمون سعادتكم أنّ السياسة الأصلية التي سرنا عليها هي أن يقف الجيش العربي على حدودِ القسم العربي في فلسطين، ولا يتعدّاه بالفعل، ولو أنّ تلك السياسة لم تقَلْ أو تُنْشر، إلّا أنها كانت بالفعل مرسومة، ولم يكن ميل للحرب بالمرّة، ولا نية أكيدة، ويمكنكم أن تقرّروا صعوبة موقفنا في تنفيذ تلك السياسة المرسومة، وفي الانجراف مع سياسة الدول العربية مجاراةً لهم وللتغطية فقط.

والآن، لن نتقيّد بالسياسة العربية، ونرغب مِن كلّ قلوبنا أن نصلَ معكم إلى تسويةٍ وصلح دائم، وإذا توافرتْ لديكم حسنُ النية كما هي عندنا، لا شكّ بأننا سننهي كلّ المشاكل بما تمليه المصالحُ المشتركة وحسنُ الجوار بين بلدينا» (ا.هـ).

والمتابع لسياسة الحكومات المتعاقبة على الأردن سيجدُ أن تلك السياسة الموافقة على احتلال فلسطين عدا الضفة الغربية؛ لا تزال ماضيةً دون أي قدرٍ من التغيير.

وما كانت اتفاقيةُ السلام التي عُقدت بين الأردن والكيان الصهيوني سوى توثيقٍ وإعلان لما كان يجري مِن وراء ظهر الشعوب أو بعلمها وقهرها على الخضوع له.

معَ العلم أنّ أطول حدود مشتركة مع الكيان الصهيوني هي الحدود الأردنية، ومِن هنا ندرك كذلك حرجَ الموقف الفلسطيني عندما يعيش محرومًا من أي دعمٍ حربي أو قتالي من هذه الناحية من العالم العربي والإسلامي.

كما أنّ كافة الإمكانات الحكومية الرسمية الأردنية لم توجَّه لمعاداة الصهيونية، ولا حتّى للمحافظة على الحقوق العربية التاريخية في الأرض والمقدسات بناءً على تلك الاتفاقات السريّة القديمة بين الكيان الصهيوني والحكومات الأردنية المتعاقبة.

ولعلّ هذا يفسّر لنا هذا الحشدَ الغربي الأمريكي غير المسبوق في جنازة الملك حسين، والذي كان مفاجأةً لكافة الشعوب العربية والإسلامية التي لا تقرأ التاريخ، ولا تعرف حقيقة مواقف الزعماء تجاه احتلال فلسطين وقضية فلسطين.

وفي الآونة الأخيرة، كان من نتائج انتفاضة الشعب الفلسطيني البطلِ تأكيدُ الهوية الفلسطينية للضفة الغربية، وبالقدر الذي يخجِلُ أيَّ حكومة أردنية أن تدّعي

لنفسها ملكيةً في الضفة الغربية الفلسطينية، وقد واكبت حكومة الأردن الحالية هذا التغير، وأظهرت ما يشهدُ بتراجعها عن سياسة الآباء تجاه الضفة الغربية.

الموقفُ السّوري الرسمي

شاركت القواتُ السورية في الجيوش العربية التي تنادت للحرب في عام ١٩٤٨ تحت لواءِ جامعة الدول العربية، ومُنيَ الجيشُ السوري بالهزيمة كغيره مِن الجيوش العربية، وأرغمت سوريا على توقيع هدنة منفردة مع العصابات الصهيونية عقبَ انقلاب حسني الزعيم في أبريل ١٩٤٩ يضمن بقاء الجيش السوري بعيدًا عمّا يجري في فلسطين من حربٍ صهيونية عنصرية، كما شارك الجيشُ السوري في حرب يونيو ١٩٦٧ مع الجيش المصري، وخرج مَهزومًا، وخسرَ هضبة الجولان الغالية المهمّة. ولم يصدر عن الحكومات السورية المتعاقبة أيُّ تصريح أو تلميح بالاعتراف بالكيان الصهيوني حتى عام ١٩٨٢ عندما شاركت سوريا في مؤتمر فاس بالمغرب في ٩/ ٩/ ١٩٨٢، وفي هذا المؤتمر- ولأول مرة في قمة عربية- يتمّ قبول قرارات الأمم المتحدة، والاعتراف ضمنًا بدولة (إسرائيل) وحقّها في العيش بسلام، وذلك من خلال تبنّي القمة لمشروع الملك فهد عندما كان وليًّا للعهد السعودي.

ومن هنا، فإنّ الحكومات السورية المتعاقبة ظلّت في حالة حربٍ منذ هدنة ١٩٤٩، لم توقّع اتفاقَ سلام مع الكيان الصهيوني، ولا تزال حتى يومنا هذا.

ولكنّ مدى حشد الإمكانات السورية كدولةٍ في معركة التحرير تأثّر كثيرًا بعدم الاستقرار السياسي الداخلي، وكثرة الانقلابات العسكرية التي تناوبت على البلاد حتى استقرت الأمور للرئيس حافظ الأسد ومِن بعده ولده بشّار.

كما أنّ الجيش السوري لم يمتلكْ مِن القوة ما تمكنه من مواجهة العدو الصهيوني في معركةٍ يضمنُ فيها النصر أو حتّى يستعيد أراضيه المحتلة بالقوات الصهيونية.

الموقفُ المصريّ الحكومي

من ١٩١٧- ١٩٤٨

لم تهتمّ الحكومات المتعاقبة على مصر بقضية فلسطين حتى بدتْ نذر الحرب الفاصلة وسط الأربعينيات، ولم أعثرْ على أي وثائق توضّح دورًا للحكومات المصرية المتعاقبة منذ عام ١٩١٧ تاريخ وعد بلفور المشئوم، وحتى عام ١٩٤٦. وفي عام ١٩٤٦، اشتركت مصر بوفدٍ لها في مؤتمر فلسطين المنعقد بلندن، ورأس الوفد المصري عبد الرازق السنهوري باشا، وجاء بكلمته:

«لا يمكننا أن نقرّ بشكلٍ ما تقسيمَ فلسطين، أو إقامة دولة يهودية في هذا الجزء من العالم، كما لن نقفَ موقفًا سلبيًّا حتى يصير الخطرُ اليهودي للعالم العربي خطرًا واقعًا...».

واشتركت مصرُ بفرق عسكرية مع الجيوش العربية التي تنادت للحرب عام ١٩٤٨، ومثل كلّ الجيوش العربية هُزم الجيش المصري، وحُوصر في الفالوجا، وانتهتِ الحرب بانتصارٍ للعصابات الصهيونية، وأرغمت الحكومة المصرية على توقيع اتفاقيةِ هُدنة منفردَة مع العصابات الصهيونية التي أعلنت نفسها دولةً على أرض فلسطين..

وجاء في بنودِ هذه الاتفاقية التي عُقدت ووقِّعَت في جزيرة رودس اليونانية في ٢٤/ ٢/ ١٩٤٩:

مِن المادة الأولى:

ـ يحترمُ الطرفان- بكلّ دقة- توصيةَ مجلس الأمن الخاصة بعدمِ الالتجاء إلى القوة العسكرية في تسوية مشكلة فلسطين.

ـ يحترم الطرفان احترامًا كاملًا حقّ كلّ من الطرفين في أن يكفلَ أمنَه وحريته في التحرّر من خوف الهجوم عليه من جانبِ القوات المسلحة التابعة للطرف الآخر.

مِن المادة الرابعة:

الاعترافُ أيضًا بأنّ الأغراض الأساسية وروح الهدنة لا تُخدم باسترجاعِ المواقع العسكرية السابق احتلالها أو بتغيير المواقع المحتلة الآن.

ثمّ مرّت الأيامُ، والمصريّون يحترمون التوسعاتِ الصهيونية التي ابتلعت بلادًا كثيرة من أرض فلسطين في مناطق بعيدة عن قطاع غزة، الذي ظلّ تحت الإدارة المصرية بموجب هذا الاتفاق.

بعدَ قيام الثورة

قامت الثورةُ المصرية على الملكية، وذهبَ الملك ، وحكمَ مصر محمد نجيب ثمّ جمال عبد الناصر، وفي العهد الناصري منذ عام ١٩٥٤ ارتفعت حدَّةُ الخطاب السياسي في معاداة الصهيونية، وبدأ عبد الناصر في تقوية الجيش، وتنويع أسلحته، وصاحبَ ذلك خوفٌ صهيوني من مخالفة مصر لما وقّعته مِن اتفاقيات عام ١٩٤٩،

وما إن أعلنَ جمال عبد الناصر تأميمَ قناة السويس حتى وجدتِ الدولة الصهيونية في ذلك فرصتَها للإجهاز على ما بناه جمال عبد الناصر من قوةٍ عسكرية ناشئة، فقامت بعدوان ١٩٥٦.

حرب ١٩٥٦

عُرفت في التاريخ بالعدوان الثلاثي في ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦.

وشنّتها إسرائيل- بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا- بعدما مدّت بريطانيا وفرنسا إسرائيل بعتادٍ عسكري يكفي لهزيمة القوات المسلحة المصرية، ردًّا على تأميمِ قناة السويس التي كانت مملوكةً لشركة بريطانية فرنسية مشتركة. وخلالَ الفترةَ من ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦ إلى ٢/ ١١/ ١٩٥٦ تمكّنت الجيوش الصهيونية المجهّزة من هزيمة الجيش المصري الموجود في سيناء، واحتلت القواتُ الصهيونية كلّ سيناء حتى خطّ القناة بما في ذلك قطاع غزة، وأرسلتْ بريطانيا وفرنسا إنذارًا إلى القوات المصرية والصهيونية بوقف القتال وإلّا تدخّلت الدولتان لحماية ممتلكاتها في القناة، وكان ذلك اتفاقًا سريًّا بينهما وبين الصهاينة.

ولم يتوقّف القتال المصري- الصهيوني كما خطّطت الدول الثلاث المعتدية، وهنا تدخّلت بريطانيا وفرنسا، وأنزلت قواتها المظليّةُ آلافًا من الجنود والمعدات على مدينة بورسعيد كبدايةٍ لغزو شامل.

وهنا تدخّلت أمريكا، وأنذرت الدولَ الثلاث بالانسحاب من الميدان، لقد استغلّت أمريكا الموقفَ لتعلن أنها وحدَها الاستعمارُ الجديد، وأن العالم يجبُ أن يدينَ لها بالخضوع.

نكسة ١٩٦٧

في ظروف دوليّة معقدةٍ وداخلية متردّية، دخل الرئيس عبد الناصر حربَ ١٩٦٧ التي شنّتها إسرائيل لأسبابٍ مُعلنة، كان في مقدمتها:

١ـ مساعدة مصر للفدائيّين الفلسطينيّين، ومدّهم بالسلاح ولتدريب ممثلين في منظمة العاصفة بقيادة ياسر عرفات.

٢ـ قيام جمال عبد الناصر بإغلاق مضايق تيران في وجْه الملاحة الصهيونية.

٣ـ طرد المراقبين الدوليّين، وحشد القوات في سيناء.

٤ـ حدّة الخطاب السياسي للرئيس عبد الناصر الذي دعا إسرائيل للحرب صراحةً إن استطاعت.

هكذا، كانت نتيجةُ الأداء الرسمي المصري فيما يتعلق بتحرير فلسطين طيلةَ فترة حُكم محمد نجيب وجمال عبد الناصر. ثمّ مات عبد الناصر، وتسلّم الحكم مِن بعده الرئيس السادات، فكيف كان الأداءُ السياسي والعسكري فيما يتعلّق بقضية فلسطين وتحرير فلسطين؟

كان الفكرُ الذي اقتنع به الرئيس السادات هو محاولةَ توجيه ضربة عسكرية للجيش الصهيوني المحتلّ لمجرد أن يقبلَ هذا الجيش بالتفاوض مع القيادة المصرية حول الانسحابِ من الأراضي المصرية، مع التعهّد للصهاينة بأن مصرَ لن تفكّر بعد اليوم في مهاجمة الصهاينة، وعلى الفلسطينيين أن يتولّوا أمورَهم بأنفسهم. وبالفعل تبنّت القيادة المصرية خطةً سمّتها (بدر -١) ملخَّصُها أنْ يتمّ تجهيز القوات المصرية

لتستطيع عبورَ قناة السويس، وتدمير خطّ بارليف، والتقدّم في سيناء مسافة ١٠-١٢كم فقط، وهو القدر الذي تستطيعُ الصواريخ المصرية (سام - ٣) والمثبتة على الأرض في الضفة الغربية للقناة)- حماية الأجواء التي تتحرّك تحتها القوات المصرية.

دورُ الحكوماتِ السعودية

أولُ وثيقةٍ نعترف مِن خلالها بدور الحكومة السعودية في قضية تحرير فلسطين هي الخطابُ المرسل من الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في ١٠/ ٣/ ١٩٤٥، والذي جاء فيه:

«وصفوة القول، إنّ تكوين دولة يهوديةٍ بفلسطين سيكون ضربةً قاضية لكيان العربِ، ومهدّدًا للسلم في المنطقة..».

وخاطبَ الملك عبد العزيز آل سعود الرئيس ترومان قائلًا:

«إنّ حكومة الولايات المتحدة وسكانها عاضدت مفهومَ الوطن القومي اليهودي في فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، والخط الذي لا تزال تلتزمه ألَا وهو تهيئةُ هذه الشعوب، ووجوب إقامة وطنٍ قومي للشعب اليهودي في فلسطين».

وكان للحكومةِ السعودية في عهد الملك فيصل توجّهات طيبة تجاه قضية فلسطين، كان أهمُّ مظاهرها مساعدةَ السعودية لمصر ماديًّا وبتروليًّا أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولقد كان هذا الموقف سببًا في اغتيال المرحوم الملك فيصل، وإنهاءِ حياته.

وفي ٩/٨/ ١٩٨١، نشرت وكالةُ الأنباء السعودية ما عُرف باسم (مشروع الأمير فهد بن عبد العزيز لحلّ النزاع في الشرق الأوسط) والذي مثّل أول اعترافٍ سعودي بدول الصهاينة، ومثّل منعطفًا تاريخيًّا لكافة الدول العربية الأخرى؛ حيث تبنّت هذا المشروع قمّة فاس ١٩٨٢، وهو نفس المشروع الذي تمّ تجديده وإعادة طرحِه على القمة العربية المنعقدة في بيروت في ٣٠ من مارس ٢٠٠٢، والذي ردّت عليه دولةُ الصهاينة باجتياحٍ كامل للضفة والقطاع، وتحطيم كافّة ما بنتْه السلطةُ الفلسطينية على الأرض.

الأداءُ الحكومي الفلسطيني

ظلّت فلسطين في التاريخ الوسيط جزءًا من العالم الإسلامي، ثمّ ولاية من الولايات العثمانية حتى سقوط الخلافة الإسلامية وإسقاط نظامها عام ١٩٢٤.

ومِن الناحية القانونية الدولية، فلم يتمكّن الشعب الفلسطيني منذ بداية الانتداب البريطاني في عام ١٩١٧ مِن اختيار حكومةٍ تمثّله، وظلّت هذه نقطةَ الضعف الأساسية التي سمحت للكثيرين من القادة أن يتحدثوا باسم الشعبِ الفلسطيني دونَ مشورته أو التعرّف على رغباته، ومن هذه الثغرة أيضًا مرّر العدو كثيرًا من المشروعات الاسْتسلامية التي وقّع عليها مَن لا يمتُّونَ للشعب الفلسطيني بصلةٍ مِن قريب أو من بعيد.

ومِن الأخطاء التاريخية الفاحشة المنسوبة إلى الدول العربية، ثمّ إلى جامعة الدول العربية؛ تأخّرها وتباطؤها في إقامة كيانٍ رسمي لفلسطين طيلة سنوات محنتِها من عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٦٤، مرورًا بكلّ الحروب والمآسي التي كان أشدّها

انتهابَ فلسطين عام ١٩٤٨ بما يسمّى مشروع التقسيم، وموافقة الدول العربية على هذا المشروع باتفاقياتٍ منفردة بين كلّ دولة مِن ناحية والكيانِ الصهيوني من ناحيةٍ أخرى.

ولأوّل مرة، وافقت جامعةُ الدول العربية على اعتبار أحمد الشقيري ممثلًا دائمًا لفلسطين بالجامعة في ١٩/ ٩/ ١٩٦٣، وفي ١٥ من مايو ١٩٦٤ اجتمع المجلسُ الوطني الفلسطيني، وأيّد هذه الخطوة، وظلّت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلةً لفلسطين بالجامعة حتى اعترفتْ بها الأممُ المتحدة، وأعطتها صفةَ المراقب في اجتماعاتِ الجمعية العامة في عام ١٩٧٣ بعدما أبدى ياسر عرفات قبولَه بجزءٍ مِن فلسطين لتقوم عليه دولةٌ فلسطينية إلى جوار الدولة الصهيونية.

وفي عام ١٩٨٨، اتّخذ المجلس الوطني الفلسطيني برئاسة عرفات قرارَه الخطير بالاعتراف بإسرائيل وفقَ قرار التقسيم الذي أصدرته الأممُ المتحدة عام ١٩٤٨.

وبعدَ احتلال الكويت من قِبَل العراق في أغسطس عام ١٩٩٠م، وقيام التحالف الدولي مِن ٣٦ دولة بهزيمة العراق، وإخراجها بالقوة؛ أعلنَ الرئيس جورج بوش الأمريكي أنه قد حان الوقتُ لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي.

وطرحت الولاياتُ المتحدة فكرةَ عقد مؤتمرٍ دولي للسلام بين العرب وإسرائيل، واتّخذت منظمة التحرير قرارها بالانضمام إلى المؤتمر، وحضر وفدُها مع الوفد الأردني برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي في ٣٠ من أكتوبر ١٩٩١.

لم توافقْ معظمُ الفصائل الفلسطينية على حضور مؤتمر مدريد، ورأتْ فيه مؤتمرًا لبيْع فلسطين، وأصدرت كلٌّ من حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير

فلسطين (القيادة العامة) وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح- المجلس الثوري) وحركة التحرير الوطني (فتح × الانتفاضة) والاتجاه الإسلامي المجاهد؛ أصدرتْ بياناتٍ منفردةً وجماعيةً تستنكر حضورَ المؤتمر، وتعتبر الحاضرين مِن الفلسطينيّين في مؤتمر مدريد لا يمثّلون الشعب الفلسطيني لكونهم يعترفون بقرار تقسيم فلسطين بين الفلسطينيين والمحتلين الصهاينة.

اتّفاق أوسلو:

لم يتوصّل مؤتمرُ مدريد ولا المباحثات التي جرتْ بين الدول التسعة المشاركة في المؤتمر؛ إلى صيغةٍ مقبولة من الطرفين الفلسطيني والصهيوني.

وفي ١٩/ ٨/ ١٩٩٣، فاجأ عرفات العالَمَ كلَّه بالإعلان عن نجاح المحادثات السريّة بينه وبين الإسرائيليّين في عقد اتفاقٍ للتسوية، عُرف باتّفاق أوسلو أو اتفاق (غزة- أريحا).

بموجبِ هذا الاتفاق المطوّل، دخلت منظمةُ التحرير الفلسطينية لتمارس الحكمَ الذاتي على قطاع غزة والضفة الغربية في المجالات المدنية، بينما ظلّت إسرائيل مهيمنةً على كلّ فلسطين عسكريًّا وحدوديًّا في انتظار قيام الشرطة الفلسطينية- وقوامها ٢٥ ألف مقاتل مسلّح بالأسلحة الخفيفة- بالقضاء على المقاومة الإسلامية ممثّلة في حماس والجهاد الإسلامي، ولكنّ الشرطة الفلسطينية لم تفعل، ولم يقعْ ياسر عرفات في الفخّ الإسرائيلي، وظلت إسرائيل تماطلُ في إنفاذ بقية بنودِ الاتفاق بحجةِ استمرار الانتفاضة وعجز الرئيس عرفات عن التصدّي للعمل الفدائي، حتى كانت أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة، والتي ترتّب عليها ما يسمّى بالاتحاد

الدولي لمحاربة الإرهاب، وشنّت القوات الإسرائيلية أكبرَ عملية تصفيةٍ لكافة ما أقامته السّلطة الفلسطينية على الأرض من مقرّات وإصلاحات، وراحت تحصدُ المجاهدين بالصواريخ والطائرات الأباتشي ضاربةً بالسلطة ووجودِها عرضَ الحائط في عملية انقلابٍ على كلّ الاتفاقات التي تمّت.

وأمامَ هذا الوضع، سارع الرئيس ياسر عرفات بطلب عقد قمةٍ عربية طارئة في ٣٠ مارس ٢٠٠٢، ولكنّ القواتِ الصهيونيةَ حاصرت مقرّه في رام الله ومنعتْه من الحضور.

وفي يوم إعلان مؤتمر القمة العربية في بيروت عن مبادرة عربية تعترف بوجود إسرائيل مقابلَ انسحابها من الضفة وغزة وقيام دولة فلسطينية عليها، وعاصمتها القدس؛ بدأت إسرائيلُ اجتياحَ كافة مدن الضفة وغزة، وأعادت احتلالَها، وقوّضت السلطة المدنية الفلسطينية في عملية (السور الواقي) ولا تزال هذه العملية مستمرةً حتى كتابة هذه السطور.

ولم يعدْ بوسع الرئيس عرفات ذلك اليوم سوى توجيه النّداءات والاستغاثات إلى الرئيس الأمريكي والاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية لإنقاذه مِن محبسِه في رام الله قبل أن تقضي عليه القواتُ الصهيونية.

ويقومُ الرئيس الفلسطيني بتوجيه هذه الاستغاثة مرةً أو مرتين كلّ يوم دونما أيّ استجابة له من بعيد أو قريب.

وفي ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٢، أصدر الرئيس الأمريكي خطابًا سياسيًّا يتعلّق بالقضية نادى فيه صراحة بضرورة تغيير عرفات لفشله في مقاومة (الإرهاب الفلسطيني)

حسب قوله واختيار ممثلٍ آخرَ للشعب الفلسطيني يستطيعُ القيام بدور الحامي للأمن الإسرائيلي.

١١ نوفمبر٢٠٠٤

مقتلُ الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عن خمسٍ وسبعين عامًا في مستشفى فرنسي في باريس بعدَ تدهْور حالته الصحية تحت الحصار إثرَ مرضٍ غامض، واتّهام اسرائيل بتسْميمِه. انتهتْ معه أحلامُ السلام والحكم الذاتي والسلطة الفلسطينية على جزءٍ من الأرض المحرّرة، بينما بقي الاحتلال، وبقيتِ المقاومة المسلحة بما تمتلكُ مِن إمكانيات.

الدولُ العربيّة والإسلامية الأخرى:

ليس هناك جهدٌ يمكن رصدُه لأي دولة عربية أو إسلامية أخرى خلال القرن الماضي في مجال تحرير فلسطين.

وهذا يجعلنا نقرر- عن دراسة حقيقية- أنّ قضية تحرير فلسطين ظلّت- ولا تزال- محرومة تمامًا مِن بعدها العربي والإسلامي، ولم تنلْ هذه القضية المهمّة مِن اهتمامات الحكومات العربية والإسلامية إلّا الكلامَ الحلو والأماني العريضة التي لا يساندُها أي جهدٍ حقيقي على مستوى الإجراءات لتتحوّل إلى معركةِ تحرير حقيقيّة لاستعادة فلسطين من القبضة الصهيونية.

وقد يتساءل القارئ: وماذا عنْ دور جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي؟

ويؤسفني كثيرًا القول بأنّ هذه المنظمات وُلدَت ميّتة من الأصل، والمواثيق التي أنشأتها تشهدُ على ذلك وتؤكّده، فتلك المنظمات لا تعدو أنْ تكون منبرًا للكلمات ومكانًا للمشاحنات، وليس لقراراتها أيّ درجةٍ للإلزام على الأعضاء، ولا تملك هذه المنظمات أيّ نوعٍ من العقوبات التي توقّع على الأعضاء المخالفين لقرار الأغلبية، ولا أيّ آلياتٍ لتنفيذ تلك القرارات.

لقد فشلتْ هذه المنظّمات حتى في حلّ المشكلات التي تقع بين الأعضاء، وكانوا مِن ناحيتهم يفضّلون الذهابَ إلى الأمم المتّحدة ومجلس الأمن، ويتمسكون بقراراتهما.

وفيما يتعلّق بقضية فلسطين خاصة، فقد وصلت المهزلةُ المنظماتيّة إلى حدّ أنّ منظمة المؤتمر الإسلامي ألغت مصطلحَ الجهاد من بياناتها خوفًا من غضبة البلاد التي تحتلّ أراضينا وتقتلنا صباحَ مساء.

ولقد كانتْ مؤتمرات القمة العربية منذ مؤتمر قمة فاس ١٩٨٢ محطاتٍ للتنازلات العربية عن معظم ثوابتِ القضية الفلسطينية.

تطوّر موقفِ القمم العربية مِن قضية فلسطين

قمّة أنشاص بمصر ٢٧/ ٥/ ١٩٤٦

تقرّرَ فيها:

– رفض تقرير لجنة التحقيق البريطانية– الأمريكية المشتركة؛ التّمسك باستقلال فلسطين، وصيانة عروبتها، ووجوب تشكيل هيئة تمثّل الفلسطينيّين، وتنطقُ باسمهم.

الأولى: القاهرة – ١٣/ ١/ ١٩٦٤م

– تأكيد أنّ مسئولية قضية فلسطين تقعُ على عاتق العرب جميعًا، وهي تمثّل معركة المصير بالنسبة للأمّة العربية، وقد تقرّر إنشاء قيادة عربية موحّدة لحماية المشروعات العربية، وإنشاء كيانِ مُنظمة التحرير، وتنشيط الجهود الدبلوماسية والإعلامية لمشروع فلسطين.

الثانية: الإسكندرية – ٥/ ٩/ ١٩٦٤م

– تمّ تحديد الهدف القومي في تحرير فلسطين مِن الاستعمار الصهيوني، والترحيب بمنظمة التحرير، واعتماد إنشاء جيش التحرير الفلسطيني.

الثالثة: الدار البيضاء – ١٣/ ٩/ ١٩٦٥م

– تأكيد التزام الملوك والرؤساء العرب بميثاق التّضامن، وإقرار الخطة الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين في الأمم المتحدة والمحافل الدولية، ومقاومة محاولات تصفية قضية اللاجئين.

الرابعة: الخرطوم – ١/ ٩/ ١٩٦٧م

– إعلان مبدأ لا صلح.. لا اعتراف.. لا تفاوض مع إسرائيل، والتمسك بحقّ الشعب الفلسطيني في وطنه، وضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان، والاتفاق على توحيد الجهود السياسية على الصعيد الدولي لإزالة العدوان، وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها بعد ٥/ ٦/ ١٩٦٧م.

الخامسة: الرباط – ٦/ ١٢/ ١٩٦٩م

– دعم الثورة الفلسطينيّة بكلّ طاقات الأمة العربية، وقد أدّت الخلافات الحادّة بين القادة المشتركين إلى فشل المؤتمر، فقد قاطعَ جلستَه الختامية العراقُ وسوريا واليمن الجنوبي، ورفضَ المشتركون توقيعَ النَّصّ النهائي الذي قيل إنه كان يعطي الرئيس المصري الأسبق/ جمال عبد الناصر تفويضًا لتنظيم الدفاع العربي في مواجهة (إسرائيل).

السادسة: الجزائر – ٢٦/ ١١/ ١٩٧٣م

– اعتبار المنظمة الممثلَ الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وقد تحفّظ الأردن على هذا القرار.

السابعة: الرباط – ٢٦/ ١٠/ ١٩٧٤م

– الإجماعُ على أنّ منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وتخصيص دعمٍ مالي سنوي قدره ٢٣٥٠ مليون دولار لدول المواجهة ومنظمة التحرير، منها ١٠٠ مليون للأخيرة، وتحديد الهدف المرحلي للأمّة العربية في التزام جميع الدول العربية بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، مع تأكيد حقّ الشعب الفلسطيني في إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية وعدم التدخل في الشئون الداخلية للعمل الفلسطيني.

الثامنة: القاهرة – ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٦م

– عقدت هذه القمة بعد تفاقم الخلافات العربية إثرَ تفرّد مصر بتوقيع اتفاقية فصْلِ القوات الثانية في سيناء عام ١٩٧٥م، وأيّدت القمة قراراتِ اجتماع الرياض السداسي حول الوجود الفلسطيني في لبنان، ودور القوات السورية فيه.

نظرةٌ تقْييميّة:

على ميزان الأسس الخمسة التي اعتبرناها مِن الثوابت التي لا مساومة عليها فيما يتعلّق بقضية فلسطين يمكنُنا الآن أن نضعَ القوى العربية والإسلامية على كفّة هذا الميزان سواء كانت شعوبًا أو حكومات، والأسس الخمسة التي اعتبرناها من الثوابت هي:

١ـ أن فلسطين– تاريخيًّا وقانونيًّا– عربيةٌ إسلامية من النهر إلى البحر.

٢ـ أن فلسطين لها أهميةٌ خاصة للعالمين العربي والإسلامي، والدفاع عنها مسئوليتهما.

٣ـ حقّ المهجّرين في العودة إلى ديارهم شرعي وقانوني، ولا مساومة عليه.

٤ـ حقّ الشهداء والقتلى في القصاص والتعويض.

٥ـ حرمةُ التنازل عن أي جزءٍ من فلسطين دينًا وشرعًا.

ويتبين لنا أنّ كلّ الحكومات العربية منذ عام ١٩٨٢ في مؤتمر فاس بالمغرب قبلتْ وجودَ الكيان الصهيوني على جزءٍ من الأرض الفلسطينية، وسارت منظمةُ التحرير الفلسطيني مع الحكومات، ويعتبر هذا هدمًا للثوابت: الأول والثاني والخامس.

وفيما يتعلّق بالثابت الثالث والرابع، فإنّ المشاريع العربية المعروضة للسلام لا تزال تتعلّق بهما، وتنادي بالعودة والتعويض وبعض المشاريع جعلها بالخيار: إمّا العودة وإمّا التعويض، متناسيًا حقوقَ الشهداء والقتلى تمامًا.

الحكومات تؤمنُ بالنظرية السياسية القائلة (السياسة فنّ الواقع) ولكنّنا نسأل: أليست الحكوماتُ بعجزها عن الاستفادة بمقدّرات الأمة هي التي تسبّبت في وجود هذا الواقع؟!

وأمّا الشعوب العربية والإسلامية، فإنّ بعض المواقف التاريخية تدلّ على أنها لم تقبلْ بهذا الوضع حتى الآن، وفي كلّ شعبٍ من شعوب العالم العربي والإسلامي لا تزال هناك طائفةٌ تتمسّك بالثوابت الخَمسة، وتجاهد تحتَ رايتها بما تملكُ من الوسائل.

ومع أنّ الشعوب العربية والإسلامية مهمّشة الدور السياسي، وتعيش حالةً من التخلّف التنظيمي وضعف الإمكانيات؛ فإنّها لا تزال تمثّل عقبةً في وجه المشروع الصهيوني بعدم رضاها وامتلاكها للوعي التاريخي والعقائدي المتعلّق بالقضية الفلسطينية.

لقد استسلمت الحكوماتُ لسياسةِ فرض الأمر الواقع التي تمارسُها أمريكا والصهيونية العالمية، ولكنّ الشعوب لا تزال تقاوم.

والأملُ كلّه معقود في الله (سبحانه وتعالى)، ثمّ في نهضةٍ شعبية رشيدة تأخذنا بالعلم والإيمان، وتستمرّ في طريقها نحو التغْيير الشامل لكلّ نواحي الحياة حتى تمتلك قوةَ الرّدع التي تجبر العدوَّ الصهيوني على الانسحاب إلى حيث أتى، وتعود فلسطينُ من جديد حرةً طاهرة من النهر إلى البحر.

مواقفُ الحكومات العالمية:

المقصودُ بالحكومات العالمية أي غير العربية أو الإسلامية، والدول التي ساعدت على قيام دولة الصهيونية على أرض فلسطين كثيرةٌ ومتعدّدة، ولكنّ الدول الأوروبية كانت في المقدمة، وأهمّ الدول التي تبنّت المشروع الصهيوني، وقدّمت له الدعم هي على الترتيب: بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا.

الدورُ البريطاني:

بريطانيا هي المجرمُ الأول، والفاعلُ الأساس في جريمة اغتصابِ فلسطين، ولبريطانيا اليدُ الطولي في الكثيرِ من مآسينا العربية والإسلامية، ولكنّ دورها في فلسطين كان شديدَ العداوة والدمويّة بما يجعلنا لا نتردّد في أن نحمّلها المسئولية عن كلّ المآسي التي وقعت في هذه الأرض الطاهرة ولأهلها الطيّبين. وأهمّ ملامح الدور البريطاني هي:

دعمُ فكرة الدولة الصهيونية ١٩٠٧م:

– حزب المحافظين يدعو رئيسَ الوزراء البريطاني لإقامة حاجزٍ بشري بالقرب من قناة السويس؛ يشكّل قوةً عدوّةً لشعوب المنطقة، وصديقة لأوروبا.

احتلالُ فلسطين ١٠/ ١٩١٧م:

– القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي تنتزعُ فلسطين من العثمانيّين، وذلك بمساعدة قوات الثورة العربيّة بقيادة الملك فيصل. فيصل أم عبد الله ملك الأردن؟

وعدُ بلفور ٢/ ١١/ ١٩١٧م:

– وزير الخارجية «بلفور» يصدر وعدَه التاريخي بإنشاءِ وطنٍ قوميّ لليهود في فلسطين.

الانتدابُ الدولي ٩/ ١٩٢٢م:

– مجلس عصبة الأمم يؤيّد الانتداب البريطاني على فلسطين، وهو ما كان قائمًا من قبل بموافقةِ دول الحلفاء.

تنفيذُ وعدِ بلفور ١٩١٧-١٩٤٧م:

– فتحت بريطانيا على مدار ٣٠ عامًا من احتلالها لفلسطين الأبوابَ أمام هجرة اليهودِ إليها، وقدّمت الدعم والحماية اللازمة للمهاجرين.

مشروعُ بيل للتقسيم ١٩٣٧م:

– بفعل انفجار ثورةِ فلسطين الكبرى ١٩٣٦م، شكّلت بريطانيا لجنة بيل التي أوصتْ بتقسيم فلسطين إلى دولتيْن: يهودية وعربية، وإبقاء القدس وحيفا تحتَ إشراف الانتداب البريطاني.

التخلّصُ من المسئولية ٤/ ١٩٤٧م:

– نقلت بريطانيا النزاعَ بين العرب واليهود إلى الأمم المتّحدة بعد تنفيذ وعدها بإنشاء وطنٍ قومي لليهود.

الانسحابُ لصالح إعلانِ دولة (إسرائيل) ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م:

– انسحبت القواتُ البريطانية من فلسطين عند منتصف اللّيل، وفي النهار التالي أعلن المجلسُ الوطني لليهود قيامَ الدولة الإسرائيليّة في تل أبيب.

العدوانُ الثلاثيّ على مصر ١٩٥٦م:

- شنّت بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) عدوانًا مشتركًا على مصر.

استمرارُ التأييد لـ (إسرائيل) ١٩٥٦-١٩٧٣م:

- استمرت بريطانيا التي تراجعت مكانتُها الدولية في تأييد (إسرائيل) سياسيًّا وعسكريًّا.

تأييدُ عمليّة السلام الأمريكية ١٩٧٣-١٩٩٤م:

- تأييد جهودِ السلام الأمريكية في موقفٍ شبه تابعٍ لواشنطن.

تأييدُ عملية السّور الواقي الصهيونية ٢٨ مارس ٢٠٠٢:

- تمشيًا مع السياسة الأمريكية بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١، وتحت مسمّى محاربة الإرهاب قامت الدولةُ الصهيونية بإعادة نشر قواتها في كلّ المناطق الفلسطينية التي كانت قد تركتْها للسلطة الفلسطينية بهدف ملاحقةِ المنفّذين للعمليات الاستشهادية والقبض عليهم، وأطلقوا على العملية مسمّى السور الواقي، ومع كلّ الوحشية الصهيونية فقد أيّدتها بريطانيا بحجّة أنّ الصهاينة يدافعون عن النفس، وهو نفسُ الموقف الأمريكي.

الدّورُ الأمريكي

تبنّت أمريكا المشروعَ الصهيوني بوضوحٍ منذ بدايته في القرن التاسع عشر، وللصهاينة أثرٌ بالغ في الحياة الأمريكية منذ بداياتِ المجتمع الأمريكي، وأصبحتْ أمريكا هي المسئول الأوّل عن بقاء الدولة الصهيونية المحتلّة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم. وأهمّ ملامح الدّور الأمريكي هي:

البعدُ الدّيني وأول جماعة ضغطٍ صهيوني ١٨٨٧م:

- أسّس رجلُ الدّين البروتستانتي «بلاكستون» أولَ جماعةِ ضغطٍ صهيونية لصالح إقامة دولة يهودية في فلسطين انطلاقًا من التبشير الإنجيلي بـ(إسرائيل) ذي التأثير الكبير في السياسة الأمريكية.

الاعترافُ الفوري بـ(إسرائيل) ودعمُها ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م:

- اعترفتْ واشنطن بـ(إسرائيل) بعد دقائق من إعلان قيامِها، وقامت بدعمِها داخلَ مجلس الأمن الدولي.

دعمُ التوسّع الصهيوني ١٩٦٧م:

- قدّمت واشنطن دعمًا عسكريًّا لـ(إسرائيل) بالسلاح والعتاد، ودعمًا سياسيًّا بعرقلةِ إصدار أيّ قرار من مجلس الأمن ينصّ على انسحاب محدّد من كافة الأراضي العربية، واستخدمتْ واشنطن- حتى الآن- حقّ الفيتو لإبطال أكثرَ من ١٠٠ قرار ضدّ (إسرائيل).

الحفاظُ على أمنِ (إسرائيل) وتفوّقها العسكري ١٩٧٣م:

- وهو ما يمثّل استراتيجيةً أمريكية ثابتة في الشرق الأوسط، وقد تجسّد في الجسر الجوي لـ(إسرائيل) خلالَ حرب ١٩٧٣م، والسلاح المتطوّر، وفي تفتيت الجبهة العربية وإخضاعها عبْر عملية السلام، كما قدّمت واشنطن ٨٠ بليون دولار لـ(إسرائيل) خلال العقدَيْن الأخيرين.

تحقيقُ السّلام بين (إسرائيل) والعرب ١٩٧٣ - ١٩٩٤م:

- وذلك بدءًا بجولاتِ كيسنجر المكوكيّة، وانتهاءً بجولات كريستوفر الأخيرة، إذ أدركتْ واشنطن أنّ استمرار الصراع يهدّد مصالحها في الشرق الأوسط وأمن (إسرائيل) كذلك.

دعمُ عمليةٍ السّور الواقي ٢٠٠٢:

- وقفت أمريكا مع الصهاينة في هذه العملية الإجرامية، والتي نشأ عنها قتلُ أكثرَ منْ ألف فلسطيني، وأسْر واعْتقال أكثرَ من ٧ آلاف، وجرح عدّة آلاف آخرين، وأمريكا هي التي أعطتِ الضوءَ الأخضر للسّفاح شارون ليقوم بهذه المذبحة التي تستمرّ منذ خمسة أشهر، ولا تزال مستمرّة، ومع كلّ بشاعة ما حدث في مخيم جنين فقد منعتْ أمريكا مجلسَ الأمن من إصدار إدانةٍ لذلك، وقام الرئيس الأمريكي بتقديم مشروعِ تسوية يقومُ على فرض حكومة عملية للصهاينة على الفلسطينيّين، وتتلقى الصهيونية دعماً غيرَ محدود من الحكومة الأمريكية يصلُ إلى التبنّي الكامل لوجهة النظر الصهيونية في كلّ شيء.

الدّورُ الفرنسي

ساعدت فرنسا على قيام الدولةِ الصهيونية بوصفها دولة استعمارية ومعادية للعالمين العربي والإسلامي، وبرزتْ هذه المساعدة في مواقفَ كثيرةٍ أهمُّها العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ثمّ تبنّي فرنسا الكامل للمشروعِ النووي الصهيوني ردًّا على وقوفِ مصر مع الثورة الجزائرية عام ١٩٦٠، ولا تزالُ فرنسا تتبنّى فكرة تقسيم فلسطين بين العرب وبين المحتلّ الصهيوني.

الموقفُ الرّوسي

ساعدت روسيا المشروعَ الصهيوني مِن خلال اعترافها بالكيان الصهيوني فوْر إعلانه مِن جانب الصهاينة عام ١٩٤٨، وكانت روسيا- وقتَها- دولةً عظمى، كما كانت المساعدة الأعظم للصهيونية هي سماحَ روسيا لأكثر من ٢ مليون يهوديًّا روسيًّا بالهجرة من روسيا إلى فلسطين؛ ليشكّلوا القوةَ الضاربة للكيان الصهيوني في الحرب والإنتاج، ومِن بين هؤلاء أكثرُ من ألفِ عالمٍ متخصّص في مجال الطاقة النووية والأسلحة الذرية.

مِن القيادات الفلسطينيّة المجاهدة



المفتي أمين الحسيني

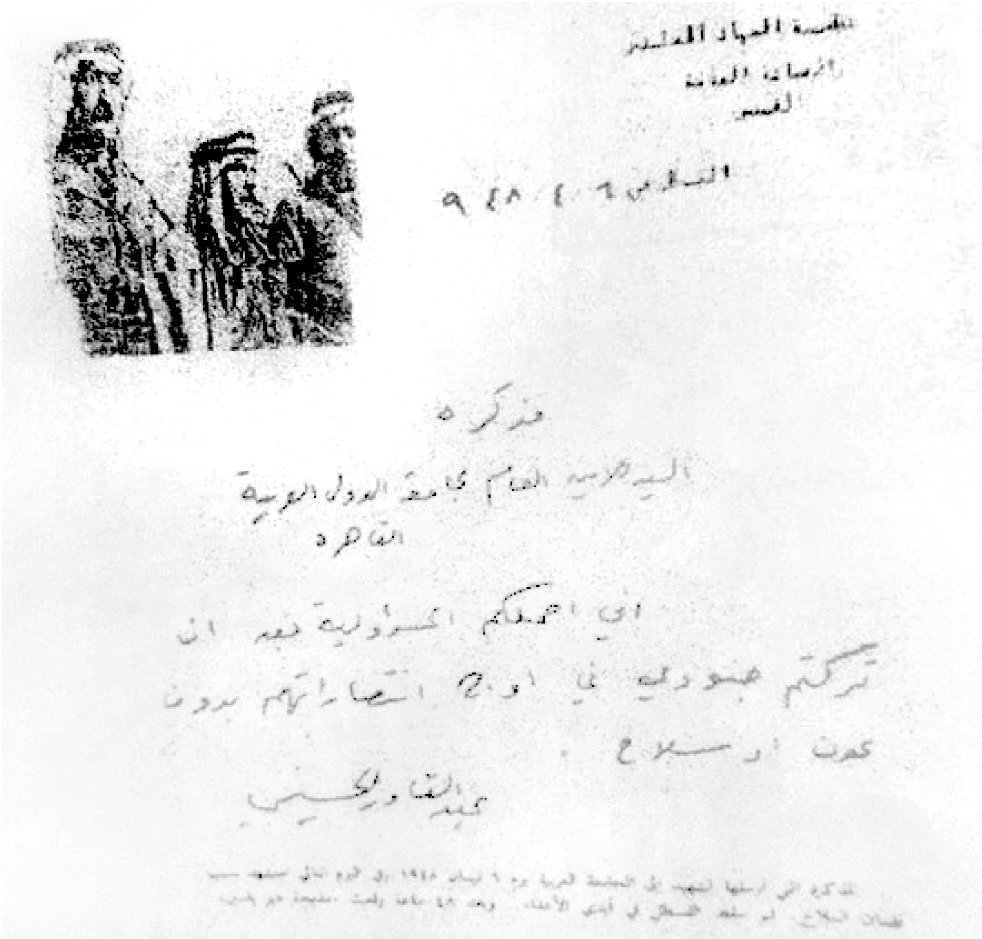


عز الدين القسام



عبدالقادر الحسيني

في ذكرى معركةِ القسطل، واستشهاد القائدِ المجاهد البطل/ عبد القادر الحسيني



منظمة الجهاد المقدس
الرئاسة العامة
القدس

التاريخ ٦ ٤ ٩٤٨

مذكرة

السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية
القاهرة

إني أحملكم المسؤولية بعد أن
تركتم جنودي في أوج انتصاراتهم بدون
عون أو سلاح.

عبد القادر الحسيني

التاريخُ يعيدُ نفسَه



ياسر عرفات



الشيخ أحمد ياسين





رؤساءُ مصرَ الذين تعاملوا مع القضيةِ الفلسطينية، مِن اليمين:

محمد نجيب، وجمال عبد الناصر، وأنور السادات، وحسني مبارك



رؤساءُ أمريكا وبريطانيا

أكثرُ الدولِ الدّاعمة للصهيونية والمعادية للعربِ والمسلمين

البابُ الثّالث

الواجبات

الفصل الأول:

واجباتٌ لماذا؟ وعلى مَن؟!

الفصل الثاني:

المهامُّ العاجلة: ويتناول:

١ـ المحافظة على المكتسبات

٢ـ المعاونات الميدانية

الفصل الثالث:

الاستعدادُ للمعركة الفاصلة

الفصلُ الأوّل

واجباتٌ.. لماذا؟ وعلى مَن؟!

الصهاينةُ المعتدون هُمُ الذين هاجمونا في بلادنا، وفي عقْر دارنا فدمّروا بيوتنا، وأحرقوا زروعنا، وقتلونا كبارًا وصغارًا، واغتصبوا الأرضَ التي بنينا فيها حضارتنا لآلاف السنين.

هذه المظالم الواضحةُ التي وقعت مِن الصهاينة على سكّان فلسطين العرب والمسلمين، وعلى كافّة سكان المنطقة في الدول المجاورة لا بدّ لها من رادع، ولا بدّ لها من مقاومة ، والمقاومةُ لهؤلاء الظالمين شعبةٌ من شعب الإيمان، وأمرٌ من أوامر الله (سبحانه وتعالى): ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥**﴾ (النساء: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤).

هل الحدودُ السياسيّة تمنعُنا من الجهاد؟

وهنا يثورُ سؤالٌ مهمّ للغاية حول مشروعية قتال الصهاينة في فلسطين مِن قبَلِ المسلمين والعرب في البلدان المجاورة لفلسطين.

ولو درسنا التاريخ وقلّبنا صفحاتِه بإمعانٍ؛ فسنجد أنّ الحدود المصنوعة بين بلدان العالم الإسلامي لمْ تكنْ من عمل الشعوب العربية والإسلامية، ولكنّها كانت مِن وضع الأجانب الذين احتلّوا بلادنا فترةً من الزمان، وأرادوا إضعافَ قوة العالم العربي والعالم الإسلامي، فقسّموه إلى دويلات صغيرة في الوقتِ الذي

كانوا يعملون على وحدةِ صفِّهم، فاتّحدوا في أوروبا في إطار الاتحادِ الأوروبي، واتّحدوا في أمريكا الشمالية في إطار الولاياتِ المتحدة الأمريكية.

فلو ذهب مَن يعتدي على نيويورك أو واشنطن اليومَ لقامت الخمسون دولة أو ولاية لمحاربته، ولو اعْتدى أحدٌ على أي دولة أوروبية لقامت كلّ الدول الأوروبية بمحاربته، أمّا في فلسطين وكلّ البلاد العربية والإسلامية فالفرقةُ مفروضةٌ علينا مِن أعدائنا، ولم تكنْ مِن صنع أيدينا، وما يحدثُ في فلسطين مِن عدوانٍ يومي على أهلها والمقدسات التي فيها؛ يحثّنا كلّ يوم أن نعود لرشدنا، ونتصرّف على أنّنا أمةٌ واحدة، ونهُبّ للقيام بواجبِ الدفاع عن بعض جسدنا العربي والإسلامي المعتدَى عليه في فلسطين.

القانونُ الدُّولي في صفّنا

وقد يثور سؤالٌ حول قانونية ذلك الجهاد على أرض فلسطين في ظلّ قوانين دوليّة حاكمة لا تعترف بنا كأمّة، ولكنْ تعترف بنا كدولٍ مستقلّة لها حدود وأعلام وحكومات تخصّها.

وهنا لنا أنْ نتساءل: لماذا توجدُ الأساطيل الأمريكية في مياهنا الإقليمية وعلى الأراضي العربية؟ وكذلك لماذا تتدخّل أمريكا وأوروبا لنصرة الكيان الصهيوني في مواجهة الفلسطينيّين؟ أليسَ مِن حقّنا أن نتدخّل نحن كذلك لنصرة إخواننا وبني جلدتنا المعتدَى عليهم!؟

والجوابُ الواضح أنّ المعاملة بالمثل هي المنطقُ المقبول، فكما يتدخّل الغرب الأوروبي والأمريكي لنصرةِ الصهيونية؛ فعلى المشْرق العربي والإسلامي أن يتدخّل لنصرة أهل فلسطين، وردّ الاعتداء الواقع عليهم حتى تتحرّر بلادُهم.

وماذا عنِ المنظّمات الدولية، وخاصة الأمم المتحدة؟

وحتى هذه المنظمات رغمَ سيطرة القوى الغربية الأوروبية والأمريكية عليها، فإنّ مُجمل ما صدرَ عنها مِن قرارات يطالب بالآتي:

١ـ وقف القتال عند خط الهدنة في عام ١٩٤٨ .

٢ـ التفاوض بين الطرفين الفلسطيني العربي المسلم والصهيوني على إنهاء الخلاف.

٣ـ حلّ الدولتين وهو الحدّ الأدنى المرحلي.

ومِن المعلوم أنّ الصهاينة لم ينصاعوا لأي قراراتٍ للأمم المتحدة، ولم ينفّذوا منها شيئًا على مدى السبعين عامًا الماضية.

ولذلك، فالجهاد لنصرةِ أهل فلسطين، وردّ العدوان الواقع على أرضها؛ له أسبابٌ موضوعية كثيرة، منها:

١ـ لأنّ الله أمرنا بردّ الظلم، والوقوف في وجه الظالم.

٢ـ لأننا نؤمن أنّنا أمةٌ واحدة، والحدود بيننا مُصطَنعة ومفروضة علينا بغير إرادتنا.

٣ـ لأنّ بدهيّة المعاملة بالمثل توجبُ علينا الوقوفَ مع الشعب الفلسطيني كما وقفَ الغرب مع الصهيونية.

٤ـ لأنّ القانون الدولي ومنظماته الغربية توجبُ التدخّلَ ضد المعتدي لتحقيق السّلام والأمن الدوليين.

٥. لأنّ أضرارًا بالغة تقع علينا كدولِ جوار لفلسطين من وجود الكيان الصهيوني المحتلّ في هذه الأرض وتلك المنطقة، أقلّها قطعُ أوصال العالم العربي، وفصل أفريقيا عن آسيا، وتعطيل طرق التجارة والحج لبيت الله الحرام والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وشنّ الحرب علينا مرّات عديدة شمالًا وجنوبًا. ونشر المخدّرات والإسلحة في المنطقة ونشر الرذيلة وتجارة الجنس وتجارة الأعضاء البشرية، وكلّ ما هو مخالفٌ للقانون والأخلاق عمدًا مع سبْق الإصرار والترصّد بهدف إضعافنا والسيطرة علينا شعوبًا ومقدّرات طبيعية وثروات.

واجباتٌ.. على مَن؟

لكلّ ما تقدّم مِن أسباب وغيره؛ فإنّ مواجهة الكيان الصهيوني ونصرة أهل فلسطين، والوقوف معهم، والجهادَ لرفع المعاناة عنهم؛ واجبٌ علينا جميعًا، أفرادًا وأسرًا ومجتمعاتٍ وحكومات.

فعَلَى الأفراد:

أنْ يتسلّحوا بالوعي، ونشر هذا الوعي بكلّ وسيلة ممكنة، والاستعداد للمواجهة اليومية مع الأعداء بالمحافظة على الصحّة البدنية، وامتلاك الخبرات التي تجعلنا قادرين على تحقيق الحياة الفاضلة لأنفسنا ولمَن حولنا، وعلى كلّ فردٍ أن ينخرطَ في عملٍ من أجل فلسطين حسبَ إمكاناته فيجمع لهم التبرعات، ويدعو لهم بالنصر، ويلتمسَ كلّ بابٍ يتمكّن به من الانضمام لصفوفهم المجاهدة.

وعلى الأسَرِ:

أنْ تربي أولادَها على حبّ الجهاد والاستشهاد، وأن تغرس في نفوسهم الوعيَ بتاريخ فلسطين، وتحافظَ على الهوية العربية والإسلامية لكلّ أفرادها، وتبذلَ كلّ

جهدٍ ممكن لمقاومة الغزو الثقافي الذي يدمّر أصول حضارتنا، ويجعلنا قطيعًا مِن البشر القابلين لإدارةٍ أجنبية عنّا في ثقافتها وتوجهاتها ونظرتها للحياة ورسالة الإنسان فيها. والأسرةُ مُطالبَة بالادخار مِن أجل المعركة، والتعاون بين الأزواج على أنْ يقدّموا لها المال والرجال، وأن تبقى فلسطين جزءًا من الهمّ اليومي، وشاغلًا للعقول والأفكار حتى يتحقّق لها النصرُ والتحرير.

وعلى المُجْتمع:

أنْ يوجدَ في حياته منظمات خادمة لقضية التحرير وعاملة على حشدِ إمكاناتِ الشعب لتحقيق حلم التحرير (لجنة تحرير فلسطين في كلّ حي وفي كلّ نقابة، وفي كلّ جامعة، وفي كلّ مدرسة، وفي كلّ مؤسّسة) فالمنظماتُ الشعبية اليوم لها دورٌ رائد في القضايا الدولية بما تقدّمه من دعم معنويّ ومادي يؤثّر على سير المعارك، ويدعمُ المقاتلين بقوةٍ إعلامية ومعنوية هائلة.

وأمّا الحكومات، فعليها الواجبُ الأعظمُ في تحرير فلسطين:

- فالحكوماتُ هي التي تمتلكُ الجيوشَ البرية والبحرية والجوية، وحركةُ الجيوش نحو فلسطين تبدأ بقرارٍ من الحكومات.
- والحكوماتُ هي التي تمتلكُ الأجهزة التنفيذية التي يمكنها أن تسعى لتحقيق التحرير من خلال التوعيةِ بالإعلامِ والتعليم، والاستعداد بالقوة الاقتصادية مِن خلال الحفاظ على المال العام، ودفعِ عجلة الإنتاج، والإقلال من البزخ والترف.

والحكوماتُ هي المسئولة عن التنمية العلميّة التكنولوجية من خلال توجيه البحثِ العلمي لخدمة المعركة، وإنتاج الأسلحة العصرية، وامتلاك القوة الرادعة النوويّة أو غيرها .

- الحكوماتُ لديها إمكانياتٌ كثيرة، لو استخدمتْها لتحقيق أملِ التحرير؛ لاسترحْنا جميعًا مِن هذا الاحتلال البغيض الجاسم على صدورنا طيلةَ قرنٍ كامل من الزمان.

الفصلُ الثّاني

مهامُّ التّحرير العاجِلة

إنجازُ مهمّة التحرير يتطلّب خططًا واستراتيجياتٍ طويلة الأجل، لنكون في نهايتها قادرينَ على خوض معركة التحرير الحاسمة، وتحطيمِ قوة العدو، والتأكّدِ من عدم قدرته على معاودة احتلال أيّ جزءٍ من فلسطين مهما كانت معاوناتُ الغرب الأوروبي والأمريكي له.

وحتى يتحقّق لنا هذا الاستعداد الكامل، والتأهّب التام لخوض معركة التحرير الحاسمة؛ فإنّ هناك مهامّ عاجلةً ينبغي أن نؤدّيها فورًا، وبلا أيّ تأخير، والتأخيرُ في هذه المهمّات العاجلة يترتّب عليه إعاقة حربِ التحرير النهائية، وإطالة فترة الاحتلال، ومِن هذه المهامّ العاجلة:

١ـ المحافظةُ على المكتَسَبات:

نقصدُ بالمكتَسبات التي تحقّقت في القرن الماضي، وفي مقدّمة ذلك:

أـ التّمثيل الديمقراطي للشعب الفلسطيني:

فكما أوضَحنا في أبوابٍ سابقة أنه مِن أضعفِ النّقاط في تاريخ فلسطين المعاصر هو غيابُ الممثّل الشرعي لفلسطين بالمعنى السياسيّ المعاصر فوْر هزيمة الدولة العثمانية وسقوط الخلافة الإسلامية التي كانت تعتبر فلسطينَ ولايةً تابعة لها مباشرة.

ولقد نجحَ الشعب الفلسطيني في سدّ هذه الثغرة، وكافح ليكونَ له تمثيلٌ شرعي لدى المنظمات والهيئات الدولية وكافّة دول العالم، وهو منظمة التحرير الفلسطينيّة.

واستطاعت المنظمة أنْ تتحمّل تبعات القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وعلى موائدِ المفاوضات حتى تمكّنت من نقل الصراع من عواصم العالم العربي الأخرى كالأردن ومصر وسوريا ولبنان وتونس إلى داخل الأرض الفلسطينية في غزة وأريحا ورام الله وجنين والقدس والخليل.

ومهما كان موقفُنا مِن منظمة التحرير، واعتراضُنا على سيْرها في فلك الحكومات العربية الأخرى من حيث قبولها بالتفاوضِ على جزءٍ من فلسطين، وقبولها بوجود المحتلّ الصهيوني على جزءٍ آخر من الأرض العربية، فإنّ المعنى المطلوب أن نحافظ عليه هو وجودُ ممثّل شرعي للشعب الفلسطيني.

ويستطيع الشعبُ الفلسطيني أن يفرضَ إرادته، ويغيّر قيادته، ويتمسّك بالديمقراطية كآليةٍ صحيحة لنصبِ هذا المسئول الممثّل للشعب الفلسطيني.

كما أنّ ديمقراطية اختيار ممثّلٍ لفلسطين هي الضمانُ لتمثيل كافّة القوى الفلسطينية حسبَ أوزانها السياسيّة الحقيقيّة بين أبناء الشعب الفلسطيني، وإذا حاول أيّ طرف مِن الأطراف الفلسطينيّة فرضَ قراره ووجهةِ نظره على بقية إخوانه في مسيرة التحرير؛ فإنّه بذلك يدمّر الوجود الفلسطيني، ويضع نفسه تلقائيًّا في صفّ الأعداء.

ويتمنى كلّ مخلِصٍ لله عاملٍ على تحرير أرض فلسطين من رجس الصهيونية؛ أنْ تكونَ المنظمات الفلسطينية جميعًها على مستوى المسئولية في هذه المرحلة من مراحل التحرير، وتعلو فوق أنانيتها ورغباتها الشخصية، وتقدم المصلحة العليا لمهمّة التحرير فوق كلّ مصلحة شخصية أو حزبية أو منظماتيّة.

إنني أعلمُ، بل وألتقي بالكثيرين المعْترضين على مسيرة مُنظمة التحرير، خاصّة في الآونةِ الأخيرة، ولقد تضامنتُ معهم في ذلك اعتراضًا على قبول المنظمة بوجود الصهيونية على أيّ جزءٍ من أرض فلسطين، ولو كان ذلك تكتيكيًّا، ومع ذلك فإنني أرجو مِن هؤلاء أن يزنوا الأمورَ بميزان الله العادل في تقْييم مسيرة الأفراد والمنظمة؛ فيضعون الحسناتِ في كفّة ويضعون السيّئات في كفة أخرى، وإني لأرجو أنْ ترجح كفّة الحسنات على السيئات.

ومع ذلك، فالأمر فيه خلافٌ على الأشخاص والمنظمات، وهو خلاف مَقبول، أمّا المرفوض فهو أنْ تبقى فلسطين بلا ممثّل مُنتخب من الشعب الفلسطيني بطريقة ديمقراطية، المرفوض أن تظلّ فلسطين لعبةً في يدِ الأنظمة الأخرى عربيّة كانت أمْ عالمية، المرفوضُ أن يُتَّخذ القرارُ بشأن فلسطين ممّن لا يرتبطون بها شعبًا ولا أرضًا ولا تاريخًا، ولقد عهدْنا قرارات هؤلاء على مدارِ التاريخ، وكانت في الغالب ضدّ مصلحة فلسطين وشعبها.

ب- الوحدةُ الفلسطينيّة:

مِن المكتَسبات التي ألمحُها على الساحة الفلسطينية طيلةَ القرن الماضي أنّ المحنة جمعتِ الشعب الفلسطيني على قلبِ رجلٍ واحد. لقد تعدّدت المنظماتُ الفلسطينيّة في توجّهاتها وانتماءاتها، ولكنّ القاسم المشترك بين تلك المنظّمات جميعها أنّها قدّمت حقّ المعركة على كلّ الحقوق الخاصة، وبفضل الله وجدْنا أبناءَ فلسطين في كلّ وقت يدًا واحدة في مواجهة المحتلّ، وحافظ كلّ فصيلٍ على حقّ الأخوة وصانَ أمانتَها، وكم أسعدَنا وهزّنا من الأعماق صوتُ الشيخ أحمد ياسين وهو يؤذّن في العالم أن قيادتنا واحدة وممثلنا واحد، هو ياسر عرفات، مع أنّ الشيخ أحمد ياسين يختلفُ

مع الرئيس عرفات في الكثير، نعم.. هناك خلافات، ولكنّ مطلبَ وحدة الصف الفلسطيني يعتبر أهمّ مِن كلّ الأهداف المرحليّة، وهو الكفيل بتحقيق الأهداف، ومنها تصحيحُ مسيرة المنظمة نفسها. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الصهيونية المحتلّة قبلتِ التفاوض مع المنظمة مراهنةً على أن المنظمة سوف تنوبُ عن الصهيونية في كبْح جِماح الكفاح الفلسطيني المسلّح، وعلى رأسها منظمة حماس ومنظمة الجهاد، ولكنّ المنظمة استطاعت حتى الآن أنْ تسير على الشّوك، وتكفّ يدَها عن أيّ مواجهة مع المناضلين الفلسطينيّين في حماس والجهاد.

ورغمَ كلّ الضغوط الأمريكية والصهيونية والأوروبية، فإنّ الإجراءات التي استخدمتْها المنظّمة في مواجهة حماس والجهاد كانت مِن النوع السياسي والإعلامي، ولم تكنْ تهدُف للإعاقة أو المواجهة أو الاستئصال.

نحن نتمنّى مِن كلّ الأطراف الفلسطينية أن تستوعبَ الظروف العالمية التي تمرّ بها قضية فلسطين الآن، وأن يتّسع صدر الجميع للجميع، وأنْ نفوت على عدونا رهانَه الأثيم بوقوع قتالٍ فلسطيني- فلسطيني داخلي، وعلينا أن نوجّه رصاصنا ناحيةَ العدو الصهيوني المشترك لنحافظ معًا على وحدتنا الفلسطينية، تلك الوحدة التي كانت في الفترة الماضية قلعتَنا التي نحتمي بها من الذّوبان والانقراض، وننطلق مِن خلالها لنوقع بعدونا ضرباتٍ موجعة، وتحقّق في مواجهته بطولات تاريخية.

جـ - خيارُ المقاومة:

ومِن المكتسبات التي تحقّقت في الأرض الفلسطينية كذلك أنّ المقاومة المسلّحة للعدو هي أفضلُ الوسائل في تحقيق مهمّة التحرير.

لقد تأكّد للكافّة أنّ العمليات القتالية والجهادية والاستشهادية هي اللّغة الفصحى التي فهمَها العدو وتراجعَ أمام قوتها.

ولقد تأكّد للكافة أنّ الصهاينة قبلوا التفاوضَ مع عرفات ليتّقوا به نارَ الانتفاضة الأولى، وأنّهم اليوم يبنون سورًا خرسانيًّا ليدفنوا فيه حلمَهم بدولةٍ من النيل إلى الفرات نتيجةً للعمليات الاستشهادية. والعملياتُ الاستشهادية والمقاومة المسلحة بكلّ أشكالها هي التي جعلتِ السؤال المطروحَ اليوم على موائد العدو: هلْ للصهيونية مستقبلٌ في فلسطين؟ ومِن الصهاينة مَن أجاب قائلا: لو استمرّت العمليات الاستشهادية بنفس درجة القوّة التي هي عليها الآن؛ سينتهي الحلمُ الصهيوني قبل حلول عام ٢٠٢٥ تمامًا.

والذين يقولون إنّ الحرب لا تحلّ المشكلات يفتقدون الدليلَ على صحة قولهم، وعلى عكسِ ما يقول هؤلاء فإنّ التاريخ يشهدُ أنّ أوروبا أنهت مشكلةَ النازية العنصرية بالحربِ الشعبية والرسمية معًا، والمسلمون أنْهوا مشكلة الاحتلال في معظم بلدانِ العالمين العربي والإسلامي بالحربِ والنضال من أجلِ التحرير. والمصريون أنفسُهم أنهوا احتلالَ سيناء بالحرب وحدها، وما كان العدوّ لينسحب منها دونَ قتال مريرٍ في حرب الاستنزاف، ثمّ في حرب رمضان– أكتوبر، وفي البوسنة والهرسك استطاعَ المسلمون مقاومةَ حرب الإبادة التي شنّتها أوروبا عليهم بالحربِ الشعبية الضّروس، وبتدخّل قوَى دوليّة عسكرية ضدّ خصومهم. والتاريخُ القديم كذلك خيرُ شاهد، الصليبيّون لم يرحلوا عن فلسطين بغيْر الحرب، والتّتار لم يرحلوا بغير الحرب، والحربُ هي الحلّ الوحيد أمام غطرسة المحتلّ وإجرامِه وتجبّره.

إنّ خيار المقاومة خيارٌ أساس وضروري، ولا يتعارضُ هذا مع وجود المفاوضات، على أنْ تكون حول ترتيباتِ إعادة الحقوق التي نحارب من أجلها، وليس لهضم تلك الحقوق أو التّنازل عنها، والتفاوض مرغوبٌ في إطارِ الثّوابت التي ألقينا الَضوءَ عليها في الجزءِ الأول من هذا الكتاب، والضمانُ الوحيد لنجاح المفاوضات هو استمرارُ المقاومة المسلحة. ولا يفتّ في عضُدِ المجاهدين اتهامهم بالإرهاب أو التّطرف، فلو قال العدوّ غير ذلك لتعجّبنا لقوله.

والقائلون بأنّ الحرب تزرع الكراهية لا غبارَ على كلامهم، ولكنّ القيمة العليا التي نحارب مِن أجلها ليست الحبّ المغشوش، وإنما العدل وردّ الظلم، ومن كرهَ العدلَ والعدالة فلا حاجةَ لنا في حبّه، والأممُ العِظام تهتمّ بقضية العدل قبل قضية الحبّ والكراهية، لقوله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة:٨)، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر)، والصهاينة أهل فحشاء وأهل منكر وأهل بغي، والذين يتصدون لهم أهل عدل وأهل إحسان وأهل رحمة وصلة، مهما وصفهم خصومهم بالإرهاب.

ثانيًا: المُعاونات الميدانيّة:

تحتاجُ المكتسبات الثلاثُ وهي: ديمقراطية القيادة، ووحدة الصف الفلسطيني، وخيار المقاومة؛ إلى دعمٍ عربي وإسلامي مستمرّ، وهذا الدعم وحدَه هو الكفيلُ بالمحافظة على هذه المكتسبات وتنميتها، والانطلاق منها إلى مرحلةِ التحرير الشامل لكلّ فلسطين.

وقبل أن نطرحَ تصوّرنا حول المعاونات الواجبة علينا جميعًا: شعوبًا وحكومات؛ ننبّه لعدة نقاط مهمّة تتّصل بالموضوع، وهي:

أولًا: لقد آنَ الأوان لأمتنا العربية والإسلامية أن تعتمدَ على الله، ثمّ على نفسها وقوّتها الذاتية في معركتها مع العدوّ الصهيوني، ونصرة الحقّ الذي نؤمن به جميعًا.

ثانيًا: إنّ المعركة على الأرض الفلسطينية هي معركتُنا جميعًا كعربٍ ومسلمين، والشعبُ الفلسطيني هو طليعتُنا المقاتلة في ميدان المعركة، وعلينا أنْ نحمي ظهرَه، وأنْ نمدّه بما يمكّنُه من هزيمة خصمِنا المشترك وعدونا القومي والتاريخي، وعلينا أن نعي في هذا المجال:

١ـ أنّ الأمن القومي العربي والإسلامي كلّه يظلّ مهدَّدًا طالما بقيت الصهيونيةُ محتلّةً لفلسطين.

٢ـ أنّ المقدسات الموجودة على التراب الفلسطيني تخصّ الأمةَ العربية والإسلامية جميعها.

٣ـ أنّ تحميل الشعب الفلسطيني المسئولية وحدَه يعدّ ظلمًا صارخًا لهذا الشعب؛ فالمعركة عالميّة في مواجهة الأمّة العربية والإسلامية بأسرها، فكيف نحمّلُ شعبًا واحدًا هذا العبْءَ الثقيل؟

ثالثًا: إنّ المعاونات التي نطالبُ بتقديمها لشعبنا الفلسطيني اليومَ تتّسق تمامًا مع كلّ القوانين الدولية والعرف الدولي وقرارات الأمم المتحدة وكافة المنظمات الإقليمية الأخرى وميثاق جامعة الدول العربية، وكذلك دساتير بلادنا العربية والإسلامية.

رابعًا: إنّ الجهاد الفلسطيني، الذي نعمل على دعمِه ومعاونته يشملُ كافة المهتمّين بالشأن الفلسطيني والعاملين على استرجاع الحقّ العربي الأصيل في الأراضي الفلسطينية الكاملة.

المعاوناتُ التي نراها واجبةً على الأمّة في هذه المرحلة:

أولًا: المُعاونات الإيمانية: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾.

١ـ أنْ نتوجّه بعملنا كلّه لله، والتخلّي تمامًا عن كلّ ما يغضبُ الله في حياتنا: أفرادًا، وأسرًا، وشعوبًا، وحكومات؛ حتى نكون أهلًا لعون الله وتوفيقه فيما ننْويه مِن عملٍ يعتبر ذروة الإسلام، وهو الجهادُ في سبيل الله لنصرة المظلومين في أرض فلسطين.

٢ـ نجتهدَ ما اسْتطعنا في الدّعاء لهم بالنصر والثبات، ونختار لذلك أفضلَ الأوقات.

٣ـ الدعوة لنشاطاتٍ روحية بهدف استجلابِ نصر الله لأهل فلسطين: كالصلاة، والصيام، والصدقة.

٤ .الصلوات الجماعية على أرواحِ الشهداء في المساجدِ والجامعاتِ والمدارس.

٥ـ اعتبار موضوع الحثّ على الجهاد والمقاومة موضوعًا دائمًا في كافّة خطب الجمعة، وما يقدّم في المساجد مِن دروس.

ثانيًا: المُعاونات الإغاثيّة:

تشملُ أعمالُ الإغاثة الإنسانية كافةَ ما يتّصل بتوفير الطعام والدواء والإيواء للمجاهدين والمواطنين وأسرهم بأرضِ العمليات الجهادية، وهي الآن كلّ فلسطين، ومِن ذلك:

١ .تشكيل لجنةِ تحرير فلسطين بكافّة النقابات والمؤسسات والمدارس والجامعات للقيام بالواجبات الإغاثية.

٢ـ جمع التبرّعات المالية والعينيّة المناسبة تحت مظلّة قانونية حسب طبيعة كلّ موقع، وضمان سلامةِ السير بعملية الجمْع باتخاذ كافّة الضمانات القانونية التي تضمنُ وصولَ الأموال إلى فلسطين.

٣ـ نشر أرقام الحسابات الخاصة بدعْم فلسطين في كلّ مكان.

٤ـ تشكيل فرقِ إغاثةٍ لمعاونة الهلال الأحمر أو الصليب الأحمر، مع تدريبِها على كافّة مجالات الإغاثة والإسعافات، والتنسيق مع الجهات المعنيّة في ذلك.

٥ـ تدريب المواطنين على أساليب مقاومةِ الحصار وأعمال التخريب الصهيونية مِن خلال:

١ـ التدريب على الاستفادة بالماء الأرضيّ ودقّ الأنابيب لاستخراجها.

٢ـ التدريب على استخدام كلّ المسطحاتِ المتاحة كمزارع للخضر، ومدّهم بالبذور.

٣ـ التدريب على استخدامات البلاستيك الشفّاف في أعمال الصّوَب والإعاشة والتدفئة، ومدّهم بالكميّات الكافية.

ثالثًا: المُعاونات الإعلاميّة والثقافية:

١ـ التعريفُ بالقضية الفلسطينية والصّراع العربي الصهيوني، وتطوّر هذا الصراع مِن الناحية التاريخية، مِن خلال:

أ- محاضرات بالجامعات والمدارس لعموم الطلاب.

ب- ندوات بالنقابات لعموم الأعضاء.

ج- دراسات ومقالات بالصحف.

د- أقراص وفلاشات تخدم القضية.

هـ- إصدار كتب وخرائط لفلسطين.

٢ـ رفع علم فلسطين في كلّ موقع، ووضع كلّ ما يذكّر بالقضية من الملصَقات الحائطية.

٣ـ عمل معارض ومسابقات حول الفنون والأدبيات المتعلقة بالشأن الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية.

٤ـ إقامة محاكماتٍ قانونية لمجرمي الحربِ الصهاينة، وفي مقدّمتهم رؤساء أمريكا .

رابعًا: المُعاونات السياسيّة:

ويشملُ ذلك:

١ـ استمرارَ المطالبة بقطع كافّة العلاقات مع العدو الصهيوني، وطردَ سفيره، وإغلاقَ سفارته من كافة البلاد، وفي مقدمتها مصر والأردن، وإعادةَ النظر في اتفاقية الاسْتسلام المسمّاة بكامب ديفيد.

٢ـ مخاطبةَ كافّة المنظّمات الدولية والإقليمية بوجهةِ نظرنا حول القضية الفلسطينية، ومطالبتها بأخذِ موقفٍ واضحٍ لمناصرة الحقّ الفلسطيني، وفي مقدّمتها الأمم

المتحدة وجمعيتها العمومية ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي والمنظمات المهنية المناظرة، وكافّة المنظمات الأخرى.

٣ـ إرسالَ جماعات تمثّلنا لكافّة السفارات والمكاتب الدبلوماسية في مصر لشرح وجهةِ نظرنا تجاه الحقّ الفلسطيني، ومطالبتها بنقلِ ذلك إلى حكوماتها.

٤ـ استمرارَ مخاطبةِ الحكومات العربية والإسلامية لتتّخذ موقفًا أكثر إيجابية في دعم الجهاد الفلسطيني، وحثّها على إحداث مصالحة داخلية كاملةٍ تدعم الوحدةَ الوطنية، والعملَ على تنقية الأجْواء العربية حتى تتوجّه كافّة طاقات الأمة لمواجهة عدوّها الخارجي، ومَن يقف وراءه.

٥ـ إصدارَ كتابٍ أسود للدّول المتعاونة مع الصهيونية، وكتابٍ أبيض للدّول التي تقرّ بالحقّ العربي الإسلامي في فلسطين، وتدعمُ النّضال الفلسطيني.

خامسًا: المُعاونات الفنيّة:

تستهدفُ هذه المعاونات وقفَ نزيف الدّماء الفلسطينية الناشئة عن انفراد جيشِ الاحتلال بعتادِه وأسلحته بالمدنيّين مِن أبناء شعبنا الفلسطيني، وتشملُ هذه المعاوناتُ التدريبَ والتّسليح والإمدادَ والتموين العسكري، وفْقَ الأساليب المتعارَف عليها لدى أهلِ الخبرة في هذا المجال.

سادسًا: مُعاونات تستهدفُ إضعافَ قوّة العدو الصهيوني، وإعاقةَ خطّته الإجرامية، ويشمل ذلك:

١ـ المقاطعةَ الاقتصادية الشاملة للعدو الصهيوني ومَن يعاونه مِن الدول، وفي مقدّمتها أمريكا، وتنشيط التجارة البينيّة بين البلاد العربية والإسلامية والاكتفاء بها.

٢ـ قطعَ الإمداداتِ البترولية فورًا عن الصهاينة، وتفعيلَ ثرواتنا البترولية لخدمة القضية الفلسطينية، والضغطَ على أي دولة يثبت تورّطها في إعانة المحتلّ الصهيوني، ومناشدةَ شركات البترول المستفيدةِ بالبترول العربي والإسلامي أنْ تستخدم نفوذَها لدى حكوماتها لمناصرة الحقّ العربي، ودعمِ مقاومته المشروعة.

٣ـ استخدامَ الأرصدةِ العربية والإسلامية في البنوك لتقوية الاقتصاد العربي الإسلامي، وتحقيقِ الكفاية الاقتصادية لشعوبنا.

ونسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الرّشد والصواب، وأن يكلّل جهودنا بالنجاح، وأن يوفّقنا جميعًا لنكون مشاركينَ بالقول والفعل في نصرة الحقّ، وردّ الظلم، ودحْر الغاصب المحتلّ، اللّهم آمين.

الفصلُ الثّالث

الاستعدادُ للمعْركة الفاصِلة

- مِن الشواهد التاريخيّة الثابتة أنّ المعارك التاريخيّة الفاصلة التي أنهت وجودَ المحتلّين، وكسرت شوكتَهم سبقها إعدادٌ طويل وتخطيط محْكَم.
- هذا التخطيطُ والإعداد يُبنَى على دراسةٍ دقيقة لنقاط القوة والضعف في الأمة، وكذلك نقاطِ القوة والضعف عند خصومها.

ويعتبر العدوّ الصهيوني المحتلّ لفلسطين جسماً غريبًا، يعيش بالغصب في بلادنا العربية والإسلامية، ويتّصف هذا العدو بكلّ ما يتّصف به الغرب الصليبي الأوروبي الأمريكي.

فالأوربيّون والأمريكيّون عنصريّون يكرهون غيرَهم من الأجناس، وكم تقاتلوا بدافع العنصرية، حتى أفنى بعضُهم بعضًا، والصهاينةُ كذلك عنصريّون متطرّفون في العنصرية، بل يروْنَ أنفسَهم الجنسَ الوحيد المستحقّ للسيادة والحياة دونَ غيرهم.

والصهاينة في فلسطين يمثّلون نقطةً متقدّمة علميًّا وتكنولوجيًّا في وسط العالمين العربي والإسلامي المحرومِ مِن العلم والتكنولوجيا رغمَ وفرة موارده، وكثرةِ ثرواته، وحسْنِ موقعه.

والصهاينة في فلسطين- رغمَ عنصريّتهم- فهُمْ فيما بينهم أكثرُ ديمقراطية وشورى من عالمنا العربي والإسلامي الذي يتميّز بالديكتاتورية والحكم الشمولي، وتزوير إرادة الشعوب، وعدم الشّفافية في التعاملات السياسية والاقتصادية بوجهٍ عام.

والغرب برُمّته يسعى للوحْدة، ويسارع في هدْم كلّ الحواجز بين شعوبِه ودولِه، ويعتبر ذلك مِن أهمّ مصادر قوّته، ونحن ما زلنا نتصارعُ على الحدود، وبين كلّ دولةٍ وجارتها مشكلةٌ حدودية وصراعٌ قبلي وعرقي، وهناك مَن يسعى في بقاءِ هذا الوضع، ويعيشُ على استمراره وتجذّره في أرجاء العالمين العربي والإسلامي.

ومِن هنا، بوسعنا أنْ نتبيّن ملامح خطةٍ استراتيجية طويلة الأجل تعدّنا إعدادًا جيدًا لخوض معركة التحرير الفاصلة مع عدوّنا وإنهاء احتلاله للأرض العربية في فلسطين، وإنهاءِ سيطرته علينا اقتصاديًّا وتكنولوجيًّا، وتقومُ هذه الاستراتيجية على العناصر الأربعة التالية:

١ـ التنمية الشاملة:

فالتبعيةُ الاقتصادية والتكنولوجية للدول المعادية للحقّ العربي في فلسطين تعتبرُ وسيلةَ ضغطٍ شديد على كافّة الشعوب العربية والإسلامية وأنظمة الحكم فيها لكي تتنازل عنْ هذا الحقّ.

ولذلك فإنّ القيادات المختارة ديمقراطيًّا سوف يكون مِن أوّل واجباتها إعدادُ الأمة لمعركة التحرير، وتحرير الأمة اقتصاديًّا، والاعتماد على القدرات الذاتية والثروات الوطنية في إحداث تنميةٍ شاملة في كلّ جوانب المجتمع العربي والإسلامي، بما في ذلك التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية.

هذه التنمية التي تجعلنا لا نستوردُ رغيفًا مِن بلاد تُعادينا، وتحتلّ أراضينا وتقتطعُ مِن إرادتنا الوطنية لصالح العدو الصهيوني المحتلّ.

ولسوف تمكّننا هذه التنمية مِن الاستفادة بكلّ مُقدّراتنا ومواردنا، وتعظيم دخلِها من الموقع الفريد إلى المخزونِ البترولي الهائل إلى العمْق الحضاري والتاريخي.

نحن أمّةٌ متميّزة في الكثير من الجوانب، ولكنّ غياب الإدارة الديمقراطية هو الذي يعوق التقدّم في مجال التنمية، ويجعل الشعوبَ ذاتَها تعيش في حالةٍ من الإحباط والكآبة التي تعيقها عن العمل والإنتاج والإبداع.

٢. الاستقرارُ السياسي:

العالمُ العربي والإسلامي يعيش حالةً من القلق السياسي الناشئ عن وجود صراعٍ داخلي بين معظم الشعوب وحكوماتها وبين قطاعات الشعب بعضه وبعضٍ لأسبابٍ عِرقية وخلافات مذهبيّة، وهذا الصراع ناشئٌ عن تعطل المسيرة الديمقراطية، وغياب التعدّدية السياسية، وانسدادِ القنوات الطبيعية للتعبير عن الرأي، وهذه الحالةُ البائسة ناشئةٌ عن ضيق الأفق وعنْجَهيّة التفكير عند قلّة من المواطنين.

ومِن ناحية أخرى، فإنّ الشعوب قد نسيت حقوقَها الديمقراطية تقريبًا حتى إنّ الذين يتوجّهون لصناديق الاقتراع يعَدّون على الأصابع، وفي هذا المقام يقول أحدُ كبار المزوّرين: إنّ الأمة بعدم حُضورها للتصويت قد أعطتْ توكيلًا للحكومة القائمة أنْ تعلن النتيجة كما تريد. وهو قولٌ مُضحك حقًّا، ولكنْ مِن باب «شرُّ البليّة ما يُضحِك».

هذه هي مأساةُ العالم الثالث في باب الديمقراطية، وهذه نقطةُ الضعف الأساسية في حياتنا، وهي الثغرةُ التي أتاحت للصهاينة البقاءَ حتى اليوم في بلادنا.

إنّ اليوم الذي تحقّق فيه انتخابات حرّة للشعوب العربية والإسلامية لاختيار قادتها ومجالسها الشورية، هو اليومُ الذي ستبزغ فيه شمسُ الحرية على بلادنا كلّها، ومنها فلسطين. وهو اليومُ الذي سيتحقّق فيه الاستقرار السياسي للمجتمعات العربية والإسلامية.

مِن هذا المنطلق، وشعورًا بأهميّة الموضوع، فإنّني سوف أبقى أحلمُ بهذا اليوم الذي تنحازُ فيه القوى الحاكمة في العالمين العربي والإسلامي إلى الديمقراطية والحرية والمساواة، وتحدث التغيير المنشودَ بيدِها قبل أن تحدثَه الشعوب عُنوة وبتكاليفَ قوميةٍ باهظة، وعلى كلّ حاكمٍ أنْ يعلم أنّ فرصة الفوز بمكان مرموقٍ في التاريخ تسنحُ له طالما كان في الحكم، فإمّا أنْ يستخدم قوّته وقوة الحكم لإرساءِ صرح العدالة والديمقراطية فيفوزَ بمكان مرموقٍ في التاريخ، وإمّا أنْ ينحاز لمصلحتِه الخاصة وسلطته المطلقة، ويحجزَ مكانَه في صفوف الذين أدانهُم التاريخ.

٣ـ السعي نحو الوحدة العربية والإسلامية:

فالعالم اليومَ هو عالم الكياناتِ الكبيرة، والكياناتُ الكبيرة هي التي تحكُم العالم، وتستطيع أن تحقّق أهدافها على حساب الكياناتِ الصغيرة.

والكيانُ الكبير في عرف المتخصّصين اليوم هو تعدادُ العالم العربي تقريبًا.

فإذا أضفْنا لذلك مساحةَ العالم العربي، وتنوّع ثرواته وعمق الروابط اللغوية والدينية بين شعوبه؛ فإنّ أملَ الوحدة يعدّ قريبًا من التحقيق، كما أنّ أهميتها تعدّ أهمية بالغة لوجودنا، ولتحقيق النصرِ على عدوّنا.

لقد قالت الشعوبُ العربية كلمتَها في الوحدة، واختارتها طريقًا ومصيرًا، ولكنّ المعوّقين للوحْدة لم ينصاعوا لرغباتِ شعوبهم، ولم يسعوا خطوةً واحدة نحو تحقيق الحلم العربي القديم.

لقد نشرتْ تقارير كثيرة تقارنُ بين قوةِ العدو الصهيوني العسكرية ومجموع قوات الدول العربية أو دول الطّوق المحيطة بالأرض المحتلة، وهذه التقارير توضّح أنّ الدول العربية مجتمعة تمتلكُ قوةً متفوّقة على العدو الصهيوني. ولكنّ السؤال الذي نطرحه الآن: متى تجتمعُ هذه الدول، وتقرّر المضي في مسيرة الوحدة، وتبدأ خطواتها الأولى؟

إنّ الظرف التاريخي الذي تمرُّ به أمتُنا العربية والإسلامية يجعل الوحدةَ فريضةً على شعوبها، وضرورةً للبقاء على خارطة العالم المعاصر.

وبقدر تقدّمنا كشعوبٍ وحكومات في مسيرةِ الوحدة بقدرِ ما نقتربُ من يوم التحرير، ونقطعُ الشوط نحو تحقيق حلمِ النّصر وتحرير فلسطين.

٤ـ سدّ الفجوةِ التكنولوجية:

تتّضح الفجوة التكنولوجية بيننا وبين عدوّنا الصهيوني في صورٍ شتى، من هذه الصورِ اليومية صورةُ الصبي الفلسطيني الذي يمسك بيدِه الحجر، ويُلقيه على العدو، أو يستخدمُ المقلاعَ ليرسل حجرَه مسافة أبعد، بينما يطارده جنودُ الاحتلال وهُمْ مسلّحون بأحدثِ الأسلحة، ويركبون السيارات ويستخدمونَ أجهزة الاتصال المزوّدة بالهوائيات، وإذا تطلّب الأمر أكثرَ من ذلك يستخدمون الطائراتِ

الهليكوبتر في قصفِ الناس وبيوتهم، وليس على الأطفال لومٌ في ذلك، ولكنّ اللّومَ كلّه على القادة والكبار الذين أوصلوا أمّتهم إلى هذا الوضع المزري.

والصورةُ الأخرى التي توضّح هذه الفجوة التكنولوجية هي تمكّن العدو من إطلاقِ القمر الصناعي الخامس (أفق ٥) للتجسّس علينا، ورصْد حركتنا وحركةِ جيوشنا، بينما تعتمدُ بلاد العرب في جميع المعلومات على المخبرين حتّى اليوم.

والصورةُ الثالثة هي امتلاكُ عدوّنا للسّلاح النووي الذي بات يهدّد كلّ بلادِنا المحيطة بالعدو، بينما تخلّفت بلادنا في الخمسين سنة الماضية في هذا المجال، بالرغم من امتلاكها بنيةً أساسية من العلماء والخبرة في المجال النووي.

وإذا أردنا أن نتعرّف على مزيدٍ من البيانات لتوضيح الفجوة التكنولوجية الواسعة بين العدوّ الصهيوني وبين البلاد العربية والإسلامية المحيطة به؛ فسوفَ نجدُ أمامَنا المعلومات الآتية:

اختار الصهاينةُ أولَ رئيس لهم على أرضنا التي اغتصبوها عالمًا من علماء الذّرة هو حاييم وايزمان في عام ١٩٤٨، وفي خطاب تنْصيبه قال له بن جوريون أولُ رئيس وزراء: لقد اخترناكَ عنْ قصدٍ ليكون حلّ اهتمام الدولة الصهيونية موجّه إلى البحث العلمي والتكنولوجيا، وخاصّة في مجال السلاح النّووي؛ لأنّ هذا وحدَه الذي يحْمينا من بحر الشعوب العربية التي تحيطُ بنا من كلّ ناحية.

وتنفقُ دولةُ الصهيونية على البحث العلمي حسبَ التقارير العالمية ما يوازي ٢٥٪ من دخلها القومي، بينما مجموع ما تنفقُه كلّ الدول العربية حسب أحسنِ التقارير ٢ , ٠٪ من دخلها القومي.

للقائلين بأنّ الصهيونية انتصرتْ علينا؛ لأنهم أهلُ عقيدة ونحن تركْنا العقيدة نقول إنّ انتصار عدوّنا علينا طيلة قرنٍ مضى راجعٌ بالدرجة الأولى لامْتلاك أعداء أمّتنا قدرةً علمية وتكنولوجية متفوّقة على ما كان في أيدينا من سلاح العلم، وقد انتقلتْ هذه القدرةُ العلمية لعدونا الصهيوني متمثّلة في الكمّ الهائل من العلماء الذين اجتذبتهم الصهيونية لمشروعها التوسعي، وكذلك لكثرةِ المساعدات العلميّة التي تدفّقت على الصهاينة من أوروبا وأمريكا وروسيا.

إنّ المسلمين لم يتركوا دينَهم لدرجة اعتبار الصهاينة أكثرَ من المؤمنين تديّنًا.

فأمّتنا أعلى مِن الصهاينة دينًا، وأرقى منهم خلقًا مهما بلغَ ضعفُها في هذا الجانب، ولكنّ الحقيقة التي لا مِراء فيها أنّ الصهاينة تفوّقوا علينا في مجال البحث العلمي والتكنولوجيا، وتلك نقطةُ ضعفنا الأساسية في مواجَهتهم.

وممّا لا شكّ فيه أنّنا فرّطنا في ديننا، ولكنْ من ناحية حضّه على التفوّق العلمي وإتقانِ العمل وامتلاك القوة والإعداد للحرب، وليس فقط في مجال الصلاة والذكر والتّسبيح كما يحلو للبعض أنْ يفهمنا.

ومِن هنا، فإنّ سدّ الفجوة التكنولوجية بين العالمين العربي والإسلامي، وخاصّة دول الطّوق هي الدّعامة الأساسية لاستراتيجية التحرير الكامل لفلسطين، ومِن المعلوم أنّ تطوير البحوث العلمية والتكنولوجية يعدّ مِن أعمال الإدارة العليا في الدّول، وهو مِن أهمّ أعمال الحكومات التي تحرصُ على مصلحة أوطانها.

ويتحكّم في هذا التطوير مدى قناعةِ الحكومات بأهمّية العلم والعلماء، ومدى ما تملكُه الحكومات نفسُها من ثقافة علمية مواكبة للعصر الذي تعيشه، ويعدّ التوجّه السياسي لإحداث هذا التطوير حجرَ الزاوية فيه، والدافع الأوّل لتحقيقه.

ومن خلال تجربتنا السابقة في الصّراع مع العدو الصهيوني نستطيع أنْ نقول بكلّ تأكيد: إنّ التفوّق التكنولوجي كان فاعلًا في كلّ المعارك التي خُضناها في مواجهتِه، وخبراءُ الحرب والعسكرية يعرفونَ ذلك ويقرّونه بغير جدلٍ أو إنكار، وعلى كلّ المخلصين لقضية التحرير الكامل لكلّ فلسطين أنْ يقدّموا لمعركتهم الفاصلة مع عدوّهم جهدًا علميًّا وبحثيًّا حقيقيًّا يمكّنهم من التفوّق العلمي على العدوّ المحتلّ كمقدّمة ضرورية لبلوغ مرحلةِ النصر الكامل، وامتلاك القدرة التي تدمّر قوةَ العدو وجعله غيرَ قادر على العودة لاحتلال أرضنا، أو التفكير في ذلك.

وليس هذا مجالَ التفصيل في خطّة شاملة لسدّ الفجوة التكنولوجية بيننا وبين العدو، بقدر ما هو مجالُ التذكير بما يلزمنا إعدادُه على المدى البعيد لضمان النّصر في معركة التحرير الفاصلة التي ستقع حتمًا بيننا وبين العدوّ الصهيوني المحتلّ.

خاتمة

تحريرُ فلسطين مهمّتنا جميعًا

بعدَ هذا العرض الموجَز لمعظم الملابَسات والظروف التي اكْتنفت القضية الفلسطينية، أو قضية الصراع العربي الإسلامي- الغربي الصهيوني على أرض فلسطين؛ يحسُن بنا أنْ نتوجّه إلى المستقبل مُستفيدين بدروسِ الماضي والحاضر.

وعلى ضوء تجاربنا في المائة عام الماضية، فإنّنا نستطيع القول: إنّ تحرير فلسطين مهمّة مقدّسة لا يقوى عليها إلّا أولوا العزم من المجاهدين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويؤمنون بأنّ النصر مع الصبر، وأنّ إعداد القوة وامتلاك القدرة التي تقهر المعتدي شعبةٌ من الإيمان، وفريضةٌ من فرائضه.

وفي الختام، فإنّني أذكّر العاملين على طريق التحرير بما يلي:

أولًا: يحسنُ بالفصائل الفلسطينية أن تجعلَ للتحرير أولويةً مقدّمة على غيره من الأولويات الخاصة.

ثانيًا: تدلّ أحداثُ التاريخ على أنّ اللّغة الوحيدة التي يفهمُها العدو الصهيوني هي لغةُ القوة والقتال، وكلّ عملٍ قرَّبَنا نحو التحرير، أو تقدَّمْنا به في طريقِ الخلاص من المستعمر؛ كانٍ أساسُه العملَ القتالي على الأرض، فياسرُ عرفات تسلّم رئاسة المنظمة لنجاحه في مقاتلة العدو وفدائيّته وتضحيته بحياته، وجهادُ حماس والجهاد الإسلامي ونجاحُ الانتفاضة الأولى هو

الذي أجبرَ الصهاينةَ على قبوله مُفاوضًا باسْم فلسطين، ونجاحُ العمليات الاستشهادية في الألفية الثالثة هو الذي أجبرَ العالم كلَّه على وضع فلسطين ضمْن أجندته السياسية، وأجبرَ الصهاينة على الاختباء خلفَ الحائط الأسمنتي الذي يُقيمونه حول أنفسِهم في خوفٍ وهلع وتراجعٍ عن حلم إسرائيل الكبرى، فالجهادُ المسلّح هو الوسيلة الأولى والأساسية في التحرير، وكلّ ما بعد ذلك مساعدٌ له، ويأتي بعدَه في الأهمية.

ثالثًا: يعلمُ المجاهدون أنّ التصدي لا يكون بالضرورة متوقّفًا على حجم السلاح أو قدرته التدميرية، فالأسلحةُ التقليدية يمكنها التصدّي للأسلحة التقليدية وفوق التقليدية وحتى النووية، ألَمْ تُهزم القواتُ الأمريكية في بيروت والصومال وكوريا وفيتنام؟ ألم تُهزم القوات الفرنسية في ديان بيان- فو، وفي الجزائر؟ ألم تُهزم القواتُ البريطانية والفرنسية والإسرائيلية في بورسعيد؟ ألم تُهزم القواتُ الروسية في أفغانستان؟ ألم تُهزم القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان؟ ويبدو أنّ مناضلينا في فلسطين قرأوا التاريخ وفهِموه جيدًا، وخلَصوا إلى أنّ القضية تتعلّق بحالة التوازن؛ فإذا تعذّر الحصول على توازن القوى يمكن البديل توازن الرعب، كما أنّ التفوق المعنوي الذي يعتمدُ على الحقّ والعدالة الشرعية يمكنه التصدّي للتفوّق المادي الذي يعتمدُ على القهر والظلم وفرض الأمرِ الواقع، وأنّ الاعتماد على النفس ضرورةٌ للصمود، مهما تكن الصعوباتُ والتضحيات، حتى يتمّ تعديل مواقف الرأي العام والدول الحاكمة، إذْ لا يتجاوب الآخرون مع الضعفِ والاستكانة، ولكنّهم يتجاوبون مع نموّ الإرادات، وتصاعد المقاومة.

رابعًا: الشعبُ الفلسطيني بقيادته المنتخبة، وكلّ فصائله المقاتلة لن يقوى وحده على إنجاز مهمة التحرير، دون معاونة العالمين العربي والإسلامي مهْما بلغت قوةُ الاستشهاديين وجرأتُهم.

خامسًا: سوف تبقى الشعوبُ العربية والإسلامية عاجزةً عن تقديم العون المحقق لهدف التحرير طالما كانت متخلّفة علميًّا واقتصاديًّا وحربيًّا، بما يجعلها خاضعةً للقوى الغربية والأمريكية والصهيونية التي تفوّقت علينا في هذه المجالات.

سادسًا: التفوقُ في مجالات العلم والاقتصاد والسلاح مرهونٌ بالاستقرار السياسي في البلاد العربية والإسلامية، والاستقرارُ هو الذي يمكّن الحكومات من حُسْن إدارة الدولة، واستخدام طاقاتها المعطلة وثرواتها المكدّسة، وطريق الاسْتقرار السياسي هو تثبيتُ أركان الديمقراطية والشورى والحرية الكاملة للشعوب، والتوبة النصوح عنْ جرائم الديكتاتورية، وتزوير إرادة الشعوب، وهيمنة الحزب الواحد، والانفراد بالسلطة، وعدم الشفافية في الهيئات والمؤسسات والمنظمات، وأكل المال العام بالباطل، وتبديد ثروات الأمة في اللّهو والتّرف والمحرمات.

سابعًا: التسلّح بالوعي الشامل بكافة الملابسات المحيطة بالقضية الفلسطينية هو الضمانُ الوحيد لكي تمارس كافّة القوى المشاركة في عملية التحرير دورَها في إطارٍ واحد وفهْم مُشترك، يجعل لكلّ جهدٍ يُبذل من الأفراد واللّجان والمنظمات والهيئات سهمًا يضافُ إلى رصيد التحرير، ويعظّم الواقع

الجهادي الذي حصلنا عليه، ويُضيف إلى رصيده- على طول الزمن حتى يتحقّق- هدفَ التحرير المنشود.

ثامنًا: انطلاقًا من أنّ المشروع الصهيوني يلقى دعمًا أوروبيًّا أمريكيًّا، فإنّ تكتلَ العالمَيْن العربي والإسلامي يصبح ضرورةً لمواجهة هذا الحلف الصهيوني، وعلى ذلك فإنّ الدول العربية والإسلامية مطالبةٌ بتسريع خطوات الوحدة العربية والإسلامية ضمانًا لامتلاك القوّة القادرة على مواجهة هذا الحلف، ويشهدُ الواقعُ أنّ الوحدة من حيث الإجراءات التنفيذية تعتبر مهمّةَ الحكومات والأنظمة، أمّا الشعوب فقد قالت كلمتَها، وطالبت بالوحدة من زمنٍ بعيد، ولا تزال الوحدة العربية والإسلامية أملًا عزيزًا لكافة شعوب المنطقة.

تاسعًا: سوف يبقى هدفُ تحرير فلسطين وإعادتها إلى عالمها العربي والإسلامي حرّة طاهرة؛ هو المعيارَ الصادق على مدى قدرة الأمتيْن العربية والإسلامية على إحداثِ التّنمية الشاملة في حياتهما، والمعيار الصادق لامتلاكِ القوة والقدرة العصرية التي تُعيدها إلى مرتبة الصدارة ومكانة الأستاذية بين شعوب المعمورة.

عاشرًا: إنّ شجرة البطولة والتحدّي نبتتْ وترعْرعت في أمتنا العربية الإسلامية، وكان من ثمارها اليانعة: بدر، والقادسية، واليرموك، وحطين، وعين جالوت، وموقعة القسطل، وموقعة الكرامة، وحرب العاشر من رمضان؛ ويستطيع الجيلُ الحاضر أن يكون فرعًا من فروع هذه الشجرة المباركة،

ويثمرَ بطولاتٍ جديدةً كما أثمرت مِن قبْل، وطريقُنا إلى ذلك هو: الفهم، والإخلاص، والعمل، وتحمل المسئولية نحو تحقيقِ كلّ ما تقدّم، فهل نحنُ مستعدّون!؟ هذا ما سوف تجيبُ عليه الأيّام.

ربّنا تقبّل منّا إنّك أنتَ السميعُ العليم..

وآخرُ دعْوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين

أ.د/ السيد عبد الستار المليجي

١٠ ديسمبر ٢٠١٧

التعريفُ بالمؤلف

أ.د./ السيد عبد الستار المليجي

العنوان: ٢٨٥ ش ٣٥ المنطقة الرابعة – التجمع الخامس– القاهرة – مصر

تليفون: ٠١٢٢٣٥٧٠٥٢٦

Email: elmeleigy@hotmail.com

المؤهلاتُ العلميّة:

ـ بكالوريوس العلوم جامعة عين شمس ١٩٧٤ .

ـ ماجستير العلوم جامعة عين شمس ١٩٨٢ .

ـ دكتوراه في فلسفة العلوم جامعة عين شمس ١٩٨٩ .

ـ دراسات بعد الدكتوراه في البيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية في جامعة بوردو ـ ولاية إنديانا ـ الولايات المتحدة.

ـ ليسانس كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر، ٢٠٠٢

العمل: أستاذ متفرغ ـ كلية العلوم ـ جامعة قناة السويس.

الوظائفُ العامة:

- عضو المجلس الأعلى لنقابة المهن العلمية.
- الأمين العام لنقابة المهن العلميّة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥).
- رئيس المركز العلمي للبحوث والدراسات.
- عضو مجلس إدارة نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة قناة السويس.

.عضو اللّجنة المصرية للمناصرة.

- عضو اللّجنة المصرية للدّفاع عن فلسطين.
- عضو اللّجنة المصرية الشعبية لمقاومة المشروع الصهيوني.
- نقيب العلميّين بحمهورية مصر العربية ٢٠١٦.
- عضو اللجنة المركزية لتحرير فلسطين بالنقابات المهنية المصرية.

البحوثُ المنشورة:

٢٦ بحثًا علميًّا منشورًا في مجال فسيولوجيا النبات، وبحث واحد في العلوم السياسية.

الكتبُ والمؤلَّفات في المجال المجتمعي:

١ـ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط (نموذج حرب الخليج) (معدّ).

٢ـ تحرير فلسطين.. العقيدة والوسيلة (معدّ).

٣ـ المهمّة العاجلة لإنقاذ سرايفو ١٩٩٤ . المركز العلمي (معدّ).

٤ـ تاريخ الحركة الإسلامية في ساحة التعليم (١٩٣٥- ١٩٩٥) (مكتبة وهبة).

٥ـ مجاهدون حتى النصر أو الشهادة (قصة حياة العقيد جمال غانم) (معدّ).

٦ـ الأستاذ الجامعي.. الواقع والأمل (دار الوفاء).

٧ـ علم النبات في القرآن الكريم (الهيئة العامة للكتاب).

٨ـ قبسات من العلوم الكونية (هيئة قصور الثقافة).

٩ـ محاضرات في الثقافة الإسلامية (المركز العلمي-٢٠١٣).

١٠ـ أسيرٌ فيك يا وطني (ديوان شعر) (معدّ).

١١ـ الثورة والميدان (ديوان شعر-٢) دار شمس للطباعة والنشر.

١٢- تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري. الزهراء للإعلام العربي.

١٣- اختطاف ثورة.. آخر العمليات الفاشلة للتنظيم السري، دار ميريت.

المراجع:

- مصطفى الطحان، فلسطين والمؤامرة الكبرى.

- جمال عبد الهادي، الطريق إلى بيت المقدس.

- رجاء جارودي، فلسطين أرض الرسالات الإلهية.

- عبد الستار فتح الله سعيد، معركة الوجود بين القرآن والتلمود.

- سيد قطب، معركتنا مع اليهود.

- عبد الوهاب المسيري، من الانتفاضة إلى حرب التحرير.

- راغب السرجاني، المقاطعة فريضة شرعية.

- كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب التحرير.

- عبد الله عزام، حماس.. الجذور التاريخية والميثاق.

- سلمان أبو سنة، حقّ العودة.

- أحمد صدقي الدجاني، القدس وانتفاضة الأقصى وحرب العولمة.

- عبد القادر ياسين، ملحمة جنين.

ـ محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية.

ـ مجلة قضايا الدولة (٢١٦)، فلسطين القضية والجوهر.

ـ مجدي أحمد حسين، أحكام القرآن الكريم في موالاة الكفار والمشركين.

ـ أمين هويدي، الصراع العربي الإسرائيلي- استخدام القوة (الأهرام ٢/ ٤/ ٢٠٠٢).

المحتويات